وزارة المعارف العمومية



جمعه وشرحه

أحمد الإسكندرى — أحمد أمين بك — على الجارم بك

عبد العزيز البشرى — الدكتور أحمد ضيف

الجزء الرابع

للسنة الرابعة الثانوية

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٤

فهرس

العصر الجاهلى

الشعر

صفحة

صفحة

(ب) الشعر :

صفحة

الفرزدق :

جرير :

عبيد الله بن قيس الرقيات :

قطرى بن الفجاءة :

عمران بن حطان (أحد شعراء الخوارج) :

الطرماح بن حكيم (من الخوارج) :

الكميت :

جميل بن معمر :

صفحة

العصر الجاهلى

الشـــعر

(١) لامرئ القيس من معلقته : [١]

قفا نَبك من ذِكْرَى حبيبٍ ومنزلِ ... بسِقْط اللِّوَى بين الدَّخولِ فحَوْمَلِ [٢]

* * *

وَلَيْـلٍ كموج البحرِ أَرْخَى سُدولَه ... علىَّ بأنواعِ الهُمـــومِ لِيبتَـــلِى [٣]

فَقُلتُ له لمَّـا تَمطَّى بِصُلْبِـــهِ ... وأردفَ أَعجـازًا وناءَ بكَلْـكَلِ : [٤]

أَلَا أيُّهَا اللَّيــلُ الطويلُ أَلا انْجلى ... بِصُبحٍ ، وما الإصباحُ منكَ بأَمثلِ [٥]

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى أشهر شعراء الجاهليـة ، وأحد الأربعـة المقدّمين على غيرهم من شعرائها . وكان يعيش قبل الإسلام بنحو ثمانين سنة . وله ديوان شعر مشروح مطبوع ، منه هذه القصيدة اللامية إحدى القصائد العشر الشهيرة بالمعلقات .

(٢) قفا : فعل أمر للاثنين ، يريد بهما صاحبيه على عادة الشعراء فى مخاطبة الاثنين ، ولو كان المراد واحدا . وسقط اللوى والدخول وحومل مواضع بنجد وفى سقط اللوى كان منزل محبوبته — يقول (عند ما مر بالمنزل الذى كانت حبيبته نازلة به قديما) : يا صاحبى قفا معى هنـا وأسعدانى بالبكاء ، لتذكرى العيش الذى قضيته مع حبيب عزيز على كان ينزل فى هذا المكان الذى بين الدخول وحومل الخ .

(٣) السدول : الستور جمع سدل ، ويبتلى : يختبر ، أى ورب ليـل كموج البحر فى كثافته وظلمته شملنى بأنواع الهموم ليختبرنى أأصبر أم أجزع .

(٤) تمطى بصلبه : تمدّد بوسطه . والأعجاز : جمع عجز ، وهى الأطراف ، ومعنى أردف أعجازا : باعد أطرافه عن صلبه فطال من آخره . والكلكل : الصدر . ومعنى ناء بكلكل : بعد بصدره الى الأمام ، أى أن الليل طال عليه لقلقه وأرقه فى جميع أجزائه : أوّله ووسطه وآخره ؛ فلم ينعم فى جزء منه .

(٥) انجلى بصبح : أى انكشف عن صبح . والياء للمد مثل الألف فى قوله تعالى "سنقرئك فلا تنسى" ثم راجع نفســه متحسرا فقال : وما الإصباح بأمثل منك ، أى وإذا جاء الصباح فليس بأفضل منك ، ولا يفرج من همومى ، فهمومى دائمة ليلا ونهـارا .

فيَا لكَ من ليـلٍ كأنَّ نُجومَه ... بكلِّ مُغارِ الفَتْل شُـدَّتْ بِيَذْبُلِ (١)

كأنَّ الـثُّريّا عُلِّقت فى مَصامِها ... بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمِّ جَنـدَلِ (٢)

* * *

وقدْ أغتدِى ، والطيرُ فى وُكُناتِهـا ... بمُنجَرِدٍ قيْـدِ الأوابِدِ هيْكَلِ (٣)

مِكَـرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًـا ... كجُلْمودِ صخرٍ حَطّه السيلُ من عَلِ (٤)

---

(١) ثم تعجب من طوله فقال (فيا لك من ليل) أى ياعجبا لك من ليـل ، ومعنى قوله (بكل مغار الفتل) أى بكل حبل محكم الفتل متين . ويذبل جبل من جبال نجد . يعنى كأن نجوم هـذا الليل لطوله ربطت بحبال متينة بالجبل المسمى بيذبل ؛ فلا تزحزح من مكانها .

(٢) الثريا : مجموع من كواكب صغيرة القدر متضامّ بعضها إلى بعض ، كأنها كف إنسان أو عنقود عنب . والمصام : الموقف . والأمراس : الحبال . (المعنى) وكأن الثريا من نجومك — أيها الليل — قد علقت أيضا بحبال كتان متينة الى جنادل وصخور صماء؛ فهى لا تنتقل أيضا من مكانها .

(٣) أغتدى : أبكر وأذهب غدوة ، أى قبـل طلوع الشمس . والوكنات : جمع وكنة وهى الموضع الذى يبيض فيه الطائر أو يبيت فيه . والمنجرد : الأجرد الشعر أى القصيره ، وذلك من محاسن الخيـل . والأوابد : جمع آبد وهو الوحش النافر ، والهيكل : الطويل المرتفع (المعنى) يقول : وقد أخرج مبكرا قبل أن تنهض الطير من أوكارها راكبا فرسا أجرد ضخما كأنه فى سرعته قيد للوحوش لأنها لا تفلت ، كأنها واقفة مقيدة ، فيسهل على راكبه صيدها . وهذا التشبيه من أحسن تشبيهات امرئ القيس وقد أخذه عنه شعراء كثيرون .

(٤) مكر مفر : صفتان لهذا الفرس ، وهما بمعنى مقبل ومدبر . وقوله (معا) أى أن هاتين الصفتين اجتمعتا له معا ؛ فهو يصلح للإقبال كما يصلح للإدبار ، فعنده هذا وهذا ، لا أن الكر والفر يقعان منه فى وقت واحد ؛ لأن ذلك محال عقلا ؛ ثم أنه شبهه فى سرعته أيضا بجلمود من الصخر أسقطه السيل من مكان عال وفيه إشارة إلى صلابته .

كُمَيْتٍ يزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِـهِ　　كما زَلَّتِ الصَّـفواءُ بالمُتَنَزِّلِ (١)

على الذَّبْلِ جَيَّاشٍ، كأن اهْتِزَامَهُ　　إذا جَاشَ فيـه حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ (٢)

مِسَحٍّ إذا ما السابحاتُ على الوَنَى　　أَثَرْنَ الغُبَارَ بالكَدِيد المُرَكَّلِ (٣)

يَزِلُّ الغـلامُ الخِفُّ عن صَهَواته　　ويُلوِى بأثواب العنيف المُثَقَّلِ (٤)

دريرٍ كخُذْرُوفِ الوليــدِ أَمَرَّه　　تتابُعُ كفَّيْه بخيطٍ مُوَصَّـلِ (٥)

---

(١) الكميت : الفرس الأحمر الذى تميل حمرته إلى السواد . وحال متنه : وسط ظهره . والصفواء : الصخرة الملساء . والمتنزل بصيغة اسم الفاعل : السـيل أو المطر الذى ينزل الصخور و يجرّها إلى أسـفل (المعنى) أنه فرس مكتنز اللحم أملس الظهر، ولملاسته يزل اللبد الذى يوضع على ظهره تحت السرج عن ظهره كما تزل الصخرة الملساء إذا أنزلها السيل .

(٢) الذبل : الضمور . والجياش : الذى يجيش فى عدوه كما تجيش القدر فى غليانها . والاهتزام : شدّة الصوت المتقطع ، يريد به صوت جوفه . وحميه : غليه وارتفاع حرارته . والمرجل : القدر الكبيرة (المعنى) أن هذا الفرس على ضموره متوقد النشاط ؛ كأنه فى استرسال عدوه ، وتردد صهيله فى صدره ، قدر تغلى وتجيش .

(٣) المسح : الذى يسح العـدو سحا كالمطر . والسابحات : الخيل التى تسبح فى عدوها وتبسط أيديها كالسباح فى المـاء . والونى : الفتور . والكديد : الأرض اليابسة . والمركل : الذى تركله الخيل بأرجلها (المعنى) أن هـذا الفرس عنـد ما تفتر الخيـل السابحات ، ويبطؤ سعيها حتى تثير الغبار — لا يفتر هو؛ بل يصب العدو صبا ، ولا يثير الغبار؛ لأنه لنشاطه لا يلمس الأرض إلا بأطراف حوافره .

(٤) المعنى أن هذا الفرس إذا ركبه الغلام الخفيف الجسم زل عن ظهره ، و إذا ركبه العنيف الثقيل الجسم أطار ثيابه ؛ فلم يتمالك أن يصلحها ؛ فلا يستطيع ركوبه إلا فارس ماهر لشدّة قوّته .

(٥) درّ الفرس : عدا عدوا شديدا سهلا فهو درير . والخذروف : لعبة تلعب بها الصبيان ، وهى شظية من خشب ونحوه يثقب وسطها ، و يدخل فيه خيط ، فيجرّ الصبى الخيط بيديه فتدور الشظية دورانا شديدا يسمع له حفيف . وأمرّ الخيط : أحكم فتله . شبه الفرس فى شدّة عدوه بسرعة الخذروف فى دورانه . ووصف الخيـط بأنه موصل إشارة الى أن اللاعب صبي كثير اللعب بالخذروف حتى أن الخيط يتقطع فيصـــله

له أَيْطَلَا ظَبْيٍ ، وساقا نَعَامَةٍ ، و إرخاءُ سِرْحانٍ ، وتقرِيبُ تَتْفُل (١)

ضَليع إذا استدبرتَه سَدَّ فرجَهُ بضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليس بأعْزَلِ (٢)

كَأَنَّ على المَتْنَيْنِ منه إذا انْتَحى مداكَ عروسٍ ، أو صَلايةَ حَنظلِ (٣)

كَأَنَّ دماءَ الهادياتِ بِنَحْرِه عُصارةُ حِنّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ (٤)

فَعَنَّ لنا سِرْبٌ كأَنَّ نِعاجَه عَذارَى دَوارٍ فى مُلاءٍ مُذَيَّلِ (٥)

فأدبَرْنَ كالجَزْعِ المفصَّلِ بينَه بجيدٍ مُعَمٍّ فى العشيرةِ مُخْوَلِ (٦)

---

(١) أيطلا الظبي ونحوه : خاصرتاه ، وخص الظبي لضمور أيطليه . والإرخاء : الجرى الذى فيه سهولة . والسرحان : الذئب . والتتفل : ولد الثعلب . وتقريب الفرس فى العدو : رفع يديه معا ووضعهما معا (المعنى) أن هـذا الفرس فيـه عدة محاسن ، فخاصرتاه ضامرتان ، وساقاه طويلتان صليبتان . وهو فى جريه الخفيف يشبه الذئب ، وفى الشديد يشبه الثعلب .

(٢) يقول إن هـذا الفرس عظيم الصدر ، واسع الأضلاع ، سابغ الذنب بحيث إذا نظرت إليه من خلفـه رأيت ذنبه يسدّ الانفراج الذى بين فخذيه ، وذنبه فويق الأرض ليس بقصير ولا طويل طولا فاحشا فيطأه الفرس برجليه ، وليس هذا الذنب بمعوج إلى جانب .

(٣) المتن : الظهر — والمراد بالمتنين هنا جانبا ظهره — وانتحى : وقف فى ناحيـة من البيت . والمـداك : الحجر الذى يداك به الطيب أى يسحق . والصـلاية : الصخرة الملساء يدق بهـا لب الحنظل (المعنى) أن هـذا الفرس إذا وقف بجانب البيت غير مسرج رأيت ظهره براقا أملس كأنه مداك العروس أو صلاية الحنظل ، وخص العروس لاهتمامها بأمر الطيب .

(٤) الهاديات : جمع هادية . وهن الأوائل والمتقدمات فى السير من سرب الوحش . والمرجل : المسرح . (المعنى) أن هذا الفرس يلحق أوائل الوحش بله أواخرها ، فعند ما يطعنها أو يضربها راكبه يصيب رشاش دمائها نحر هذا الفرس ، فيصبغه بالحمرة ؛ فكأن عصارة حناء صبغت منه شعرا شائبا مسرحا . و يفهم من هذا أن لبة هذا الفرس الكميت بيضاء .

(٥) عنّ : ظهر . ودوار (بفتح الدال) : اسم صنم كان بالجاهلية . والملاء : جمع ملاءة . والمذيل الذى لون ذيله أسـود (المعنى) ظهر لنا سرب من بقر الوحش كأن نعاجه بنات أبكار يطفن حول دوار لابسات ملاءات سود الذيول : وذلك لأن بقر الوحش بيض الظهور سود القوائم .

(٦) الجزع : خرز فيه بياض وسواد ، والبياض فى الوسط ، وكذلك بقر الوحش فإن قرونها وقوائمها سود . والجيد : العنق . والمعم المخول : الصبي الذى له أعمام وأخوال كرام ؛ فهو عزيز على أهله =

فألحقنا بالهاديات، ودونه ... جواحرها في صرة لم تزيل (١)

فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكا، ولم ينضح بماء فيغسل (٢)

فظل طهاة اللحم من بين منضج ... صفيف شواء أو قدير معجل (٣)

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه، ... متى ما ترق العين فيه تسفل (٤)

فبات عليه سرجه ولجامه ... وبات بعيني قائما غير مرسل (٥)

= يقلدونه قلائد الجزع (المعنى) أن هذا الفرس سبق سرب البقر، فردها على أعقابها، فدارت حيرة، وكانت أشبه بقلادة جزع مختلفة الألوان فرق بين خرزاتها بخرزات أخرى، وكانت هذه القلادة في عنق صبي كريم على أهله؛ فبذلك تكون خرزاتها أجود وأصفى.

(١) الجواحر: المتخلفات. والصرة: الجماعة. وتزيل: أصله تزيل، أي لم تتفرق (المعنى) فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش، وبقيت أواخرها لم تتفرق، يصفه بشدة العدو.

(٢) عادى: والى. المعنى ثم لما تفرقت البقر بعد ذلك عادى هذا الفرس عداء متواصلا بين ثور ونعجة، فأدركهما في طلق واحد ولم يعرق عرقا يعم جسده؛ حتى يصير كأنه غسل بماء. أي أنه دركهما وصادهما من غير مشقة.

(٣) الطهاة: جمع طاه وهو الطباخ. والصفيف من الشواء: ما صفف مرققا على الجمر. والقدير: ما طبخ في القدر (المعنى) فظل الطباخون يعالجون لحم الصيد، فمنهم من يشوى، ومنهم من يطبخ في القدر متعجلا. وجر لفظ (قدير) على المجاورة أو على العطف على منضج؛ أي من بين منضج صفيف شواء. أو منضج قدير بالإضافة. فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه؛ فجر مثله.

(٤) الطرف: البصر. ورحنا: من الرواح أي الرجوع عشية. ويقصر: يحير دون إدراك محاسنه. (المعنى) أننا بعد ما أدركنا العشى بقينا ننظر بأبصارنا الى محاسن هذا الفرس؛ فلا يدرك البصر كل محاسنه جملة؛ فبينا يتجه النظر الى محاسن أعالى جسمه، إذا بمحاسن أسافله تجذب النظر اليها؛ فلا يمكننا حصر النظر في شيء واحد من محاسنه.

(٥) المعنى فبت وقد بات عليه سرجه ولجامه، وبات بمرأى عيني قائما غير مطلق؛ لأننا على سفر، فنحن على استعداد لركوبه في أي وقت وعند أي خطر. يصفه بالنشاط وعدم التعب ووصل اليوم بالغد في احتمال الركوب والعدو.

أصاحِ ترى بَرْقًا أُرِيكَ وَميضَهُ كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فى حَبِيٍّ مُكَلَّلِ (١)

يُضىءُ سناهُ، أو مصابيح راهبٍ أمالَ السَّلِيطَ بالذُّبَالِ المفتَّلِ (٢)

قعدتُ له، وصُحبتى بين ضَارجٍ وبَيْنَ العُذَيبِ، بُعْدَ ما مُتَأَمَّلِي (٣)

على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أَيْمنُ صَوْبِهِ، وأَيسرُهُ على السِّتارِ فَيَذبُلِ (٤)

فأَضحى يَسُحُّ الماءَ حول كُتَيفةٍ يَكُبُّ على الأَذْقانِ دَوْحَ الكَنَهْبُلِ (٥)

ومَرَّ على القَنَانِ من نَفَيانِهِ فأنزَلَ منه العُصْمَ من كلّ منزِلِ (٦)

---

(١) بعد أن فرغ من وصف الصيد والفرس أخذ فى وصف الغيث وما يتعلق به فقال : (أصاح الخ) و(صاح) : ترخيم صاحبي . والوميض : لمع البرق ونحوه . والحبي من السحاب : المتراكم بعضه على بعض كأنه يحبو لثقله . والمكلل : الذى صار أعلاه كالإكليل وهو التاج . (المعنى) يا صاحبي أنت ترى البرق الذى أريك لمعه كلمع اليدين وحركتهما السريعة — وهذا البرق يلمع فى سحاب متراكم مكلل .

(٢) المعنى كأن هذا البرق — حال كونه يضيء — لمع اليدين ، أو كأنه مصابيح راهب أمال السليط ، وهو الزيت بذبال المصابيح المفتل ، وهى الفتيلة ، وفى الكلام قلب . أى أمال الذبال بصب السليط . أو أن الباء بمعنى مع ، أى أمال السليط مع الفتيلة الى جانب لتكون متغذية دائما بالزيت ، فتكون أشدّ إضاءة .

(٣) صحبتى : أصحابى . وضارج والعذيب مكانان . (المعنى) قعدت لذلك البرق أنظر من أين يجيء بالمطر ، ويا بعد ما تأملت أى ما أبعده ، يتعجب من بعد نظره .

(٤) قطن والستار ويذبل : أسماء جبال ، والشيم : النظر . والصوب : المطر (المعنى) أن مطر هذا البرق امتدّ فى جهات مترامية ، فكان يمينه على جبل قطن ، وكان يساره على جبلى الستار فيذبل ، بحسب نظرنا وتقديرنا لأنه لا يرى هذه الجبال .

(٥) كتيفة : اسم أرض أو هضبة . والدوح : الشجر العظيم . والكنهبل : شجر شائك (المعنى) فأضحى المطر يسح الماء حول كتيفة و يقلب سيله الأشجار العظيمة فيجعل عاليها سافلها .

(٦) القنان : اسم جبل . والنفيان هنا : ما يتطاير من رشاش الماء والسيل أو ما يشذ عن معظمه (ومن) هنا : بمعنى الباء كقوله تعالى (ينظرون اليك من طرف خفى) . والعصم : الوعول ، واحدها أعصم ، وهو ما كان فى معصمه بياض يخالف لونه ، ومن شأن الوعول أنها تسكن الجبال ، ولا تكاد توجد فى غيرها . (المعنى) ومر هذا المطر على جبل القنان برشاشه فأكره الوعول على النزول منه من كل ناحية .

وتَيْمَاءُ لم يَتْرُكْ بها جِذْعَ نَخْلةٍ ... ولا أُطُماً إلا مَشِيدًا بجَنْدَلِ (١)

كأنَّ ثَبِيرًا في عَرانينِ وَبْلِهِ ... كبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ (٢)

كأنَّ ذُرَى رأسِ المُجَيْمِرِ غُدوةً ... من السَّيلِ والغُثَاءِ فَلْكةُ مِغْزَلِ (٣)

وألْقَى بصحراءِ الغَبِيطِ بَعَاعَهُ ... نُزُولَ اليَمَاني ذي العِيابِ المُحَمَّلِ (٤)

كأنَّ مَكَاكِيَّ الجِواءِ غُدَيَّةً ... صُبِحْنَ سُلافًا من رَحيقٍ مُفَلْفَلِ (٥)

---

(١) وتيماء : كانت من مدن اليهود قديما في الجاهلية . وهي بين مدائن صالح وتبوك من طريق الشام الى المدينة . وكان بها نخل كثير وقصور حصينة منها الأبلق الفرد . وتسمي العرب القصر العالي والحصن المرتفع أطما (المعنى) أما تيماء فلم يترك بها سيل هذا المطر جذع نخلة لأنه أسقطها جميعا ولم يترك بها بناء قائما إلا اذا كان مشيدا بالجنادل والصخور العظيمة .

(٢) ثبير : اسم جبل . والعرانين : جمع عرنين وهو : أول الشيء ومقدمه . الوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والبجاد : الكساء المخطط . والتزميل : اللف في الثوب ، فالثوب مزمل به (المعنى) كأن هذا الجبل عند أوائل هذا المطر رجل كبير في بجاد مزمل به . وذلك أنه شبه الجبل وقد غطاه الماء والغثاء إلا رأسه الأسود بشيخ ملتف في كساء مخطط . وجرّ مزمل على المجاورة اذ كان صفة لكبير . أو هو مجرور على أنه صفة لبجاد على تقدير في بجاد مزمل به .

(٣) المجيمر : اسم جبل ، وذراه : أعلاه . والغثاء : ما احتمله السيل من حطام النبات ونحوه ، وفلكة المغزل : الخشبة المستديرة في أعلاه كالقرص (المعنى) أن هذا المطر كشف ما على رأس المجيمر من التراب والنبات ، وأحاط سيله وغثاء سيله بجوانبه على استدارة جعلت رأس المجيمر كأنه فلكة مغزل .

(٤) صحراء الغبيط : من صحاري بلاد العرب ، وأصل الغبيط : الأرض المنخفضة . والبعاع : الثقل والحمل . والمراد هنا السحاب المثقل بالماء . والعياب : جمع عيبة ، وهي : وعاء من جلد يحمل فيه الثياب ونحوها (المعنى) وألقى هذا المطر أثقاله بصحراء الغبيط فأنبتت نباتا حسنا . مختلفا ألوانه وأزهاره ؛ فكان نزوله بها كنزول التاجر اليماني اذا جاء محملا بعياب ثياب مختلفة الألوان والأصباغ ، ونشرها أمام الناس ترغيبا لهم في شرائها .

(٥) المكاكي : جمع مكاء كرمان ، وهو طائر كثير الصفير . والجواء : البطن الواسع من الأرض . وصبحن : من الصبوح ، وهو الشرب صباحا . والسلاف : أول ما يعصر من الخمر . والرحيق : صفوة الخمر . والمفلفل : الذي يلذع لذع الفلفل أو الذي وضع فيه الفلفل (المعنى) أن هذا المطر بعد ما نزل في هذا الوادي جعله روضة من النبات والزهر ، وأصبحت تغرد فيه الطيور مبتهجة كأنها شربت صباحا رحيق سلاف مفلفل فسكرت وطربت ..

كأنّ السباعَ فيـه غرقى عَشيةً ... بأرجائه القُصْوى أنابيشُ عُنْصُلِ (١)

وله من قصيدته التى مطلعها :

ألا انعِم صباحًا أيّها الطَّللُ البـالِى ... وهل يَنعمَنْ من كان فى العُصُرِ الخالى ؟ (٢)

*
* *

(١) السباع : جمع سبع ، وهو كل حيوان مفترس أسدا كان أو غيره . والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية . والعنصل : بصل برى تختفى أصوله تحت الأرض فتنبش ، فهى بعد النبش أنابيش ، جمع أنبوشة . أو لا مفرد لها (المعنى) أن هذا المطر استحال فى بعض الأودية سيلا عظيما أغرق السباع واحتملها طافية على وجه مائه بادية خراطيم رءوسها وأطرافها ؛ كأنها أنابيش عنصل .

(٢) عم صباحا ، وأنعم صباحا : تحية الصباح فى الجاهلية ، كقولهم : عم ، وأنعم مساء : لتحية المساء ، وعم ظلاما : لتحية الليل . و (عم) : فعل أمر من وعم يعم كوزن يزن ، وأنعم صباحا : من النعمة والنعيم . وهو بمعنى عم أيضا . والطلل : الشاخص من الأشياء على وجه الأرض . والمراد هنا آثار دار المحبوبة الشاخصة . والبالى : الدارس الذى كادت معالمه تخفى . والعصر : لغة فى العصر . والخالى : الماضى . (المعنى) أنه مر صباحا على دار كانت تنزلها محبوبته فى العصر الماضى ، فشاهد طللها الدارس فحياه بقوله : أنعم صباحا الخ . ثم راجع نفسه ، وقال : كيف أدعو بالنعمة لشىء وجد منذ زمان طويل ففارقه أهله وبلى ، وفارقته النعمة بفراقهم .

وقـــد أغتدى ، والطيرُ فى وُكُناتِهـا ... لِغَيثٍ من الوَسْمِىّ رائـــدُه خالِ(١)

تَحاماهُ أطـــرافُ الرماح تحاميًـا ... وجاد عليـــه كلُّ أسْحَمَ هَطَّـالِ(٢)

بِعِجْلِزَة قـــد أترَزَ الجـــرىُ لحمَها ... كُميْتٍ كأنّهـا هِراوةُ مِنْـــوالِ(٣)

ذَعَرتُ بهـا سِربًا نقيًّـا جلودُه ، ... وأكْرُعُه وَشْىُ البُرود من الخـالِ(٤)

كأن الصُّـــوارَ إذ تجاهـــدْنَ غُدوةً ... على جَمَزى — خَيـــلٌ تجولُ بأَجْلالِ(٥)

---

(١) المراد بالغيث هنا : البقل والمرعى ، لأنه أثر الغيث ، وهو المطر . والوسمى : أول مطر الربيع . والرائد : من يبعثه أهله فى طلب المرعى . وخال : أى خال بنفسه . (المعنى) وقد أبكر (والطير لم تزل جاثمة فى أوكارها) لطلب الصيد فى مرعى لم يجسر أحد على رعيه ، فاذا راده رائد جرىء مثلى وجد نفسه منفردا لا يزاحمه عليه مزاحم .

(٢) الأسحم هنا : السحاب الأسود اللون المتراكم . والهطال : الكثير المطر . (المعنى) أن هـذا المرعى منيع تحاماه الرماح أى الفرسان الحاملوها ، لأنه بين حيين متعاديين ؛ فيخشى رعيـه كل منهما ؛ ولكنى بجراءتى قصدته للصيد ، وهو خصب لتوالى الأمطار عليه .

(٣) العجلزة : الفرس الصلبة العضل . وأترز الجرى لحمها : أى أيبسه وضمّره . والكميت : الحمراء الى سواد . والهراوة : العصا الغليظة . (المعنى) أنه يذهب الى الصيد فى هذا الوادى بفرس مضمرة صلبة كأنها الخشبة الغليظة الصلبة التى تلف عليها شقة الثياب عند نسجها بالمنوال .

(٤) ذعرت : أخفت وأفزعت . والسرب : القطيع من بقر الوحش . والأكرع : جمع كراع وهى أطراف القوائم . الخال : الثوب الناعم من ثياب اليمن . (المعنى) أفزعت وهجت بهذه الفرس قطيعا من الوحش بيض الجلود مخططة الأكارع بالسواد ؛ فكأنها ثياب اليمن الموشاة .

(٥) الصوار : القطيع من بقر الوحش ، وتجاهدن : اجتهدن فى العدو ، وعلى : بمعنى مع . والجمزى : نوع من العدو . والأجلال : جمع جل ، وهو ما يوضع على ظهر الفرس ساترا له . (المعنى) كأن قطيع بقر الوحش عند ما اجتهدن فى أن يجرين جرية الجمزى (وهو جرى سريع مع وثب) خيول تجرى عليها أجلال

بِجَالِ الصُّــوارِ ، واتَّقَــيْنَ بِقَرهَبٍ طَوِيلِ القَرَا والرَّوْقِ أخنَسَ ذَيَّالِ(١)

فَعَادَيْتُ منـــه بينَ ثَورٍ ونَعجةٍ وكانَ عِدائى إذ رَكِبتُ على بالِى(٢)

كأنّى بِفَتْخاءِ الجَنَاحَيْنِ لَقْــوةٍ على عَجَلٍ منهــا — أُطَأطِئُ شِملالِ(٣)

تَخَطَّفُ خِزّانَ الأُنَيْعِمِ بالضُّــحَى وقـــد جَحَرتْ منهــا ثَعالِبُ أورَالِ(٤)

كأنّ قلوبَ الطَــيرِ رطبًا ويابسًــا لدى وَكرِها — العُنَّابُ والحَشَفُ البالِى(٥)

---

(١) بجال : دار . والقرهب : الكبير الضخم من الثيران ، والقرا : الظهر . والروق : القرن ، والأخنس : المنخفض قصـــبة الأنف ، وذلك من صفات البقــــر ، والذيال : الطويل الذيل . (المعنى) فدار هذا القطيع دورة . واتقين الصائد بهذا القرهب وتسترن به ، وجعلنه مما يلى الصائد ؛ لأنه أشدهن . وهذا القرهب طويل الظهر والقرن أخنس الأنف طويل الذنب .

(٢) فعاديت منــه : أى به وعادى بين الصيدين عداء : والى العــدو وتابعه فى طلق واحد . وكان عدائى الخ أى كان على تهمم منى واشتغال به .

(٣) الفتخ : لين وطول فى جناح الطائر . واللقوة : السريعة التى تخطف كل شىء . وطأطأ فرسه : وخزه بفخذيه وحركه للعدو ، والشملال السريعة الخفيفة ؛ يريد فرسه . (المعنى) كأنى عند ما حثثت فرسى وهجتها للعدو — أستحث عقابا طويلة الجناحين سريعة عجلة . أى أن فرسه تشبه العقاب .

(٤) الأنيعم وأورال : موضعان . والخزان : جمع خزز «بضم ففتح» وهو ذكر الأرانب . وجحرت : اختفت فى أجحارها . (المعنى) أن هذه العقاب التى شبه بها فرسه تخطف أرانب الأنيعم ، أما ثعالب أورال فلخبثها تدخل أجحارها .

(٥) العناب : ثمر كالنبق أحمر . والحشف : الردىء المنقبض من التمر (المعنى) كأن قلوب الطير الرطب منها واليابس فى وكر هذه العقاب عناب وحشف بال ، أى أنها تأتى بقلوب الطير تطعم فراخها بها لصغر حجمها . ولكثرة ما تصيد يبقى الكثير منها فى وكرها ما بين حديث رطب وعتيق يابس .

فلو أنّ ما أسـعَى لأدنى معيشـةٍ كفانى (ولم أطلبْ) قليلٌ مِن المـال[١]

ولكنما أسـعى لمجـد مُـؤَثَّلٍ وقد يُدرِكُ المجـدَ المؤثّلَ أمثالى[٢]

وما المـرءُ ما دامتْ حُشاشةُ نفسِه بمُدرِكِ أطـرافِ الخُطوب ولا آلِ[٣]

ومن مأثور قوله :

وقـد طَـوَّفتُ فى الآفاق حَتَّى رَضِيتُ منَ الغَنيمـةِ بالإِيَاب[٤]

ومنه قوله :

إذا المـرءُ لم يَخزُنْ عليـهِ لسـانَه فليَسَ على شىء سـواه بخـزَّان[٥]

(١و٢) فاعل كفانى : لفظ قليل — ومفعول أطلب محذوف تقديره ولم أطلب الملك الذى أسعى لاسترجاعه ، وانمـا يرضى بالقليل من يسعى لأدنى معيشة ، أى أطلب عيشة الملك والمجـد المؤثل الأصيل فينا ولو لم أسع له لـكفانى القليل من المـال .

(٣) الحشاشة : بقية النفس . والخطوب : الأمور العظيمة . وأطرافها : غاياتها . والآلى : المقصر . (المعنى) أن الانسان مع سعيه فى دوام حياته لا يدرك نهاية كل ما يريد ، ولو لم يقصر فى الطلب .

(٤) أى وقد أكثرت الطواف فى الآفاق حتى أعيانى الطواف ، وحتى رضيت أن أعود بدل الغنيمة الى أهلى بنفسى . وكان أكثر خروجهم وأسفارهم لطلب الغنائم .

(٥) أى اذا عجز المرء عن ضبط الكلام الذى يخرج من لسانه فهو عن ضبط غيره أعجز .

(٢) لِزُهَيْر[1] بن أَبِي سُلْمَى من معلقته التى مطلعها :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ۝ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ[2]

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا ۝ تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالدَّمِ[3]

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِى طَافَ حَوْلَهُ ۝ رِجَالٌ بَنَوْهُ : من قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ[4]

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزنى ، أحد فحول شعراء الجاهلية الأربعة . وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى ثم هو أعفهم قولا وأكثرهم تهذيبا لشعره ، وآل أبي سلمى نشأوا فى غطفان أحلافا لهم ، وان كان نسبهم فى مزينة ، وتخرج زهير فى الشعر على بشامة بن الغدير الشاعر خال أبيه ، وعلى زوج أمه أوس بن حجر شاعر مضر فى زمانه ، ففاقهما فى الشعر ، وله ديوان شعره كثير منه فى مدح هرم بن سنان الذبيانى المرى ، ومن مدائحه فيه هذه المعلقة ، مدحه بها لحسن سعيه هو والحارث بن عوف فى الصلح بين عبس وذبيان فى حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى ، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير . ومات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنة .

(٢) أم أوفى : امرأة زهير ، والدمنة : ما اسودّ من آثار الدار من الرماد ونحوه ، وحومانة : القطعة من الرمل ، الدراج والمتثلم : موضعان بنجد (المعنى) أمن دمن أم أوفى دمنة لم تتكلم عند وقوفنا عليها وسؤالنا لها : أين أصحابك ؟ أو قولنا لها : ما كان أطيب أيامنا فيك !

(٣) غيظ بن مرة : حى من غطفان منه هذان الرجلان الساعيان فى الصلح بين العشيرة ، يريد بهما هرم بن سنان والحارث بن عوف الممدوحين ، وتبزل بالدم : تشقق به (المعنى) سعى هذان السيدان فى الصلح بعد ما تشقق ما بين العشيرة من الألفة والمودّة بالدم .

(٤) جرهم : قبيلة يمانية كانت تملك سدانة الكعبة قبل قريش .

يَمِينًا لَنِعْمَ السَّـيِّدانِ وُجِدْتُمـا ... على كُلِّ حالٍ : من سَحِيلٍ ومُـبْرَمِ (١)

تَدارَكْتُما عَبْسًا وَذُبْيانَ بَعْـدَ مَا ... تَفانَوْا ، وَدَقُّوا بَيْنَهُـمْ عِطْرَ مَنْشِمِ (٢)

وقد قُلْتُما : إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِـعًا ... بِمالٍ ومَعْروفٍ من الأَمْرِ ـ نَسْلَمِ

فَأَصْبَحْتُمَا منهـا على خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيدَيْنِ فيها من عُقُوقٍ ومَأْثَمِ (٣)

عَظِيمَيْنِ فى عُلْيا مَعَـدٍّ وغيرِها ... وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزًا مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ (٤)

فَأَصبَحَ يجرى فيهِـمُ مِنْ تِلادِكُمْ ... مَغَـانِمُ شَتَّى مِن إِفَالِ المُـزَنَّمِ (٥)

تُعَفَّى الكُلُومُ بِالمِئِينَ ، فَأَصبحتْ ... يُنَجِّمُها مَن ليس فيهـا بِمُجْـرِمِ (٦)

فَمَنْ مُبْلِـغُ الأَحْلافِ عَنِّى رِسَالَةً ... وَذُبْيانَ : هل أقسمتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ (٧)

فلا تَكْتُمُنَّ اللهَ ما فى نفوسِـكُمْ ... لِيَخْفَى ، ومَهْما يُكْتَمِ اللهُ يَعْـلَمِ

---

(١) السحيل : الخيط أو الحبـل يفتل فتلا واحدا ، والمبرم : ما يفتل خيطين ثم يفتلان ثانيـة ويجعلان خيطا واحدا (المعنى) أقسم يمينا لنعم السيدان أنتما فى حال الرخاء وحال الشدّة .

(٢) « دقوا بينهـم عطر منشم » : مثل يضرب فى شدّة التشاؤم وانتشار الشر بين القوم ، وأصله أن امرأة عطارة تعطر أقوام بعطرها وخرجوا للحرب فهلكوا .

(٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأثم : الإثم .

(٤) معد بن عدنان أبو القبائل النزارية ومنها الممدوحان .

(٥) التلاد من الإبل : ماولد عندك ، والإفال : جمع أفيـل ، وهو الفصيل الصـغير ، والمزنم : فحل كريم من الإبل زنموا أذنه ، أى ميزوه بعلامة . يقول : أصبح يجرى فى أوليـاء المقتولين من نفاس أموالكم غنائم شتى من إبل صغار معلمة .

(٦) التعفية : المحو وإزالة الأثر . والكلوم : الجراح . وينجمها : يدفعها نجوما أى أقساطا . (المعنى) أن الجراح يمحى أثرها ببذل المئين من الإبل يغرمها على أقساط من لم يجن فيها جريمة ، وهما الممدوحان .

(٧) يريد بالأحلاف القبائل التى حالفت ذبيان على حرب عبس ، و « هل » هنا بمعنى « قد » مثل « هل أتى على الانسان حين من الدهر » . (المعـنى) أبلغ ذبيان وأحلافها بأنكم قد أقسمتم كل قسم عظيم على الصلح ، فلا تضمروا الغدر وتكتموه ؛ فان الله يعلمه ، ويعاقبكم عليه فى يوم الحساب ، أو يعجل عقابكم — ومن هذا يعرف أنه كان مؤمنا بالبعث .

يُؤَخَّرْ ، فَيُوضَعْ فى كتابٍ ، فَيُدَّخَرْ ... لِيومِ الحسابِ ، أَوْ يُعَجَّلْ ، فَيُنْقَمِ

وَمَا الحربُ إِلّا ما عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ... وما هُوَ عنها بالحَديثِ المُرَجَّمِ (١)

مَتَى تَبْعَثُوها تبعثوها ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوها ، فَتَضْرَمِ (٢)

فَتَعْرُكْكُمْ عَرْكَ الرَّحا بِثِفَالِها ، ... وتَلْقَحْ كِشَافًا ، ثُمَّ تَحْمِلْ ، فَتُتْئِمِ (٣)

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ ، كُلُّهُمْ ... كَأَحْمَرِ عادٍ ، ثم تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ (٤)

فَتُغْلِلْ لَكُمْ ما لا تُغِلُّ لِأَهْلِها ... قُرًى بالعِراقِ مِن قَفِيزٍ ودِرْهَمِ (٥)

---

(١) المرجم من الحديث المقول بطريق الظن ، لا عن تحقيق . أى : وما حديثى عن الحرب وتخويفكم ويلاتها بالحديث المفترى ، بل أنتم قد علمتم ويل الحرب وذقتموه ، فلا تقربوها .

(٢) الضرى والضراوة : شدة الحرص ، والتضرية : الحمل على الضراوة . وضرمت النار تضرم : التهبت . (المعنى) متى تهيجوا الحرب تهيجوها مذمومة ، ويشتد حرها ، وتضطرم نارها .

(٣) العرك : الدلك ، والثفال : الجلد أو الخرقة توضع تحت الرحا ليقع عليها الطحين ، والباء فى « بثفالها » بمعنى « مع » أى الرحا فى حال طحنها . و « تلقح كشافا » أى وتلقح لقاحا كشافا بأن تحمل فى عامين متواليين ، وتتئم أى تأتى فى كل مرة من المرتين بتوأمين . (المعنى) إذا هجتم الحرب طحنتكم طحن الرحا ، وتدوم زمنا طويلا فى شدة ، فتكون كالناقة التى تحمل حملين فى عامين متتابعين ، ثم هى لا تلد إلا توأمين .

(٤) أشأم : مصدر من الشؤم على وزن أفعل أو صفة لمحذوف . وأحمر عاد لقب لعاقر ناقة صالح نبى ثمود عليه السلام ، وسموه قدارا ، وكان عقره لهذه الناقة شؤما على قومه ، ويريد بعاد هنا ثمود : إما توهما وخطأ ، وإما أن ثمودا من عاد . (المعنى) ان هذه الحرب يطول أمرها وتنتج لكم غلمان شؤم أو غلمان أب أشأم شؤم قدار عاقر الناقة ، ثم تعيش هذه الغلمان ، فترضع وتفطم . وكل ذلك كناية عن طول الحرب وشرورها .

(٥) أى تغل لكم غلة ليست كغلة قرى العراق من الحب الذى يكال بالقفيز ، أو من ثمن الغلة وهى الدراهم . وإنما تغل لكم غلة هى الموت والهلاك .

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ ... بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ (١)

وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ ... فَلا هُوَ أَبْدَاهَا ، ولم يَتَجَمْجَمِ (٢)

وَقَالَ : سَأَقْضِي حَاجَتِي ، ثُمَّ أَتَّقِي ... عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِيَ مُلْجَمِ (٣)

فَشَدَّ ، ولم تَفْزَعْ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ ... لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ (٤)

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ ... لَهُ لِبَدٌ ، أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ (٥)

جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُلْمِهِ ... سَرِيعاً ، وَإِلَّا يُبْدَ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ (٦)

---

(١) يؤاتيهم : يوافقهم . (المعنى) نعم الحى الذين رضوا بالصلح بعد ما جر عليهم الحصين بن ضمضم من تلك الجريرة والجناية التى لا تجعلهم يوافقون على الصلح ، ثم أخذ يقص قصة الحصين بقوله : « وكان طوى كشحا الخ » وملخص هذه القصة أن رجلا من بنى عبس قتل أخا للحصين بن ضمضم قبل الصلح ، فلما اصطلحت عبس وذبيان أضمر الحصين بن ضمضم الأخذ بالثأر بقتل قاتل أخيه أو بقتل رجل من أهله الى أن لق رجلا من عبس فشدّ عليه وقتله ، واعتمد على أن يناصره ألف فارس من قومه اذا غضبت عبس لقتيلها ، فثارت عبس وتدارك الحارث بن عوف الشر ، فدفع لعبس مائة من الإبل دية القتيل وتم الصلح بين عبس وذبيان .

(٢) مستكنة أى فعلة أو جريمة مستكنة مستترة فى نفسه ، فلا هو أظهرها حتى يؤخذ الحذر منه ولا هو تردد فى الإقدام عليها .

(٣) أى وقال فى نفسه : سأقضى حاجتى بقتل قاتل أخى ، وأدفع عن نفسى بألف فرس ملجم أى بألف فارس من قومى .

(٤) أم قشعم : كنية للنية ، ومعنى إلقاء رحلها فى مكان تحقق الموت فيه . (المعنى) فشدّ الحصين على العبسى غدرا من غير أن تعلم بذلك بيوت كثيرة من عبس ، فكانت تفزع لصاحبها وتدفع عنه ، وإنما شدّ عليه عند موضع نزل فيه الموت المحقق الذى لا يدفع .

(٥) يصف جيش عبس الذى لم يعلم بالجريمة ولو علم بها لدافع عنها . ويقول : كان هذا عند رجل كالأسد الذى له لبد على عنقه ، ولم تقلم أظفاره ، وأنه شاكى السلاح يقذف به فى الحروب .

(٦) يصف هذا الجيش بأنه جرىء ، إذا ظلم عاقب ظالمه سريعا بظلمه ، وإن لم يبدأه الناس بالظلم بدأهم هو بظلمه لثقته بنفسه .

رَعَوْا مارَعَوْا مِنْ ظِمْئِهِم، ثم أَوْرَدُوا ... غِمَاراً تَسِيلُ بالرِّماحِ وبالدَّمِ (١)

فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَصْدَرُوا ... إلى كَلَإٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ (٢)

لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ ... دَمَ ابنِ نَهِيكٍ أَوْ قَتِيلِ المُثَلَّمِ (٣)

وَلَا شَارَكُوا فى القَوْمِ فى دَمِ نَوْفَلٍ، ... ولا وَهَبٍ مِنْهُمْ، ولا ابنِ المُخَزَّمِ

فَكُلًّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ ... عُلَالَةَ أَلْفٍ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَتَّمِ (٤)

تُسَاقُ إلى قَوْمٍ لِقَوْمٍ غَرَامَةً ... صَحِيحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرَمِ

لِحَيٍّ حِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ ... إذا طَلَعَتْ إِحْدَى اللَّيَالِى بِمُعْظَمِ (٥)

---

(١) يقال رعت الماشية الكلأ ورعاها صاحبها الكلأ أيضا ، والظمء : ما بين الشربتين وحبس الإبل عن الماء الى غاية النوبة ، والغمار : جمع غمر وهو الماء الكثير . ويريد بالظمء هنا وبورود الغمار الرجوع الى الحرب . (المعنى) تركوا الحرب وبقوا يتمتعون بنعيم السلم مدة ، ثم عادوا وأوردوا أنفسهم غمارا منها لا تسيل إلا بالرماح والدم .

(٢) قضوا : أنفذوا . وأصدروا : أرجعوا ، والكلأ المستوبل : هو ما تجده وبيلا من العشب ، أى يجلب الوبال ، والمتوخم بمعناه . (المعنى) أنهم بمنزل رعى الكلا الوبيل . ثم أضرب عن هذا الكلام وعاد الى مدح الذين أعطوا ديات القتلى فقال : لعمرك الخ .

(٣) ابن نهيك ، والقتيل الذى قتل فى المكان المثلم ، ونوفل ووهب وابن المخزم ، كل هؤلاء عقلهم هرم بن سنان والحارث بن عوف ، أى غرموا دياتهم لأولياء دمائهم مع أنهم لم يقتلوهم برماحهم ، وإنما غرموا تبرعا وإيثارا للصلح بين القبيلتين .

(٤) العلالة : الشىء بعد الشىء . والمصتم : التام . والمخرم : الطريق فى أعلى الجبل (المعنى) أرى هؤلاء الكرام يعقلون القتلى بألف تام العدد بعدها ألف أخرى من الابل الصحيحات التى تساق الى أولياء القتلى طالعات فى أعالى الجبل لأجل الرعاية للقوم القاتلين .

(٥) الحى الحلال : الكثير العدد ، أو المتقاربون فى المنازل ، المعظم : الخطب العظيم . (المعنى) تساق هذه الابل ، لأجل المحافظة على ولاء حى يحفظون جيرانهم اذا نزلت بهم الخطوب العظيمة وهم =

كِرامٍ، فلا ذُو الوِتْرِ يُدرِكُ وِتْرَه لَدَيْهِمْ، ولا الجَانِي عليهم بِمُسْلِم

(٣) لعَمرو بن كُلثوم من معلقته التى مطلعها :[1]

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينا ولا تُبْقِي خُمورَ الأَنْدَرِينَا[2]

***

أَبَا هِنْدٍ فلا تعجَلْ علينا وأَنظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليقينَا[3]

بِأَنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضًا ونُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا[4]

وَأيَّامٍ لنا غُرٍّ طِوالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أن نَدِينَا[5]

وسَيِّدِ مَعْشَرٍ قد تَوَّجُوه بتاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِينَا[6]

= كرام شجعان لا يدرك صاحب الوتر – أى الثأر – وتره منهم، ولا الجانى عليهم ا جرعليهم من الجنايات فى العشائر الأخرى بمسلم أى مخذول لا ينتصر له .

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبى سيد تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب وشعرائهم المشهورين بقصيدة واحدة والمجيدين للفخر . وأمه ليلى بنت مهلهل أخى كليب . قال هذه المعلقة فى ملاحاة وقعت بينه و بين الحارث بن حلزة اليشكرى فى مجلس الملك عمرو بن هند يصف فيها حديثه مع ابن هند، ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة — ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

(٢) الصحن : القدح الواسع، وأصبحينا أى أسقينا الصبوح وهو الشرب فى الصباح، والأندرين : قرية جنوبى حلب من بلاد الشام .

(٣) أنظرنا : أى أمهلنا .

(٤) أى أنا نورد راياتنا الحرب وهى بيض، ونصدرها وهى حمر، وقد رويت من دماء أعدائنا .

(٥) أى ونخبرك بأيام حرب لنا مشهورة عصينا الملك فيها أن نخضع له ونذل .

(٦) المحجرون : اللاجئون الى من يحميهم، مشتق من أجحره اذا ألجأه الى المضيق . وخبر "سيد" فى البيت الذى بعده .

تركنا الخيلَ عاكفةً عليه ... مُقلَّدةً أعنّتَها صُفونا (١)

وأنزلنا البيوتَ بذي طُلوحٍ ... إلى الشاماتِ تَنفي الموعِدينا (٢)

وقد هرّتْ كلابُ الحيِّ منّا ... وشذّبنا قتادةَ من يلينا (٣)

متى ننقلْ إلى قومٍ رحانا ... يكونوا في اللقاءِ لها طَحينا

يكونُ ثِفالُها شرقيَّ نجدٍ ... ولُهوتُها قُضاعةَ أجمعينا (٤)

نزلتم منزلَ الأضيافِ منّا ... فأعجلنا القِرى أن تشتمونا (٥)

قريناكم فعجّلنا قِراكم ... قُبيلَ الصبحِ مِرداةً طَحونا

نَعُمُّ أناسَنا، ونَعِفُّ عنهم ... ونَحمِلُ عنهمُ ما حمّلونا (٦)

---

(١) أى قتلناه واسترحنا منه ونزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه وسلب أصحابه، فبقيت خيولنا واقفة عليه صافنة. والصافن: القائم، أو الذى يرفع إحدى قوائمه لعبا.

(٢) ذو طلوح: مكان بجنوبى نجد بين اليمامة ومكة، والشامات: جمع شامة، والشامة والشامات تسمى بهما بلاد الشام أحيانا، وتنفى الموعدين أى تزيل من بين هذين البلدين أعداءنا الذين يوعدوننا، فنملك هذه الأرضين الواسعة، وننزل بها بيوتنا.

(٣) هرت الكلاب: نبحت خوفا، والتشذيب: قطع أغصان الشجرة أو شوكها، والقتادة: الشوكة، أى أذهبنا شوكة من يلينا ويقرب منا من الأعداء.

(٤) الثفال: جلدة أو خرقة تجعل تحت الرحا يسقط عليها الطحين، واللهوة: القبضة من الحب تلقى فى الرحا (المعنى) أن كيدنا وحربنا تشبه الرحا، وهذه الرحا تدور بالحرب فى شرقى نجد وتلتهم قضاعة أجمعين وهى قبيلة عظيمة.

(٥) القرى: الضيافة. يسخر بأعدائه ويقول: نزلتم علينا فى إغارتكم كالأضياف، فعجلنا قراكم بحرب طحون خشية شتمكم إيانا، وجعلنا ضيافتكم قتالا طحنكم كطحن المرداة للحجارة. والمرداة الصخرة التى تكسر بها الحجارة ويدق بها النوى.

(٦) أى نعم قومنا بخيرنا اذا أيسرنا، ونعف عن أموالهم اذا أعسرنا، ونتحمل عنهم ما حملونا من الديات والمغارم والدفاع.

نُطاعِنُ ما تَراخَى الناسُ عنّا ... ونَضرِبُ بالسُّيوفِ إذا غُشِينا (١)

بِسُمْرٍ من قَنا الخطِّىِّ لُدْنٍ ... ذَوابِلَ ، أو ببِيضٍ يَعْتَلِينا (٢)

نَشُقُّ بها رءوسَ القوْمِ شَقًّا ... ونُخْلِيها الرِّقابَ ، فتَخْتَلِينا

كأَنَّ جَماجِمَ الأبْطالِ فيها ... وُسُوقٌ بالأَماعِزِ يَرْتَمِينا (٣)

وأن الضِّغْنَ بعد الضِّغْنِ يبدو ... عليك ، ويُخرِجُ الداءَ الدَّفِينا (٤)

ورِثْنا المجْدَ قد عَلِمتْ مَعَدٌّ ... نُطاعِنُ دونَهُ حتى يَبِينَا (٥)

ونحنُ إذا عِمادُ الحَىِّ خرَّت ... على الأَحْفَاضِ نَمنَعُ من يَلِينَا (٦)

نَجُدُّ رءوسَهمْ فى غيرِ بِرٍّ ... فما يَدرون ماذا يَتَّقُونا (٧)

---

(١) أى أننا نحسن استعمال السلاح ؛ فنطاعن أعداءنا بالرماح اذا لم يلاصقونا ودنت أشخاصهم منا ، فاذا لاصقونا ضاربناهم بالسيوف .

(٢) ثم وصف هذه الرماح التى يطاعن بها ، فقال : إنها سمر لنضجها فى منابتها ، وانها من القنا الخطى أى منسوبة الى بلدة الخط على ساحل البحرين من خليج فارس تجلب منها الرماح ، واللدن جمع لدن (كسهم) وهو المرن فى صلابة . ووصف السيوف فقال إنها بيض تعتلى الرءوس فتشق هاماتها ، ونضرب بها الرقاب فتقطعها كما يقطع المحش الخلا وهو النبات الرطب ، أى نجعل الرقاب لها كالخلا ، فتختليها أى تحشها .

(٣) الأماعز : جمع أمعز ، وهى الأرض الصلبة الكثيرة الحصى ، والوسوق : جمع وسق ، وهو الحمل . يقول كأن رءوس الشجعان أحمال إبل تسقط فى الأراضى الصلبة .

(٤) الضغن : الحقد الذى يخفى .

(٥) معد بن عدنان أبو الشعب العظيم المقابل لشعب قحطان ، والشاعر من شعب معد — يقول : تعلم قبائل معد جميعهم أننا ورثنا المجد عن آبائنا فلم نفرط فيه بل دافعنا دونه حتى لا يزايلنا ويخفى عنا .

(٦) العماد : جمع عمود ، وخرت : سقطت ، والأحفاض : جمع حفض (كسبب) وهو متاع البيت . وسقوط الأعمدة على أمتعة البيت كناية عن تقويض البيوت للرحلة والطعن (المعنى) إذا حل غيرنا خيامهم للهرب ، فنحن لا يطمع فينا طامع بل نحمى أنفسنا ، ونمنع جيراننا .

(٧) أى فنقطع رءوسهم فى غير بر منا ، ولا شفقة عليهم ، ونذهلهم ؛ فلا يدرون أى شىء يجانبونه ويبتعدون عنه من السلاح لأن سيوفنا تعجلهم عن الاتقاء .

كأنَّ سُيوفَنا فِينَا وفيهِمْ ... مَخَارِيقٌ بأيدِى لاعبينا (١)

كأن ثيابَنا منَّا ومنهمْ ... خُضِبْنَ بأُرْجُوانٍ أو طُلِينا (٢)

إذا ما عَىَّ بالإسْنافِ حَىٌّ ... من الهَوْلِ المُشبَّهِ أن يكونا (٣)

نَصبْنَا مِثلَ رَهْوَةَ ذاتَ حَدٍّ ... مُحافظةً، وكُنَّا السابِقينا

بشُبانٍ يَرَوْنَ القتلَ مَجْدًا ... وشِيبٍ فى الحروبِ مُجَرَّبينا

حُدَيَّا الناسِ كلِّهمُ جميعًا ... مقارعةً بنيهمْ عن بنينا (٤)

فأمَّا يومَ خَشْيَتِنا عليهمْ ... فتُصْبِحُ خيلُنا عُصَبًا ثُبِينا (٥)

وأما يوْمَ لا نخشى عليهم ... فنُمعِنُ غارةً مُتَلَبِّبينا (٦)

---

(١) لم يصف أعداءه بالجبن وقلة الدفاع عن أنفسهم، بل يقول إننا انتصرنا على أقوام شجعان ماهرين فى استعمال السيوف مثلنا؛ فكانت سيوفنا وسيوفهم كمخاريق بأيدى لاعبين. والمخاريق: جمع مخراق، وهو المنديل أو الخرقة تلف ويضرب بها، وهى لعبة من لعب الصبيان (الطرة).

(٢) الأرجوان: صبغ أحمر، كأن ثيابنا وثيابهم صبغت بالصبغ الأحمر من كثرة الدماء.

(٣) عىّ بالأمر: تحير فيه ولم يهتد لوجه الصواب فيه، والإسناف التقدم بالخيل الى القتال (المعنى) اذا تحير قوم فى الإقدام على القتال من شدة الهول المخشى أن يقع نصبنا نحن للقتال كتيبة ضخمة مثل جبل (رهوة) ذات حد وشوكة محافظة على أحسابنا؛ وكان غيرنا المترددين، وكنا نحن السابقين الى القتال بشبان الخ.

(٤) الحديا: مصغر الحدوى: اسم من التحدى، وهو المباراة ومنازعة الغلبة فى الأمر العظيم (المعنى) نحن حديا الناس كلهم لا نخشى قوما منهم، بل نتحدى الجميع، ونقول لهم اخرجوا الى قتالنا: نفعل ذلك من أجل مقارعتنا (أى مضاربتنا وممانعتنا) بنيهم عن بنينا.

(٥) العصب: الجماعات، والثبون الجماعات من الخيل والناس فى تفرقة، جمع ثبة (بالضم).

(٦) أمعن فى الأمر: أبعد فيه وتوغل، وهو يتعدى بحرف الجر (فى) واذن فتكون غارة منصوبة على أنها مفعول مطلق، أو على الظرفية على تقدير وقت الغارة، أو على نزع الخافض، والتلبب التحزم =

برأسٍ من بَنِي جُشَمَ بنِ بَكْرٍ ... نَدُقّ به السُّهولَةَ والحُزونا (١)

ومنها يفتخر بقومه :

وقد عَلِم القبائلُ من مَعَدٍّ ... إذا قُبَبٌ بأبطحها بُنِينا

بأنّا المطعِمُون إذا قدرنا ... وأنا المهلِكُون إذا ابتُلينا (٢)

وأنا المانِعون لما أردنا ... وأنا النازِلُون بحيثُ شِينا (٣)

وأنا التاركون إذا سَخِطنا ... وأنا الآخِذون إذا رضينا (٤)

ونشْرَبُ إن وَرَدْنا الماءَ صَفْوًا ... و يشربُ غيرُنا كدرًا وطِينا (٥)

إذا ما المَلْكُ سام الناس خَسْفًا ... أَبَيْنا أن نُقِرَّ الذُّلَّ فينا

لنا الدنيا ومَن أمسَى عليها ... ونَبْطِشُ حينَ نبطش قادرينا

بُغاةً ظالمين وما ظُلِمنا ... ولكنا سنبدأ ظالمينا (٦)

= بالسلاح ، والتشمير فى الأمر (المعنى) أننا يوم خوفنا على أبنائنا من إغارة أعدائنا علينا نستعد للقتال مبكرين وننشر خيلنا فى الأرض فرقا وجماعات للدفاع عنهم ، وفى يوم أمننا عليهم نبادئ نحن غيرنا من الأعداء بالإغارة عليه مبعدين فيها ، منشمرين لها ، مدججين بالأسلحة ؛ فالقتال دأبنا فى الخوف والأمن .

(١) الرأس : الحى الذين لايحتاجون إلى إعانة أحد ، أو الرأس : رئيس القوم وسيدهم ، وجشم بن بكر أحد أجداد الشاعر . (المعنى) أننا عند إمعاننا فى الغارة نغير على أعدائنا بحى من بنى جشم ابن بكر لا يحتاجون الى نجدة غيرهم ، فندق بهم السهول والأوعار ، أى نهزم الضعاف والأشداء ، أو نغير عليهم يقودنا فارس هذه صفته .

(٢) يعنى أننا إذا قدرنا على الناس لا نستذلهم بل نطعمهم ونرغد عيشهم ، وإذا ابتلانا عدونا بحرب أهلكناه .

(٣) يريد أننا نمنع ونحمى ما نريد من البلاد والناس ، فلا يستطيع أحد أخذه منا ولا معارضتنا فلنا البلاد ننزل أى مكان شئنا .

(٤) أى أننا أقوياء أحرار لاسيطرة لأحد علينا ، نترك الشىء ونأخذه كما نهوى .

(٥) أى لا يشرب الناس من المورد إلا بعد أن نشرب ، فيكون الماء قد تكدر بالطين .

(٦) كانت العرب تتباهى بالحرية والمنعة و يفخرون بأنه ليس فى استطاعة غيرهم أن يظلمهم لقوته ، بل هم الذين يبدءون غيرهم بالظلم لاعتقادهم أن (من لا يظلم الناس يظلم) .

ملأنا البرَّ حتى ضاق عنا ... ونحن البحرَ نملؤه سفينا [1]

إذا بَلَغ الرضيعُ لنا فِطاما ... تخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا

(٤) عنترة بن عمرو بن شدّاد العبسىّ [2] :

من معلقته التى مطلعها :

هل غادرَ الشعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ... أم هلْ عرفتَ الدارَ بعْدَ توهُّمِ [3]

* * *

أثنِي علَىَّ بما علِمتِ ؛ فإننى ... سَمْحٌ مُخالَقَتى إذا لم أُظْلَمِ [4]

فإذا ظُلِمْتُ فإن ظُلْمِى باسلٌ ... مرٌّ مَذاقَتُه كطعمِ العَلْقَمِ [5]

---

(١) كانت تغلب تسكن شواطئ الفرات وربما امتدت ديارهم إلى ساحل الخليج الفارسى ؛ ولذلك يقع فى شعر تغلب وأختها بكر بن وائل ذكر السفن وأدواتها .

(٢) هو أحد فرسان العرب وأغربتها (سودانها) وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وأمه أمة حبشية يقال لها « زبيبة » على وزن كبيرة . وكان أبوه وأهله يعدونه فى عداد العبيد على عاداتهم فى أبنائهم المولدين من الإماء ، فكان يرعى إبلهم وخيلهم ، ولكنه كره ذلك ، ومارس الفروسية ، وأنقذ قومه من المهالك فى غارات أعدائهم عليهم ، فأعتقه أبوه ، وخاض مع قومه أكثر الوقائع ، ومنها حروب داحس والغبراء ، حتى صار فارس عبس الأوحد ، وضرب به المثل فى الشجاعة . ومات قبيل الإسلام .

(٣) غادر بمعنى ترك و (من) زائدة . والمتردم : اسم مفعول من تردم ثوبه بمعنى أصلحه ورقعه . و (أم) بمعنى بل للإضراب . والتوهم : التفرس . (المعنى) هل ترك الشعراء شيئا من الشعر لم يصلحوه ويهذبوه أو معنى لم يسبقوا اليه حتى يتهيأ لمثلى أن يأتى به . ثم خاطب نفسه وقال : بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تفرسك فى آثارها .

(٤) المخالقة : المعاشرة بخلق حسن ، والخطاب لحبيبته .

(٥) الباسل هنا الكريه ، والبشع الطعم . والعلقم : الحنظل وكل شىء مر الطعم جدا .

ولقد شرِبْتُ من المُدامةِ بعْـدَ ما ... رَكدَ الهــواجرُ بالْمَشُوفِ المُعْلَمِ (١)

بِزُجاجةٍ صــفراءَ ذاتِ أسِرَّةٍ ... قُرِنَتْ بأزهرَ فى الشِّمال مُفَــدَّمِ (٢)

فاذا شَرِبتُ فإنّنى مســتهلِكٌ ... مالِى ، وعِرضى وافــرٌ لم يُكْلَمِ (٣)

و إذا صَحوتُ فمـا أُقَصِّرُ عن نَدًى ... وكما علِمتِ شمـائلى وتكرُّمى

وحَليـلِ غانيــةٍ تركتُ مُجــدَّلاً ... تمكو فريصــتُهُ كشِدْقِ الأعلمِ (٤)

عَجِلتْ يداىَ له بمـارِقِ طَعْنــةٍ ... ورَشاشِ نافـذةٍ كلون العَنْــدَمِ (٥)

هلَّا سألتِ القــومَ يابْنــةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بمـا لَمْ تعلَمى

---

(١) الهواجر : جمع هاجرة ، وهى نصف النهار عنـد زوال الشمس أو من زوالهـا الى العصر . ومعنى ركود الهواجر سكونها ، أى سكون الناس فيها فى بيوتهم . والمشوف : المجلو . والمعلم : المنقوش ، وأراد به القـدح الذى شرب به الخمر ، أو الدينار ، أو الدرهم الذى اشتراها به ، والأقرب الأوّل ؛ لأن البيت الآتى يوضحه .

(٢) الزجاجة الصفراء : يريد بها القدح ، وصفرتها آتية من صفرة الخمرة . والأسرة جمع سرار بالكسر ، وهو الخط فى بطن الكف أو الوجه والجبهـة ، والمراد بهـا الحزوز والخطوط فى الكأس . والأزهر : الأبيض الحسن يريد به الأبريق . والمفدم : الذى عليه الفدام ، وهى المصفاة تكون على فم الأبريق . (المعنى) ولقد شربت المدامة بزجاجة صفراء أى كأس صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركبت على فمه مصفاة كان فى جهة الشمال من الكأس أو فى شمال الساقى .

(٣) وافر أى تام سليم لم يجرح بسب أو طعن فيه .

(٤) الحليل : الزوج . ومجدلا : صريعا على الجدالة وهى الأرض . وتمكو : تصفر وتصوّت . الفريصة : العضـلة التى ترعد من جسم الدابة أو الإنسان إذا خاف . والأعلم : المشقوق الشفة العليـا . (المعنى) ورب زوج غانية حسناء قتلته ، وتركته صريعا على الأرض تصوّت فريصته من شدّة انفجار الدم منها بعد طعنة فيها كشدق الرجل الأعلم .

(٥) مارق طعنة : أى بطعنة عاجلة . ورشاش نافذة : أى وبرشاش طعنة نافذة الى الجوف . ولون هذا الرشاش كلون الصبغ الأحمر المسمى العندم .

إذ لا أزالُ على رِحالةِ سابحٍ ... نَهْدٍ تعاوَرُهُ الكُماةُ مُكَلَّمِ (١)

طوراً يُعرَّضُ للطِّعانِ، وتارةً ... يأوي إلى حَصِدِ القِسيِّ عَرَمْرَمِ (٢)

يُخْبِرْكَ مَنْ شهِدَ الوقائعَ أنني ... أَغشى الوغَى وأَعِفُّ عند المغنَمِ (٣)

ومُدَجَّجٍ كرِهَ الكماةُ نِزالَهُ ... لا مُمْعِنٍ هرَباً ولا مستسلمِ (٤)

جادت يدايَ له بعاجلِ طعنةٍ ... بمثقَّفٍ صَدْقِ القَناةِ مُقَوَّمِ

برَحيبةِ الفَرْغَينِ يَهدي جرسُها ... بالليلِ مُعْتَسَّ السِّباعِ الضُّرَّمِ (٥)

فشكَكْتُ بالرمحِ الطويلِ ثيابَهُ ... ليس الكريمُ على القَنا بمحرَّمِ (٦)

---

(١) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الغنم بأصوافها ؛ يتخذ للجرى الشديد ليس له قربوس ولا مؤخرة . والسابح : الفرس الذى يبسط يديه معا عند العدو . والنهد : الغليظ الصدر ، وتعاوره الكماة أى تتعاوره وتتناوبه الفرسان التاتو السلاح بالطعن ، والكماة : جمع كمى ، والمكلم المجرح .

(٢) الحصد من القسى : المحكم فتل أوتاره وربطها . والشىء العرمرم : الكثير . (المعنى) هذا الفرس يهيأ مرة لمقابلة الطعان ، وتارة للقسى المتينة الكثيرة ؛ فهو مدرب على الحروب .

(٣) يخبرك مجزوم فى جواب (هلا سألت) لأنه بمنزلة الأمر .

(٤) المدجج بالسلاح : الذى ستر به أى أنه تام السلاح مثل الكمى و(هربا) منصوب على أنه مفعول مطلق لأن أمعن يتعدّى بفى فكان حقه فى غير الشعر أن يكون لا ممعن فى الهرب ، ولكن لما كان لفظ ممعن يراد به معنى الهارب كان بمنزلة لا أدعه تركا (المعنى) ورب فارس تام السلاح تكره الأبطال التامو السلاح مثله نزاله ، وهو لا يهرب من الأعداء لفرط بأسه ، ولا يستسلم لهم فيأسروه ، قد ته بطعنة عاجلة من رمح مثقف مقوّم صدق القناة صلبها مستويها .

(٥) برحيبة الفرغين : بيان لقوله (بعاجل طعنة) ، ورحيبة : واسعة . والفرغ : مصب الماء من الدلو ، وللدلو فرغان . والجرس : الصوت . والمعتس من السباع : الطالب الشىء ليلا . والضرم : الجياع (المعنى) جادت يداى له بطعنة شقت من جسمه كالدلو الواسعة ، يهدى خرير الدماء منها جياع السباع الى قتيلها فتأتى لتأكله .

(٦) قالوا إن الثياب هنا كناية عن القلب لأن الرجل لا يقتل بشك الثياب وإنما المراد : أن الرمح شق ثيابه وخرق صدره وقلبه .

فتركته جَزَرَ السباعِ يَنُشْنَه ... ما بين قُلَّة رأسه والمِعصَمِ (١)

ومِشَكِّ سابِغةٍ هَتَكْتُ فُروجَها ... بالسيف عن حامى الحقيقة مُعْلَمِ (٢)

رَبِذٍ يَداهُ بالقِداحِ إذا شَتَا ... هَتّاكِ غاياتِ التِّجارِ مُلَوَّمِ (٣)

بَطَلٍ كأنَّ ثيابَه فى سَرْحةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِّبتِ ليس بِتَوْءَمِ (٤)

لما رآنى قد قصدتُ أريده ... أبدَى نواجذَه لغيرِ تَبَسُّمِ (٥)

فطعنتُه بالرمح ، ثم عَلَوْتُه ... بِمُهنَّدٍ صافى الحديدة مِخْذَمِ (٦)

---

(١) الجزر : جمع جزرة ، وهى الشاة تذبح أو الناقة . وينشنه : يعنى يتناولنه بالأكل من رأسه الى يده .

(٢) المشك : الدرع التى أحكم اتصال حلقها ومساميرها ، صفة جاءت على وزن مفعل كمسعر مشتقة من الشك بمعنى اللزوم واللصوق وشدّة الاتصال . والسابغة : الدرع الطويلة . ومعنى (هتكت فروجها) : شققت منافذها بالسيف . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه من الأهل والمال . والمعلم الذى أعلم نفسه فى الحرب بعلامة فلا يتنكر لجبنه (المعنى) ورب درع سابغة ملتصقة الحلقات ضيقة المنافذ شققتها بضربة من سيفى ، فانكشفت عن جسم فارس حام لأهله وقومه ، لا يتنكر فى الحرب بل يعلم نفسه بعلامة يعرف بها من فرط شجاعته .

(٣) الربذ : السريع الضرب بالقداح ، والغايات : الرايات ، والمراد بالتجار هنا تجار الخمر (المعنى) يصف هذا الفارس الذى هتك درعه بأنه كان كريما حاذقا يلعب القمار والميسر وخاصة فى الشتاء ، لأنه زمن الجدب فى بلاد العرب . فاذا نزل تجار الخمور بحيه ونصبوا راياتهم وعلاماتهم جاء فاشترى الخمر كلها لأصحابه فيقلعون راياتهم ، ويذهبون فيأكل الناس من الجزور التى كسبها أو خسرها ويشربون من الخمر فيكثر لوم أهله ونصحائه له على إتلافه ماله ، وهى صفات يفتخر بها أهل الفتوة من الأعراب .

(٤) السرحة : الشجرة الطويلة العظيمة غير الشائكة . والسبت بالكسر : جلود البقر أو كل نعال مدبوغة بالقرظ . والتوءم المولود مع غيره فى بطن واحد . يصف قتيله بالطول والضخامة والغنى وبأنه ليس من صعاليك الأعراب الذين يحتذون النعال غير المدبوغة وانه ليس بتوءم اذ التوءم يكون ضعيفا غالبا .

(٥) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو آخر الأضراس : أى فتح فمه من الفزع فبدت نواجذه .

(٦) أى علوته بسيف من صنع الهند قاطع .

عهـــدى به شَدَّ النهـارِ كأنّمـا خُضِبَ البَنانُ ورأسُـه بالعِظلِمِ (١)

إلى أن قال :

نُبِّئْتُ عَمْـرًا غيرَ شاكِرِ نِعـمَتِي والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنفسِ المنعِـمِ (٢)

ولقد حفِظتُ وَصاةَ عمّيَ بالضحى إذ تَقْلِصُ الشَّفتانِ عن وَضَحِ الفَمِ (٣)

فى حَوْمةِ الموتِ التي لا تَشْـتكِي غَمَـراتِها الأبطـالُ غيرَ تغمغُـمِ (٤)

إذ يتّقونَ بِيَ الأسِنّةَ لم أخِمْ عنهـا، ولو أنّى تضايقَ مُقْـدَمِى (٥)

لمـا رأيتُ القـومَ أقبـلَ جمعُهمْ يتـذامرون كرَرْتُ غيرَ مُذَمَّمِ (٦)

يَدْعُونَ عنترَ، والرماحُ كأنّهـا أشطانُ بِئرٍ فى لَبـانِ الأدهمِ (٧)

---

(١) شدّ النهار : أى عند شدّ النهار ، أى عند ارتفاعه ، وهو وقت الضحى . والعظلم : نبات النيلج تصبغ الثياب بعصارته ، فيكون لونها أسود الى زرقة . أى أن دم هذا القتيل جف على رأسه أصابه فاسود فصار كصبغ النيلج (النيلة) .

(٢) كفر النعمة : جحودها و (مخبثة) مصدر ميمى من خبث ضد طاب . أى أن كفران النعمة تنفر نفس المنعم عن الإنعام .

(٣) تقلص : تقصر وترتفع — أى حفظ وصية عمه بثباته وصبره عندما حاربوا أعداءهم وقت الضحى ، وقد انكشفت الشفتان من كل محارب عن بياض فمه ، أى عن أسنانه ، خوفا من القتل .

(٤) حومة كل شيء : معظمه ، أى فى ساحة الموت العظيمة . وفى حومة تتعلق بحفظت فى البيت السابق . والغمرات : الشدائد . والتغمغم : الصوت يسمع ولا يفهم .

(٥) لم أخم أى لم أجبن ، بل أقدم عليها ولو كان الموضع الذى أقدم عليه أمامى متضايقا من تزاحم الأعداء بهجومهم علىّ .

(٦) يتـذامرون : أى يحض بعضهم بعضا على القتال ، فعنـدئذ عطفت عليهم غير مذموم على عملى بل ممدوحا عليه .

(٧) عنتر : أى ياعنترة حذفت التاء للترخيم ، وروى المبرد أنه كان يسمى عنترا أيضا . والأشطان : جمع شطن ، وهى الحبال الطويلة الشديدة الفتل . واللبان : الصدر . والأدهم : فرسه .

ما زلت أرميهم بِثُغْرة نَحْرِهِ ولَبَانه حتى تَسَرْبَلَ بِالدمِ (١)

فازورَّ من وَقْعِ القنا بلَبانه وشكا إلىَّ بِعَبْرة وتَحَمْحُمِ (٢)

لوكانَ يدرِى ما المحاورةُ اشتكى ولَكان لو عَلِمَ الكلامَ مُكَلِّمِى

والخيلُ تَقتحِم الخَبارَ عوابسًا مِن بيْنِ شَيظَمة وأجردَ شَيظَمِ (٣)

ولقد شَفَى نفسى ، وأبرأَ سُقْمَها قِيلُ الفوارس : وَيْكَ عنترَ أَقْدِمِ (٤)

ذُلُلٌ جِمالى حيثُ شِئتُ ، مشايعى لُبّى ، وأَحفِزُه بِرَأيٍ مُبْرَمِ (٥)

إنِّى عدانى أن أزورَكِ فاعلَمِى ماقد علمتِ ، وبعضُ مالم تعلَمِى (٦)

حالت رماحُ ابْنَىْ بغيضٍ دونكمْ وزَوَتْ جَوانِى الحربِ مَنْ لم يُجرِمِ (٧)

---

(١) أى بنقرة نحره .

(٢) العبرة : تردّد البكاء فى الصدر قبل أن تفيض الدمعة ، والتحمحم : الصوت المتقطع دون الصهيل ، ويفعله إذا طلب العطف عليه والرقة لحاله .

(٣) الخبار : الأرض اللينة . والشيظم : الطويل . والأجرد : القصير الشعر ، وهما صفتا حسن للفرس الكريم .

(٤) ويك مركبة من (وى) وكاف الخطاب ، ووى تعجب ، كأنهم قالوا : عجبا لك ! أقدم ! أو هى مخففة من ويلك ، أو ويحك .

(٥) الذلل : جمع ذلول ، وهو من الإبل وغيرها ضد الصعب الحرون . ومشايعى قلبى أى متابعى ومشجعى . وأحفزه : أدفعه . والمبرم : المحكم . (المعنى) يصف نفسه بأنه رجل أسفار ، وأن جماله لذلك مذللة لتعوّدها السير لا يصعب أن يوجهها الى أى أرض . ويصف نفسه أيضا بأنه حاضر العقل لا يعزب عقله فى أى حال من الأحوال ، بل هو أيضا يدفعه و يقويه برأى محكم .

(٦) المعنى : صرفنى عن زيارتك ما قد علمته من الأسباب ، وما لم تعلميه . وجملة (فاعلمى) معترضة .

(٧) بغيض بن ريث بن غطفان : أبو الحى الذى يجمع بين عبس وذبيان ، فكلاهما ابنا بغيض وزواه زيا وزويا : نحاه ، وأبعده . والجوانى : جمع جانية من الجناية . (المعنى) صرح ببعض الأسباب التى حالت دون زيارة محبوبته ، فقال : صرفنى عنك الحرب الناشبة بين عبس وذبيان ، وصرفنى عشائر القبيلتين بجناية بعض على بعض ، فاضطررت لمظاهرة قومى فى حروبهم مع أنى لست من جناتها ، ولم يكن لى دخل فى الأسباب التى جرتها .

ولقد خَشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ للحـــرب دائرةٌ على ٱبنَىْ ضَمْضَم (١)

الشاتمَىْ عِرضى ، ولم أَشْتِمْهُما والنــاذرَيْنِ إذا لَمَ ٱلقَهُما دَمِى(٢)

إن يَفعَلا فلقـــد تركتُ أباهمـا جَزَرًا لِخامعَـــةٍ ونَسْرٍ قَشْعَـــمِ(٣)

(٥) لبيد بن ربيعة (٤) من معلقته التى مطلعها :

عَفَتِ الديارُ : محلُّها فمُقامُها بمِنًى ، تأبَّدَ غَوْلُهـا فرِجامُهـا (٥)

---

(١) ابنـا ضمضم : هما هرم وحصين ، وكان عنترة قتل أباهما ضمضما فكانا يتوعدانه .

(٢) يقال نذرت دم فلان : اذا أبحته لكل من يقدر على قتله .

(٣) الخامعـة : الضبع كأن فى مشيها خمعا أى عرجا ، والقشعم : من النســور الكبير . (المعنى) إن ينذرا دمى فقد قتلت أباهما ضمضما وتركته جزور الضباع والنسور القشاعم .

(٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعـة العامرى أحد أشراف الشعراء والقوّاد والمعمرين الأجواد ، وهو من بنى عامر بن صعصعة : إحدى القبائل المصرية ، وأمه عبسية ، وكان فى الجاهلية شجاعا فاتكا جوادا شاعرا ، شهد له النابغة ، وهو غلام ، بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته ، ولما ظهر الإسلام أسلم وتنسك وحفظ القرآن كله حتى لم يرو له فى الإسلام غير بيت واحد وهو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

ولما فتح المسلمون الأمصار سكن الكوفة حتى مات سنة إحدى وأربعين من الهجرة . قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة ولبيد شاعر يجيد الفخر والرثاء فى لفظ جزل ومعنى بارع وحكمة وموعظة .

(٥) عفت الديار : درست ، ومحلها : بدل أو عطف بيان من الديار ، فمقامها معطوف على محلها ، والمقام : مكان الإقامة وهى الثبات والاستقرار فى المكان طويلا بأن يصير دار إقامة . وتأبد : توحش ، وخلا من أهله . ومنى وغول ورجام : مواضع فى وسط نجد . وليست منى هنا (منى مكة) . المعنى : درس مكان النزول ومكان الإقامة من ديار أحبتنا بمنى متوحشا غولها ورجامها منهم .

أو لم تكنْ تدرى نوارُ بأننى ... وَصّالُ عَقْدِ حَبائلٍ جَذّامُها (١)

تَرّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرضَها ... أو يَعتلقْ بعضَ النفوس حِمامُها (٢)

بل أنتِ لا تدرين كم من ليلةٍ ... طَلْقٍ لذيذٍ لَهْوُها ونِدامُها (٣)

قد بِتُّ سامرَها ، وغايةِ تاجرٍ ... وافيتُ إذْ رُفعتْ ، وعزَّ مُدامُها (٤)

أَغْلِي السِّباءَ بكلّ أَدْكَنَ عاتقٍ ... أو جَوْنةٍ قُدحتْ وفُضَّ خِتامُها (٥)

وغداةِ ريحٍ قد وَزعْتُ وقِرَّةٍ ... قد أَصبحتْ بيدِ الشَّمالِ زِمامُها (٦)

---

(١) نوار : اسم امرأة ، والجذام : القطاع ، والحبائل : جمع حبالة : مصيدة الصائد وشركه . المراد بها هنا العهد . وهذا البيت وما بعده من الأبيات يتحدّث بها عن مفاخر نفسه ومآثر قومه . المعنى) أو لم تكن تعلم نوار بأنى أصل من يستحق المواصلة وأقطع من يستحق القطيعة .

(٢) اعتلق الشيء : تعلق به ، و (بعض النفوس) يريد به نفسه ، والحمام : الموت . والمعنى أنى تراك أمكنة إذا لم أرضها إلا أن أموت

(٣) التفت فى كلامه الى نوار وقال : (بل أنت ... البيت) والليلة الطلق : التى لا حر ولا برد فيها يؤذيان ، والندام : المنادمة .

(٤) السامر : من يتحدّث بالليل (وغاية تاجر) الغاية هنا : الراية ، والتاجر : الخمار يرفع رايته عند نزوله على الحى إعلانا للشراب . وغاية بالجر : معطوفة على ليلة فى البيت السابق (المعنى) كم من ليلة طلق يلذ فيها اللهو والمنادمة قد بت المسامر فيها ؛ وكم من راية تاجر خمر وافيتها عند ما رفع التاجر رايته واشتريت مدامتها عند ما عزت بارتفاع ثمنها لكثرة المشترين لها — يصف نفسه بأنه طيب الحديث ، يحب اللهو والطرب ، و يبذل فى ذلك نفيس المال .

(٥) السباء : شراء الخمر وجلبها ، ولا يستعمل لشراء غيرها . والأدكن : يريد به زق الخمر لأنه أغبر ، والعاتق : القديم . والجونة (بفتح الجيم) السوداء يريد بها الخابية ، وقدحت وفض ختامها : بمعنى واحد

(٦) الغداة : البكرة والصباح ، والقرة : البرد ، ووزعت : كففت ، والشمال أبرد الرياح (المعنى) ورب صباح يوم بارد ذى رياح قد أصبح زمام برده بيد ريح الشمال ؛ فهى تصرفه وتمعن فيه كيف شاءت . قد كففته عن الإخوان بشرب الخمر والتدفئة والسماع ، يتحدث بالفتوة والكرم .

بِصَبُوحِ صافيـةٍ وجَذْبِ كَرِينةٍ   بمــوتَّرٍ تأتالُه إبهـامُهـا (١)

باكَرْتُ حاجَتَهـا الدجاجَ بسُحرةٍ   لأُعَلَّ منها حينَ هَبَّ نيامُها (٢)

ولقــد حَمَيتُ الحيَّ تحمِلُ شِكَّتِي   فُرُطٌ ، وِشاحِي إذْ غدوتُ لِجامُها (٣)

فَعلَيتُ مرتَقَبـا على مرهــوبةٍ   حَرَجٍ إلى أعلامِهِنَّ قِتامُهـا (٤)

حتى إذا ألقتْ يدًا في كافرٍ   وأجنَّ عَوْراتِ الثغورِ ظَلامُهـا (٥)

أَسهلْتُ ، وانتصبتْ بجِذْعِ مُنيفةٍ   جرداءَ يَحْصَرُ دونَهـا جَرّامُها (٦)

---

(١) الصبوح : الشرب صباحا ، أى بشرب خمر صافية ، والكرينة : المغنية الضاربة بالعود ، والوتر : العود لأنه ذو أوتار وتأتاله : تصلحه أى أنه يشرب الخمر ويتلهى بسماع مغنية عوادة .

(٢) حاجتها : أى حاجة الخمر : أى حاجته هو اليها ، وأضاف الحاجة الى الخمر توسعا ، والدجاج : يريد بها الديكة ، والعلل : الشرب بعد شرب (المعنى) استبقت بشربها صياح الديكة لأكرر شربها حين استيقظ نوامها أى سقاتها النائمون .

(٣) ثم أخذ يصف نفسه بالكفاية والغناء وحماية قومه وأصحابه فقال : (ولقد حميت الحى الخ) وشكتى : جميع سلاحى ، يريد تحملنى شاكى السلاح ، وفرط : أى فرس تقدم أصبح لجامها وشاحا لى . وتوشح الفارس بلجام فرسه : أن يلقيه على عاتقه ويخرج يده منه لتفرغ يداه كلتاهما للعمل بالسلاح .

(٤) عليت وعلوت واحد ، وعلى مرهوبة أى على جبال عالية ، وحرج : مرتفع فى تكاثف وتزاحم والقتام : الغبار .

(٥) والضمير فى ألقت يعود على الشمس المفهومة من المقام . والكافر : الساتر ، وهو من أسماء الليل ، وأجن : ستر ، والثغر : موضع المخافة ، أى علوت على الجبال التى ينعقد فى أعاليها الغبار المتصاعد أو الضباب الحامل للغبار أرقب حركات العدو حراسة لأصحابى طول النهار ، حتى اذا ألقت الشمس يدها فى الليل ، وبدأت تغيب فيه ، وستر الظلام مواضع الخوف من نواحى العدو ، ولم يعد لمراقبتى فوق الجبل فائدة نزلت الى السهل .

(٦) أسهلت : نزلت الى السهل . (وبجذع منيفة) : أى بجذع نخلة مرتفعة ، وجرداء : خالية من السعف ملساء ، ويحصر : يكل ويضجر ، وجرامها : قطاع ما تحمله النخلة عند نضجها (المعنى) عندما أسهلت مرحت فرسى ونشطت وانتصبت كأنها جذع نخلة عالية ملساء يضجر ويتعب دون الوصول الى رأسها من يجذ لمنتجعه — ثم أخذ فى بقية وصف الفرس بالأبيات الثلاثة الآتية .

رفعتها طَـرَدَ النَّعامِ وشَـلَّهُ ... حتى اذا سَخُنتْ ، وخفَّ عظامها [١]

قَلِقتْ رِحالتُها وأسبلَ نَحْـرُها ... وابتلَّ مِن زَبَدِ الحَمِيمِ حزامُها [٢]

تَرقَى ، وتَطعَنُ فى العَنان ، وتنتحى ... وِرْدَ الحمامة إذ أَجَدَّ حَمامُها [٣]

وكثيرة غُرَباؤُها مجهولةٍ ... تُرجَى نوافلُها ويُخشَى ذامُها [٤]

غُلْبٍ ، تَشَذَّرُ بالذُّحول ، كأنَّها ... جِنُّ البَدِىِّ رواسيًا أقدامُها [٥]

أنكرتُ باطلَها ، وبُؤتُ بحقها ... عندى ، ولم يفخَر علَّى كِرامُها [٦]

(١ و ٢) رفعتها : أى جعلتها تعدو العدو المسمى بالمرفوع ، وهو فوق العدو الموضوع ، وهما مصدران جاءا على وزن المفعول كالميسور والمعسور ، وطرد النعام : عدوه . والشل : الطرد ، وخف عظامها : أى خف قصب قوائمها بمعنى أسرعت ، والرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاة بصوفها لا قربوس له ولا مؤخرة يتخذ للجرى الشديد ، وأسبل نحرها : أى سال بالعرق . والحميم : العرق (المعنى) طردتها طرد النعام حتى اذا حميت واشتدت سرعتها اضطرب سرجها عن مكانه وسال نحرها بالعرق وابتل حزامها من زبده .

(٣) ترقى : ترفع رأسها ، وتطعن أى تعتمد فى العنان كما يعتمد الطاعن ، تنتحى أى تقصد ، ويريد بالحمامة هنا القطاة (المعنى) أن هذه الفرس ترفع رأسها تارة وتخفضه فى العنان أخرى ، تمر فى سيرها مر القطاة الى الماء ، وقد سبقها اليه جماعة حمام مسرعة فهى تجد مسرعة فى أثره .

(٤ و ٥ و ٦) هذه الأبيات الثلاثة يصف فيها نفسه بالشجاعة والانتصاف من الأعداء الأقوياء قال (وكثيرة غرباؤها مجهولة) : أى ورب كتيبة كثيرة الغرباء ؛ لما يحضرها من ألوان الناس قد جهل بعضها بعضا ، ونوافلها : غنائمها ، وذامها : عيبها وعار هزيمتها ، وغلب : جمع أغلب وهو الغليظ العنق وهو كناية عن قوة البدن ، وتشذر بالذحول : تهدد وتتوعد بالأحقاد والثارات . والبدى هنا : واد لبنى عامر يحسب أنه كان موحشا . وبؤت بحقها انصرفت به (المعنى) ورب كتيبة حرب كثيرة المقاتلة المختلفة الأنساب والألوان المجهول بعضهم لبعض لغربتهم ترجى مغانمها وأنفالها بالظفر فيها ويخشى عار الهزيمة منها ، ومقاتلتها غلاظ الأعناق تهدد وتتوعد بأخذ الثار كأنها جن البدى راسخة الأقدام فى القتال تلك الكتيبة التى صفاتها ما ذكرت قد انتصفت منها ؛ فأنكرت باطلها المزعوم عليها ، وفزت فيها بالحق بمحض قوتى وحسن بلائى ولم يفتخر على كرامها .

وجزورِ أيسارٍ دعوتُ لحتفها ... بمَغالِقٍ مُتشابهٍ أجسامُها (١)

أدعُو بهنَّ لعاقرٍ أو مُطفلٍ ... بُذِلَتْ لجيرانِ الجميعِ لحامُها (٢)

فالضيفُ والجارُ الجنيبُ كأنما ... هبطا تَبالةَ مُخصِباً أهضامُها (٣)

تأْوِى الى الأطنابِ كلُّ رذيَّةٍ ... مِثلِ البليَّةِ قالصٍ أهْدامُها (٤)

ويُكلِّلون اذا الرياحُ تناوحَتْ ... خُلُجاً تُمَدُّ شوارعاً أيتامُها (٥)

(١ و ٢) يصف فى الأبيات الخمسة الآتية نفسه بأنه متلاف للمال يلعب الميسر بالجزور ويطعم لحومها الجيران والضيفان والأرامل والأيتام وكان ذلك عندهم من الكرم والفتوة — الجزور : الناقة تشترى للذبح ، والأيسار : جمع يسر وهو الذى يضرب بالقداح ، وهى أعواد تسوى وتوضع عليها علامات الكسب والخسارة فى القمار ، والمغالق من نعوت قداح الميسر التى يكون لها الفوز ، (أدعو بهن) أى بالمغالق ، (لعاقر أو مطفل) أى للعب بها على جزور عاقر فتكون سمينة أو بجزور ذات طفل فتكون أغلى ثمنا ، ولحامها أى لحومها جمع لحم (المعنى) ورب جزور مقامرين دعوت من أجل نحرها سواء كانت عاقراً أم مطفلا بقداح متشابهة العلامات فائزة عند اللعب بها — تبذل لحومها لجيران الجميع .

(٣) تبالة : بلد بين اليمن والحجاز (فى العسير) أهضامها ، أى وديانها وهى من أخصب بلاد العربيه (المعنى) أى أن ضيفه وجاره الغريب يكونان من الخصب بمنزلة من نزل تبالة .

(٤) الأطناب : جمع طنب وهى حبال الخيام ، والرذية : المرأة الضعيفة جوعا أو الأرملة البائسة ، والبلية فى الأصل : الناقة يموت صاحبها ، فتعقل عند قبره حتى تموت ، ويقولون إنه يبعث عليها فى القيامة ، وإنما يفعل ذلك من يعتقد منهم بحشر الأجساد ، وقالص : صفة لرذية . والأهدام : جمع هدم وهو الثوب الخلق البالى . (المعنى) تأوى الى أفنية خيامنا كل رذية بائسة توشك أن تموت جوعا وهزالا ، قصيرة الثياب البالية ، فنطعم .

(٥) التكليل : نضد اللحم بعضه على بعض . الخلج : هنا الجفان الكبيرة ، وتمدّ أى يزاد فيها ، وشوارعا : نعت للخلج ، والشوارع النوق ترد الشريعة وهى منهل الماء ، ويريد بها هنا اليتامى من الناس . (المعنى) أنه يطعم المعوزين والأرامل واليتامى لحوما يكللون بها جفانهم عند تناوح الرياح اوشتداد هبوبها من كل ناحية وذلك فى الشتاء ، وهو زمن الجهد عندهم .

إنا اذا التقتِ المجامعُ لم يَزَل ... مِنّا لِزازُ عظيمةٍ جَشّامُها (١)

ومقسِّمٌ يُعطِى العشيرَة حقَّها ... ومُغَذمِرٌ لحقوقها هَضّامُها (٢)

فَضْلاً وذو كرمٍ يُعين على الندَى ... سمحٌ كسوبُ رغائبٍ غنّامُها (٣)

مِنْ معشرٍ سَنَّتْ لهم آباؤهم ... ولكلِّ قومٍ سُنّةٌ وإمامُها (٤)

لا يَطبَعُون ولا يَبورُ فَعالُهم ... إذ لا يَمِيلُ مع الهَوَى أحلامها (٥)

فاقنَعْ بما قسَمَ المليكُ، فإنّما ... قسَمَ الخلائق بيننا علّامها (٦)

واذا الأمانةُ قُسِّمَتْ فى مَعشرٍ ... أَوْفَى بأوفر حظِّنا قَسّامُها (٧)

فبنَى لنا بيتًا رفيعًا سَمْكُهُ ... فسما اليه كَهْلُها وغُلامُها

وهم السعاةُ إذا العشيرةُ أُفظِعَت ... وهُمُ فوارسُها، وهُمْ حُكّامُها (٨)

---

(١) أخذ يمدح بقومه، ويعدد مآثرهم، فقال: (إنا اذا التقت المجامع ... الخ) ولزاز كل شىء: الملازم له. والجشام: المتكلف القيام بالأمور الشاقة. المعنى: اذا اجتمع الناس لخطب عظيم لم يخل المجامع من رجل منا يقمع الخصوم.

(٢ و٣) ومنا العادل الذى يقسم الغنائم فى العشيرة؛ فيعطى كل ذى حق حقه، ومنا الرئيس المستبد الذى يحكم على قومه بما شاء؛ فلا يرد حكمه لهيبته، ولو هضم حق هذا وأعطاه ذاك، وإنما يفعل ذلك رغبة فى الفضل على غيره وزيادة التحكم فيه. ومنا الكريم السمح الأخلاق الكثير الكسب والغنم للنفائس.

(٤) أى سنت لهم آباؤهم هذه السنة الكريمة، والإمام: المثال الذى يحاكى فى كل شىء.

(٥) الطبع: الدنس، والبوار: الهلاك، والفعال كسحاب: فعل الخير، والأحلام: العقول. (المعنى) لا يدنسون أعراضهم، ولا يفنى عملهم للخير، ولا تغلب أهواؤهم عقولهم.

(٦) الخلائق: الطبائع، وعلامها هو الله تعالى.

(٧) أى أوفى قسام الحظوظ — وهو الله تعالى — بأوفر نصيب لنا من الأمانة.

(٨) أى اذا حل بالعشيرة خطب فظيع سعوا لنجدتها وإسعافها.

وهمُ ربيــعٌ للمجاوِرِ فيهمُ ... والمرملاتِ إذا تطاوَلَ عامُها (١)
وهمُ العشيرةُ أن يُبَطِّئَ حاسدٌ ... أو أن يميلَ مع العدو لئامُها (٢)

(٦) قال النابغة الذبياني (٣)

كِليني لِهَــمٍ يا أُمَيْمَــةُ ناصِبِ ... وليلٍ أُقاســيه بطيءِ الكواكبِ (٤)
تطاوَلَ، حتى قلتُ ليس بمُنقضٍ ... وليس الذي يرعَى النجومَ بآيبِ (٥)

---

(١) وهم ربيع أى بمنزلة الربيع فى الخصب لمن جاورهم ، وللمرملات أى الأرامل إذا تطاول عامها وكانت الأرملة تبقى بلا زواج مدة . كان ذلك فى الجاهلية وأول الإسلام ، ثم جعلت تلك المدة أربعة أشهر وعشرا .

(٢) وهم العشيرة أى هم متوافقون ، وأن يبطئ حاسد : أى خشية أن يبطئ حاسد (المعنى) أنهم متعاضدون خشية أن يبطئ الحساد بعضهم عن نصر بعض ، أو أن يميل لئامهم إلى الاعداء .

(٣) هو أبو أمامة زياد بن معاوية أحد أشراف قبيلة ذبيان من القبائل المضرية وأحد فحول شعراء الجاهلية . لقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر فجاءة وهو كبير . وهو ممن تكسب بالشعر فى الجاهلية ، ولكنه آثر مدح الملوك : ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأولين النعمان بن المنذر فقربه اليــه ، ثم وشى به عنــده ، وهم بقتله ، ففر الى ملوك الشام . فمدحهم ، ولم يطب مقامه بالشام ، فعاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سببا فى عفوه عنه . وطال عمر النابغة ، ومات قبيل الإسلام . ويعده كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته هى قصيدته التى أولها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ... ما ذا تحيون من نؤى وأحجار

ومن أشهر قصائده القصيدة التى نشرحها وهى التى مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بنى غسان بالشام .

(٤) كليني لهم : أى دعيني وهمى من وكله للشيء أى أسلمه له . وأميمة : اسم امرأة تصغير أم وناصب صفة لهم أى هم ذى نصب أى تعب . وبطيء الكواكب أى غروب كواكبه . توهم أن ليله بطيء الكواكب وأنه طويل لكثرة ما يقاسيه فيه من الهموم .

(٤) وليس الذى يرعى النجوم بآيب . أى وحتى قيل : ليس الذى « البيت » والذى يرعى النجوم يريد النجم الذى يتقدمها فيكون بمنزلة الراعى لها ويؤيد ذلك رواية (وليس الذى يهدى النجوم) وإياب النجوم والشمس مغيبها كأنها رجعت الى مبدئها ومسقطها : أى وحتى قيل إن أول النجوم الطالعة فى هذا الليل لا يغيب مع أنه سابقها فكان حقه أن يكون أول غائب . وقيل ان الراعى هو الصبح . وكل ذلك كناية عن طول الليل .

وصَـدْرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همِّهِ ... تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانب (١)

علىّ لعَمْرٍو نعمــةٌ بعدَ نعمــةٍ ... لوالدِهِ ليستْ بذاتِ عقارب (٢)

حلفتُ يمينـا (غيرَ ذى مَثْنَوِيَّةٍ ... ولا عِلْمَ إلا حسنُ ظَنٍّ بصاحِب (٣)

لَئِنْ كانَ لِلْقَـبرينِ قبرٍ بِجِلَّقٍ ... وقبرٍ بصَيْدَاء الذى عنـد حارب (٤)

وللحـارثِ الجَفْنِيِّ سـيدِ قومِه ... لَيَلْتَمِسَنْ بالجيش دارَ المُحَارِبِ

وَثِقتُ له بالنصرِ إذْ قِيل قد غَزَتْ ... كتائبُ من غسانَ غيرُ أشائبِ (٥)

بنـو عمِّه دُنْيَا، وعمـرُو بنُ عامرٍ ... أولئـك قـومٌ بأسُهم غيرُ كاذب (٦)

إذا ما غزَوْا بالجيش حَلَّقَ فوقَهمْ ... عصائبُ طـيرٍ تهتـدى بعصائب (٧)

(١) وصــدر : أى وكلينى أيضا لصدر . وأراح الليل : من الرواح وعازب : غائب (المعنى) ودعينى أيضا وصدرى المتضاعف الحزن الذى أرجع هذا الليل ما كان غائبا من همه . ثم اقتضب الكلام اقتضابا وشرع فى مدح عمرو بن الحارث فقال (على لعمرو) .

(٢) عقارب النعمة : تكديرها بالمن والأذى . (المعنى) على لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده لم يكدرهما منّ ولا أذى .

(٣) أى حلفت يمينا لم استثن فيها ولاعلم لى بصحة هذه اليمين إلا ثقتى وحسن ظنى بصاحبى الذى أمدحه

(٤) أى لئن كان الممدوح عمرو منسوبا لصاحبى هـذين القبرين وهو الواقع . وجلق : اسم لدمشق . وصـيداء ، من مدن ساحل الشام ، موضع قريب منها ، وحارب اسم رجل أو بلد وصاحبا القبرين : هما الأب ، والجد الأول ، والحارث الجفنى : هو الجد الثالث لأن الممـدوح هو عمرو ابن يزيد بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شمر الجفنى لأنه سيد آل جفنـة . (المعنى) لئن كان هذا الممدوح ابن هؤلاء الملوك العظام (وهو يعلم أنه ابنهم وإنما بالغ فى المدح) ليبلغنّ مبلغهم وليطلبن بجيشه أعداءه فيغزوهم فى عقر دارهم كما كان آباؤه وأجداده يفعلون .

(٥) أشائب : جمع أشابة وهم الأخلاط ، أى أن هذه الكتائب كلها من صلب غسان .

(٦) أى أن هذه القبائل هم بنو عمه الأدنون ، وبنو عمه الأبعدون فى القرابة وهم بنو عمرو بن عامر.

(٧) أى اذا غزوا حلقت عليهم جماعات النسور والعقبان والرخم لتأكل ممن يقتلونهم .

يُصاحِبْنَهم حتى يُغِـرْنَ مُغَارَهمْ ... من الضاريات بالدماءِ الدَّوارب [1]
تراهُنّ خلْفَ القومِ خُزْرًا عيونُها ... جلوسَ الشيوخ في ثياب المَرَانب [2]
جَـوانحَ قد أيقنّ أنّ قبيلَه ... إذا ما التقى الجمعانِ أوّلُ غالب [3]
لهُنّ عليهـم عادةٌ قـد عرفْنَها ... إذا عُرِّض الخَطّيُّ فوقَ الكَوَاثب [4]
على عارفاتٍ للطعانِ عوابسٍ ... بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالب [5]
اذا استُنزِلُوا عنهن للطعْن أرقلوا ... إلى الموت إرقالَ الجمالِ المصاعب [6]
فهـمْ يتساقَوْنَ المنيـةَ بينهـمْ ... بأيديهـمُ بيضٌ رِقاقُ المضارب [7]

---

(١) أي تسير جماعات الطير معهم كأنها تغير باغارتهم على الأعداء ضاريات متدربات على دماء القتلى .

(٢) خزرا : جمع أخزر وخزراء ، أي ضيقة العيون خلقة ، أو أنها تخازر أي تقبض أجفانها لتحقد النظار . جلوس الشيوخ الخ . أي أنها عند اشتداد القتال تقع على أعالي الارض والهضاب كأنها في ريشها ووقوفها وتحديد النظار ترقب القتلى جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المرانب يحدّدون النظر الى شيء بعيد . والمرانب : جمع مرنباني وهو الثوب المبطن بفراء الأرانب .

(٣) جوانح : أي مائلات للوقوع .

(٤) أي القنا الخطي المنسوب الى الخط : بلد بالبحرين . والكواثب : جمع كاثبة ، وهي من جسم الفرس ما تحت الكاهل الى الظهر بحيث اذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها رمحه مستعرضا : أي اعتادت الطير أن الرماح اذا عرضت على الكواثب كان ذلك لرزق يساق إليها .

(٥) على عارفات : أي على خيول صابرات لطعان الأعداء عابسات الوجوه . والكلوم : الجراح . والدامي : الذي يسيل دما . والجالب : الجرح الذي يبس أعلاه .

(٦) أرقلوا : أسرعوا . والجمل المصعب : الفحل الصعب . (المعنى) اذا أنزل هؤلاء الأقوام عن هذه الخيول لضيق في المكان ، ووقع الالتحام — أسرعوا الى الموت على أرجلهم كأنهم الجمال المصاعب .

(٧) يتساقون : أي يسق بعضهم بعضا .

يَطِـيرُ فُضَاضًا بينهـا كلُّ قَوْنَسٍ ... ويتبعُها منهـمْ فَرَاشُ الحواجب (١)

ولا عَيْبَ فيهمْ غيرَ أن سـيوفَهم ... بهِن فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ (٢)

تُوُرِّثْنَ من أزمانِ يومِ حليمةٍ ... إلى اليومِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التجارب (٣)

تَقُـدُّ السَّلوقِيَّ المضاعَفَ نسجُه ... وتوقِـدُ بالصُّـفَّاحِ نارَ الحُباحِب (٤)

بضَرْبٍ يُزيلُ الهـامَ عن سَكَنَاتِهِ ... وطعنٍ كإيزاغِ المخاضِ الضوارب (٥)

لَهُـمْ شِيمـةٌ لم يُعْطِهَـا اللهُ غيرَهمْ ... من الجود، والأحلامُ غيرُ عوازب (٦)

---

(١) الفضاض : ما انفض وتفرق . والقونس أعلى البيضة التى توضع على الرأس من الفولاذ . وفراش الحواجب أى فراش الجمجمة وهى العظام الرقاق التى تكون أسفل الجمجمة فوق الحنك والحلق . والضمير فى يتبعها يعود على (كل قونس) لأنه فى معنى الجمع — كقوله تعالى : « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » — (المعنى) يطير بين هذه السيوف قوانس الفرسان فضاضا ، ويتبع هذه القوانس فى الطيران فراش جماجم الفرسان .

٢) الفلول : جمع فل ، وهو الثلمة فى حد السيف . والقراع : المضاربة بالسيوف . وهذا الاستثناء سماه ابن المعتز تأكيد المدح بما يشبه الذم إذ أن انفلالها من قراع الكتائب فخر وفضل ؛ لأنه دليل على صبرهم وشجاعتهم وكثرة ضربهم للأعداء .

(٣) أى أن هذه السيوف ورثت عن الآباء الذين حضروا يوم حليمة ، وهو يوم انتصرت فيه الغساسنة على المناذرة . وحليمة هذه ابنة الحارث بن أبى شمر جد الممدوح الثالث وكانت ضمخت عسكر أبيها عند رجوعهم منصورين بالطيب فقيل فى المثل (ما يوم حليمة بسر) .

(٤) السلوقى : أى الدرع السلوقى . والدرع مؤنثة ، وقد تذكر كما هنا ، وهو منسوب الى بلد سلوقية من ساحل أنطاكية بالشام . والصفاح : الحجارة العراض ، ونار الحباحب : شعاع يضىء بالليل من ذباب يسمى الحباحب (المعنى) أن هذه السيوف تقطع الدرع المضاعفة النسج واذا ضرب بها الحجارة قدحت شررا يتطاير كأنه نار الحباحب .

(٥) الهام : جمع هامة وهى الرأس ، وسكناته : حيث يسكن ويستقر . والإيزاغ : دفع الناقة ببولها والمخاض : النوق الحوامل . والضوارب : التى تضرب بأرجلها (المعنى) اذا ضرب بها أزالت الهام عن الأعناق واذا طعن بها خرج الدم فى إثرها خروجا كاندفاع بول النوق الحوامل .

(٦) الأحلام : العقول . والعوازب : البعيدة أو الغائبة : أى أنهم أجواد حاضرو العقول .

مَحَلَّتُهُمْ ذاتُ الإله ، ودينُهُمْ قويمٌ ، فما يَرْجُونَ غيرَ العواقب [١]

رِقاقُ النعالِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ يُحَيَّونَ بالرَّيحانِ يومَ السباسب [٢]

تُحَيِّيهِمُ بيضُ الولائدِ بينهم وأكسيةُ الإضْريجِ فوقَ المشاجب [٣]

يَصونون أجسادًا قديمًا نعيمُها بخالصةِ الاردانِ خُضرِ المناكب [٤]

ولا يحسَبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدَه ولا يحسبون الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازِب [٥]

حبوتُ بها غسانَ إذ كنتُ لاحقا بقومى ، و إذ أعيَتْ علَيَّ مذاهبى [٦]

وقال يمدح النعمان ، و يعتذر اليه ، من قصيدة مطلعها :

عَفا ذُوحُسًا من فَرْتَنَى ، فالفوارع فجَنبا أريك ، فالتِّلاعُ الدوافعُ [٧]

---

(١) يروى محلتهم ذات الإله ومجلتهم فعنى الأولى مسكنهم دار نفس الإله يريد بيت المقدس والأرض المقدسة . ومعنى الثانية : كتاب حكمتهم ومقروؤهم ذات الإله . أى عبادة الإله . والعواقب : جمع عاقبة أى عاقبة أعمالهم جزاء الإله لهم عليها . يصفهم بأنهم متدينون .

(٢) رقاق النعال : أى أن نعالهم رقيقة لا يخصفونها طاقا ، وذلك كناية عن قلة مشيهم لأنهم ملوك لا يمشون بل يركبون الخيل غالبا . وحجزة الأزار والسراويل : مجمع شدهما على الوسط من الجسم ، كناية عن عفتهم . والريحان الزهر الطيب الرائحة . والسباسب : يوم الشعانين ، وهو يوم عيد عند النصارى وكان الممدوح نصرانيا ، وذلك كناية عن رقة أمزجتهم وحسن أذواقهم أو محافظتهم على التقاليد المرعية .

(٣) الولائد : الإماء . والإضريج : الخز الأحمر اللون ، والخز : ثياب تنسج من الصوف المخلوط بالحرير ، والمشاجب : جمع مشجب ، وهو الأعواد تنشر عليها الثياب وتعلق . أى أنهم ملوك أهل نعمة خدمهم الولائد البيض ، وثيابهم ثمينة مصونة تعلق على المشاجب .

(٤) الأردان : جمع ردن ، وهو مقدم كم القميص (المعنى) يصونون أجسادهم العريقة فى التنعم بثياب بيض الأردان خضر المناكب . وكان هذا الزى من لبس الملوك .

(٥) اللازب : الثابت اللازم (المعنى) أنهم قد عرفوا تصرف الزمان وتقلبه ، فاذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، و إذا أصابهم شر لم يرهقهم ، وأيقنوا أنه لا يدوم فلم يقنطوا ، فوصفهم بالاعتدال .

(٦) أى حبوت بقصائدى غسان عند ما كنت لا حقا بقومى غير خائف من أحد وعند ما كنت خائفا هاربا من النعمان ، وضاقت على مذاهبى . أى أنهم خير من يمدحهم فى حالى الأمن والخوف .

(٧) عفا : درس ، وذو حسا والفوارع وأريك والتلاع : أسماء مواضع ، وفرتنى اسم امرأة . (المعنى) عفا من منازل فرتنى ذو حسا وما جاوره من الفوارع وجانبي أريك فتلك التلاع التى تدفع المياه إلى الوادى

ومنهـا :

أتانى — أَبيْتَ اللَّعنَ — أنَّك لُمْتَنى ... وتلك التى تَسْـتَكُّ منها المسامع (١)

مقالةُ أَنْ قد قُلْتَ : سوفَ أنالُه ، ... وذلكَ من تِلقاءِ مِثـلِك رائعُ (٢)

لعَمرى — وما عمرى على بِهيِّنٍ — ... لقـد نَطَقَتْ بُطْـلاً علَيَّ الأقارعُ (٣)

أقارِعُ عَـوْفٍ ، لا أحاولُ غيرَها ... وُجوهُ قُرودٍ تبتـغى مَن تُجادِعُ (٤)

أتاكَ امرُؤٌ مستبطِنٌ لىَ بُغْضـةً ... له مِن عدوٍّ مثـلِ ذلك شافعُ (٥)

أتاك بِقولٍ هَلْهَلِ النسـجِ كاذبٍ ... ولم يأتِ بالحق الذى هو ناصـع (٦)

أتاك بقول لم أكـنْ لِأقـولَه ... ولو كُبِلتْ فى ساعِدَىَّ الجوامـع (٧)

حلفتُ ، فلم أترك لنفسك رِيبـةً ... —وهل يأثَمَنْ ذو أُمَّةٍ ، وهو طائع— (٨)

بمُصْطحباتٍ من لِصـافٍ وثَبْرةٍ ... يَزُرنَ إلالاً ، سَيْرُهُنَّ التدافُع (٩)

---

(١) أبيت اللعن : كلمة يدعى بها للملوك ، أى حفظت مما تلعن به . وتستك : تضيق (المعنى) أتتنى عنك ملامة يضيق عنها السمع و يأباها .

(٢) مقالة مرفوع على أنه بدل من فاعل أتانى فى البيت السابق ، سوف أناله أى بأذى . أى وذلك خبر مفزع منك ومن مثلك من أهل القدرة والسلطان .

(٣) أراد بالأقارع بنى قريع بن عوف ، وكانوا وشوا به الى النعمان .

(٤) تجادع : تشاتم .

(٥) أى أتاك امرؤ منهم مستبطن لى بغضا له يشفعه آخر مثله من الأعداء بالوشاية .

(٦) هلهل كجعفر : صفة لقول ، أى أتاك بقول سخيف النسج كاذب ، ولم يأتك بالحق الواضح .

(٧) الجوامع : جمع جامعة وهى : الغل والقيد فى اليد أو العنق ، وكبلت أى ضيقت .

(٨) الأمة : الدين والاستقامة أى وهل آثم فى يمينى ، وأنا أدين لك وفى طاعتك .

(٩) لصاف وثبرة ماءان يستقى منهما الركبان على طريق مكة . و إلال جبـل عن يمين إمام الحج حيث يقف بعرفة (المعنى) حلفت بنوق مصطحبات للحجاج يمتطونها من لصاف وثبرة الى عرفة حيث ينتهين الى إلال يزرنه ، ثم يقصدن مكة متدافعات فى السير أى يدفع بعضهن بعضا من الازدحام . وحلف بهـذه النوق التى تزور عرفة ومكة تعظيما لها .

سَمامًا تُبارِى الرِّيحَ خوصًا عيونُها لَهُنَّ رذايا بالطَّـريق ودائع (١)

عليهِـنَّ شُـعْثٌ عامِدون لحجِّهـمْ فهُنَّ كأطـرافِ الحَنِيِّ خواضع ـ (٢)

لَكَلَّفْتَنِي ذنبَ امرئٍ ، وتركتَـهُ كذى العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتع (٣)

فإن كنت لاذو الضِّغْنِ عنِّى مُكَذَّبٌ ولا حَلِـفِى على الـبَرَاءة نافع

ولا أنا مأمونٌ بشىء أقـولُه وأنت بأمرٍ ـــ لا محالةَ ـــ واقع (٤)

فإنكَ كالليـلِ الذى هو مُـدرِكى وإن خِلْتُ أنَّ المنتأَى عنك واسع (٥)

خطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ متينةٍ تَمُـدُّ بهـا أيدٍ إليـك نوازع (٦)

---

(١) السمام : طائر أكبر من الخطاف سريع الطيران . وتبارى الريح : تعارضها . وخوصا عيونها : أى ضيقات عيونها ، والرذايا : جمع رذية ، وهو المتروك المطروح من الإبل الهالك فى أثناء الطريق . (المعنى) تزور هذه الإبل إلالا حال كونهن سريعات السير كالسمام ضيقات العيون من الجهد واتقاء الغبار ، وقد سقط منها هوالك فى الطريق مودعة به .

(٢) شعث : جمع أشعث ، وهو المغبر الشعر من طول السفر المتفرقه ، والحنىّ : جمع حنية ، وهى القوس . (المعنى) على هـذه النوق رجال شعث قاصدون للحج ، وقد أصبحت هذه النوق من عناء السفر ضامرة كالأقواس المبرية خاضعة الأعناق إعياء وتعبا

(٣) لكلفتنى : جواب القسم . والعر : قروح مثـل القوباء تخرج من الإبل متفـرقة فى مشافرها وقوائمها ، فتكوى الصحاح فى هذه المواضع لئلا تعديها المراض . (المعنى) لقد آخذتنى بذنب الجانى وتركته ؛ فأنا وهو كمثل الفصيل المعرور : يترك راتعا يأكل ما شاء فى مرعاه ، و يكوى غيره وهو سليم .

(٤) وأنت بأمر لا محالة واقع ، أى وأنت فى أمر إيذائى واقع لا محالة .

(٥) فانك كالليل الخ أى فان عقابك ومؤاخذتك كالليل أى لا أنجو من عقابك مهما اتسعت أمامى مذاهب البعد منك والهرب عنك . وخص الليل دون النهار لأن الليل موحش يخشى شره كما يخشى عقاب الملك .

(٦) خطاطيف : خبر لمبتدأ محذوف أى لك خطاطيف : جمع خطاف . أو مبتدأ سوّغ الابتداء به الوصف وتمد خبره . وحجن : جمع أحجن أى معوج . (المعنى) أن لك خطاطيف تمتد إلى بهـا أيد تنزع بى اليك وتجذبنى .

أتُوعِــدُ عبدًا لم يخنْــك أمانةً ... ويُــترَكُ عبــدٌ ظالمٌ وهــو ضالع [١]

وأنت ربيعٌ يُنعِشُ النــاسَ سَيبُه ... وسَــيفٌ أُعِــيرَتْهُ المنيَّــةُ قاطــع [٢]

أبَى اللهُ إلَّا عــدلَهُ ووفاءَهُ ... فلا النُّكرُ معروفٌ، ولا العُرفُ ضائع [٣]

وتُسْــقَى إذا ما شِئْتَ غيرَ مُصَرَّدٍ ... بزوراءَ، فى حاناتهــا المسكُ كانع [٤]

(٧) قال أعشى قَيْس : [٥]

ودِّعْ هُرَيرةَ إنّ الركبَ مُرتحِــلُ ... وهــل تطيقُ وَداعًا أيُّهــا الرجلُ [٦]

---

(١) الضالع : الجائر المذنب . (٢) السيب : العطاء .

(٣) أى أن الله عادل : ليس النكر مقبولا عنده ، ولا المعروف ضائعا وهو جاعل النعمان بارادته عادلا . واذا أعدنا الضمير على النعمان فالمعنى ظاهر أيضا .

(٤) التصريد : الشرب دون الرى ، وزوراء : دار كانت بالحيرة للمناذرة ، وكنع المسك بالشىء : تراكم ولزق . والبيت دعاء للنعمان .

(٥) هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسى البكرى ، أحد فحول شعراء الجاهلية ، والمتكسبين بالشعر منهم ، وينتهى نسبه إلى بكر بن وائل ، وكان يسكن أرض اليمامة فى قرية منها تسمى " منفوحة " ، قال الشعر وأجاده وذاع صيته ، ومدح الملوك والاجواد ، ومنهم المناذرة ، وملوك نجران ، حتى طمع فى جوائز كسرى ، فرحل اليه ومدحه ، وله شعر غزير جيد ، وقصائد مطولة ، وهو أحد المكثرين فى وصف الخمر . عرب فى شعره كثيرا من الالفاظ الفارسية بعد دخوله أرض فارس . ولشعره حلاوة ورنة فى نفس سامعه حتى سمى صناجة العرب ، ومات فى أوائل ظهور الإسلام ، وعده كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته القصيدة اللامية التى مطلعها :

ما بكاء الكبير فى الأطلال ... وسؤالى وما ترد سؤالى

وقيل : معلقته هى القصيدة التى نحن بصدد شرحها .

(٦) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمر بن مرثد أهداها إلى قريب له ، فولدت خليدا الآتى ذكره فى شعره .

غَرَّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها … تمشي الهُوَيْنَى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ (١)

كأنَّ مِشيتَها من بيتِ جارتِها … مَرُّ السحابةِ ، لا ريثٌ ولا عَجَلُ (٢)

تسمعُ للحَلْيِ وَسْواسًا إذا انصرفتْ … كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ (٣)

ليستْ كمن يكرَه الجيرانُ طَلعتَها … ولا تراها لسرِ الجارِ تختَتِلُ (٤)

يكاد يَصْرَعها (لولا تشدُّدُها) … إذا تقومُ إلى جاراتها — الكَسَلُ (٥)

إذا تقوم يَضُوعُ المِسْكُ أَصْورةً … والزَّنْبَقُ الوَرْدُ من أردانِها شَمِلُ (٦)

ما روضةٌ من رياضِ الحَزْنِ مُعشِبةٌ … خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ (٧)

---

(١) الغراء : البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الطويلة الفرع أى الشعر ، والعوارض هنا : الرباعيات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها نقية الأسنان ، الوجى : الذى يشتكى حافره ولم يحف بعد ؛ فيكون مشيه متثاقلا ، فكيف اذا كان وحلا ؟ أى يمشى فى الوحل . يعنى : أن هذه الجارية لسمنها وتدللها تمشى متمهلة متمايلة .

(٢) الريث : البطء .

(٣) الوسواس : صوت الحلى ، والعشرق : شجيرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صغار إذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسواس حليها بصوته اذا ضربته الريح .

(٤) تختتل : أى تتسمعه استراقا .

(٥) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المترفات بالكسل وقلة العمل فى البيت لأنهن مخدومات

(٦) يضوع المسك : أى تذهب رائحته هنا وهناك ، وأصورة : جمع صوار بالضم ، وهو نافجة المسك أو حقه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسمين ، وأجوده ما كان يميل الى حمرة ، ولذلك وصفه بالورد . (المعنى) اذا قامت هذه الجارية تضوع منها المسك شديدة رائحته كأنما تضوع من عدة حقاق ، وكذلك كانت رائحة زيت الياسمين المنبعثة من أطراف أكمامها شاملة عامة للمكان الذى هى فيه .

(٧) الحزن : الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا : موضع ببلاد بنى يربوع من اليمامة فيه رياض وقيعان .

يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤزَّرٌ بعَميمِ النبتِ مكتَهِل (١)

يومًا بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُل (٢)

صدَّت هريرةُ عنا ما تكلِّمنا ... جهلًا بأم خليد، حبلَ مَنْ تَصِل؟ (٣)

أأَنْ رأتْ رجلًا أعشى أضرَّبِهِ ... رَيبُ المنونِ ودهرٌ مُفْنِدٌ خَبِل (٤)

قالت هريرةُ لما جئتُ زائرها: ... وَيْلِي عليك! ووَيْلِي منك يا رجل! (٥)

إما تَرَيْنا حُفاةً، لا نِعالَ لنا ... إنَّا كذلك ما نَحْفَى وننتعِل (٦)

وقد أقودُ الصِّبا يومًا، فيتبَعُني ... وقد يصاحبُني ذو الشِّرَّةِ الغَزِل (٧)

---

(١) كوكب كل شيء: معظمه ويريد به هنا جماعة الزهر، أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها، أو يتفتح ويشرق عند شروقها، وهذا الزهر مؤزر أى يكنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتفاف الإزار.

(٢) الأصل: جمع أصيل وهو من العصر الى الظلام، وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملا رائحة الأزهار، وبأطيب خبر قوله ما روضة السابقة، يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة.

(٣) أم خليد: كنية هريرة وقوله (حبل من تصل؟) استفهام تعجبي، يعنى: اذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم إذن؟.

(٤) الأعشى: الذى لا يبصر بالليل، والمفند: الآتى بالفند وهو السفه فى الرأى، ومثله الخبال.

(٥) «ويلى عليك وويلى منك» أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك، وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر إلى هلاكى. (المعنى) أمن أجل أن رأتنى هريرة رجلا أعشى قد أهلك الموت أهله وخانه دهر سفيه مخبول تقول لى لما زرتها «ويلى عليك الخ».

(٦) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان، وأنه كان شابا غنيا طروبا غزلا يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمع للقيان وينعم بهن فقال: «إما ترينا حفاة لا نعال لنا ... الخ» أى إن ترينا نتبذل مرة فنمشى حفاة فليس هذا دأبنا دائما فانا نمشى أيضا منتعلين فطورا نفتقر وطورا نغنى.

(٧) أقود الصبا الخ: أى أتصابى، وآتى بأفعال الفتيان، ويصحبنى منهم الغزل ذو الشرة، وهى

وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعُنى ... شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِل (١)

فى فِتيةٍ كسيوف الهنـدِ قد علموا ... أنْ هالكٌ كُلُّ مَنْ يحفىٰ وينتعـل (٢)

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحـان متكئا ... وقهـوةً مُزَّةً راوُوقُهـا خَضِل (٣)

لا يستفيقون منها، وهى راهنـةٌ ... إلا بهاتِ، وإن عَلُّوا، وإن نَهِلوا (٤)

يسعىٰ بها ذو زجاجاتٍ له نَطَفٌ ... مُقَلِّصٌ أسفلَ السِّربالِ مُعْتَمِلُ (٥)

ومستجيبٍ تخالُ الصَّنْجَ يَسْمعُه ... إذا تُرَجِّع فيـهِ القَيْنَةُ الفُضُـل (٦)

---

(١) الحانوت : بيت الخمار، والشاوى : الذى يشوى اللحم، والمشل : السّواق الخفيف، والشلول والشلشل : المشترى، فيحمله له ويرفعه . (المعنى) قد أبكر الى حانة الخمار يتبعنى غلام طاه يشوى لى اللحم ويسوق دابتى سوقا حسنا، ويحمل لى ما أشتريه فى نشاط وخفة روح، وذكر هذه الألفاظ المتقاربة الحروف والمعانى مبالغة، ولكنها عيبت عليه .

(٢) أى كالسيوف فى المضاء والصرامة وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة خبرها «هالك كل من ... الخ» فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر . (المعنى) أى فى فتية قد علموا أن جميع الناس هالكون فهم يبتدرون اللذات خوف أن يفوتها الموت عليهم .

(٣) الريحان : كل زهر طيب الرائحة، ونازعتهم قضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى؛ والقهوة : الخمرة، والراووق : الوعاء الذى تروق فيه الخمر، وخضل : دائم الندى لا يجف لكثرة شربهم .

(٤) راهنة : دائمة أمامهم أى لا ينتهون إلا اذا أبطأ عليهم الساقى فصاحوا به "هات" ولو شربوا عللا بعد نهل أى مرة بعد أخرى .

(٥) النطف : القرطة من اللؤلؤ، ومقلص : مشمر، والسربال : القميص، والمعتمل : النشيط . (المعنى) يسعى بالخمرة ساق يحمل زجاجاتها مقرط الأذن بلؤلؤ، مشمر ذيله معتمل نشيط .

(٦) ومستجيب : أى ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بحا كاته، أى أن العود والصنج متفقان فى النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنج : دوائر رقاق من نحاس يصفق بإحداها على الأخرى وهى التى نسميها فى زماننا « الكاسات » وهو أيضا نوع من الآلات الوترية، وترجع : تردد النغم، والقينة : الأمة، وقيل : إذا كانت مغنية، والمرأة الفضل : التى تلبس ثوبا واحدا كأنها متبذلة .

والساحباتُ ذُيولَ الرَّيْطِ آونةً   والرافلاتُ على أعجازها العِجَلِ (١)

من كل ذلك يومٌ قد لَهَوْتُ به   وفي التجارب طولُ اللهوِ والغَزَلِ (٢)

* * *

أبلغ يزيدَ بني شَيْبانَ مَألُكَةً:   أبا ثُبَيْتٍ أَمَا تنفكُّ تأْتَكِلُ (٣)

ألستَ منتهيًا عن نَحْتِ أثلتِنا   ولستَ ضائرَها ما أطَّتِ الإبلُ (٤)

كناطحٍ صخرةً يومًا ليُوهِنَها   فلمْ يَضِرْها وأوهَى قَرْنَه الوَعِلُ

تُغرِي بنا رَهْطَ مسعودٍ وإخوتِهِ   يومَ اللقاءِ، فتُرْدِي، ثم تعتزِلُ (٥)

لا أعرِفَنَّكَ إن جَدَّتْ عداوتُنا   والتُمِسَ النَّصرُ منكم عَوْضُ تُحتَمَلُ (٦)

تُلحِم أبناءَ ذي الجَدَّين إن غضبوا   أرماحَنا، ثم تلقاهمْ، وتعتزِلُ (٧)

لا تقعُدَنَّ، وقد أكَّلْتَها حَطَبًا   تَعوذُ من شرِّها يومًا وتبتهِلُ (٨)

---

(١) والساحبات بالنصب على أنه مفعول لفعل مقدّر : أى وترى الساحبات ، أو على أنه معطوف على الصنج ، أى وتخال الصنج يسمعه وتخال الساحبات كذلك ، أى يوافقن فى غنائهن نغم العود ، والريط : الملاءات ، وآونة : جمع أوان . والرافلات : الجارات لثيابهن خلفهن ، والعجل : القرب الصغيرة شبه بها أعجازهن .

(٢) أى لهوت وتغزلت طويلا فى تجاربى .

(٣) المألكة : الرسالة ، وتأتكل : يأكل بعضك بعضا من الغيظ .

(٤) أصل الأثلة الشجرة من الأثل ، والمراد بها هنا أصلنا ومجدنا المؤثل ، وأطت الإبل : أنت تعبا وحنينا . (المعنى) لست بضارنا أبد الدهر .

(٥) تغرى بنا رهط مسعود : أى تلصق العداوة بيننا و بينهم فتهلك الناس باغرائك ثم تعتزل القتال .

(٦) عوض : ظرف لمستقبل الزمان ضدّ قط التى هى للماضى ، تقول عوض لا أفارقك . أى لا أفارقك أبدا ، وتحتمل بالبناء للمجهول . من احتمل الرجل أغضب . أى لا أظنك إن احتدم الشر بيننا والتمس منك المساعدة تغضب للتمس وتنصره .

(٧) أى تجعلهم لحمة وطعاما لرماحنا وذو الجدّين : قيس بن مسعود من أشراف العرب .

(٨) أكلتها : أججتها ثم تعوذ بالله من شرها وتبتهل اليه فى اجتنابها .

سائل بنى أسـدٍ عنّا، فقد علموا ... أنْ سوف يأتيك من أنبائنا شَكَلُ (١)

واسأل قُشَيْراً وعبدَ الله كلَّهمُ ... واسأل ربيعةَ عنا كيف نفتعل (٢)

إنا نقاتلهم حتى نُقتّلهم ... عند اللقاء، وإنْ جاروا، وإنْ جَهِلوا

قد كان فى آلِ كهفٍ إن همُ احتربوا ... والجاشرية من يسعَى ويَنتضل (٣)

إنى لعمرُ الذى خطَّتْ مناسمُها ... تَخْدى، وسِيقَ اليه الباقرُ الغُيُلُ (٤)

لئن قتلتم عميدا لم يكن صَدَدًا ... لنقتُلَنْ مثلَه منكم، فنمتثِل (٥)

لئن مُنيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ ... لا تُلفِنا عن دماءِ القومِ ننفتِل (٦)

لاتنتهون. ولن ينهَى ذوو شَطَطٍ ... كالطعنِ يذهبُ فيه الزَّيْتُ والفُتُل (٧)

---

(١) شكل : أزواج، أى خبر ثم خبر.

(٢) نفتعل : نأتى بالامر العظيم المبتدع.

(٣) آل كهف والجاشرية : حيان من العرب، أى لقد كان فى هذين الحيين من يسعى لأخذ ثاره ويناضل فادخولك أنت بينهم ولست منهم.

(٤) خدلت : صفت التراب بمناسمها، والمناسم : جمع منسم كمجلس، طرف الخف من البعير وتخدى : تسرع فى السير مع اضطراب، والباقر : البقر، والغيل ككتب، جمع غيول : الكثير من الإبل والبقر ونحوها (المعنى) إنى أحلف بالله الذى ترحل إلى بيته إبل الحجيج مسرعة تثير التراب بمناسمها ويساق اليه البقر الكثير ليضحى به هديا يتقرب به إليه.

(٥) العميد : السيد، وصدد الشىء : المقابل له أو القريب منه فنمتثل أى نتخير الأمثل فالأمثل (المعنى) لئن قتلتم منا سيدا لم يكن فى رفعة الشأن مقاربا للقاتل لنقتلن به أفضل سيد فيكم.

(٦) منيت : أصيبت وابتليت بنا بعد معركة، وننفتل : نلوى وننصرف (المعنى) لئن ابتليت بحربنا لا تجدنا نجحد دماء قومك ونتبرأ منها بل نعترف بها ونستعد للاقائكم عند ما تريدون أخذ الثأر منا.

(٧) الشطط : الجور والظلم أى أنكم لا تنتهون عن أذانا، ولا ينهاكم عن ظلمنا الا طعنة جائفة إذا عولجت بوضع الزيت والفتيل ذهب الزيت والفتيل فيها لغورها، ولم يغن العلاج وبقى الجرح بلا برء.

حتى يَظَلَّ عميدُ القومِ مرتفقًا ... يَدْفَعُ بالرَّاحِ عنه نِسْوةٌ عُجُلُ (١)

أصابَهُ هِندُوانِيٌّ، فأَقْصَدَهُ ... أو ذابلٌ من رماحِ الخَطِّ معتدِلُ (٢)

كَلَّا! زعمتُمْ بأنا لا نقاتلُكم ... إنا لأمثالِكم يا قومَنا قُتُلُ (٣)

نحن الفوارسُ يومَ الحِنْوِ ضاحيةً ... جَنْبَي فُطَيْمَةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ (٤)

قالوا: الطعانُ. فقلنا: تلك عادتُنا، ... أو تنزلونَ، فإنا مَعْشَرٌ نُزُلُ (٥)

قد نَخضِبُ العَيْرَ في مَكنونِ فائِلِهِ ... وقد يَشيطُ على أرماحِنا البَطَلُ (٦)

---

(١) العجل: جمع عجول: المرأة الثكلى، أي لا تنتهون عن غيكم حتى نصرع سيد قومكم، فيظل معتمداً على مرفقه يهم بالقيام فلا يستطيع، وقد فزعنه أنصاره أو قتلوا، ولم يبق مدافع عنه إلا نسوة ثكالى يدفعن عنه بأكفهن خشية أن تدوسه الأرجل.

(٢) الهندواني: المنسوب الى الهند أي سيف هندواني، وأقصده: أصابه فلم يخطئه. أو ذابل: أي رمح ذابل من رماح الخط وهي بلد في البحرين تجلب منها الرماح.

(٣) قتل: جمع قتول أي قتال.

(٤) الحنو: المعوج من جبل و رمل ومن كل شيء: و يوم الحنو: من أيامهم ويسمى «حنو قراقر، وحنو ذي قار». وفطيمة: اسم موضع بالبحرين انتصر فيه قومه على بني شيبان. وفعل الشيء ضاحية: أي علانية — والميل: جمع أميل وهو الذي لا يثبت في القتال. والعزل: جمع أعزل وهو الذي لا سلاح معه وحركت الزاي بالضم (المعنى) نحن الفوارس المنتصرون علانية يوم الحنو بجانبي وادي فطيمة حيث لم نكن ثمة فارّين ولا عزلا من السلاح.

(٥) أي أو تنزلون عن خيولكم فنجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح فانا مثلكم نازلون.

(٦) العير: المراد به هنا حمار الوحش الذي يصاد بالرماح، والفائل: عرق يجري من الجوف الى الفخذ. ومكنون فائله: الدم الذي ينفجر منه. و يشيط: يهلك (المعنى) اننا بصراء بمواضع الطعن فاذا كان الصيد والطرد طعنا حمار الوحش في فائله نخضبنا العير بدمائه التي تنزف منه، واذا كان القتال طعنا الفارس فرفعناه على رماحنا.

(٨) قال طرَفة بن العبد (١) :

لخـولةَ أطلالٌ ببُرْقةِ ثَهْمَـدِ ... تلوحُ كباقي الوَشْمِ فى ظاهرِ اليـدِ (٢)

وقوفًا بهـا صَحْبِي علىَّ مَطِيَّهـمْ ... يقولون : لا تَهْلِكْ أسًى وتَجَـلَّدِ (٣)

كأنَّ حُدوجَ المـالكيّةِ غُدْوةً ... خَلايا سَـفينٍ بالنواصف من دَدِ (٤)

عَدَوْليّـةٌ أو من سَفينِ ابن يامِنٍ ... يَجورُ بها المَلّاحُ طَوْرًا، ويهتدى (٥)

---

(١) هو طرفة بن العبد البكرى أحد فحول شعراء الجاهلية ، مات أبوه وهو صغير ورباه أعمامه ، ومال الى البطالة وقول الشعر ، وتعرض به لهجاء الناس والملوك ، وكان ممن هجاهم عمرو بن هند ، فجاء يوما يعترض لمعروفه ، فأحاله على عامل له بالبحرين بأن يأخذ جائزته منه ، وأوعز ابن هند الى الوالى بقتله فقتله وهو شاب لم تزد سنه على ست وعشرين سنة . وهو من أوصف الناس للناقة ، يميل الى الغريب من اللفظ والكناية حتى تكاد تخفى معانيه فى بعض أبيات من شعره ، وله ديوان صغير أشهره معلقته التى نحن بصدد شرحها .

(٢) خولة : اسم امرأة . والأطلال : الآثار الشاخصة من الديار بعد دروسها . والبرقة فى الأصل : المكان الذى اختلط ترابه بحجارة أو حصى براق . و برقة ثهمد : اسم ديار محبوبتـه . الوشم : النقش على اليد بالنيلج أو بصبغ أسود بغرز الإبر فى الجلد .

(٣) وقوفا : منصوب على أنه حال وهو جمع واقف ، وصحبى فاعل لفظ (وقوفا) لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله ومطيهم مفعول لأنه بمعنى حبس المتعدى . (المعنى) لاحت لى هذه الأطلال ، وأصحابى حابسون مطيهم من أجلى فى هذه البقعة ناصحين لى بالتجلد والصبر ، يقولون : لا تهلك حزنا وتجلد .

(٤) الحدوج : جمع حدج وهو مركب يوضع على الجمال للنساء خاصة . والمـالكية : أى المنسوبة الى بنى مالك بن سعد . والخلايا : جمع خلية ، وهى السفينة العظيمة . والنواصف : جمع ناصفة ، وهى الرحبة الواسعة فى الوادى . ودد اسم مكان (المعنى) كأن هوادج المـالكية وهى تسير بالرحاب الواسعة من المكان المسمى ددا سفن عظيمة لكبرها وتمايلها ثم أخذ فى وصف هذه السفن فقال عدولية الخ .

(٥) عدولى : قرية بالبحرين كان أهلها يصنعون السفن العظيمة . وابن يامن ملاح أو تاجر من أهل هجر . ويميل بها الملاح : أى يجور بها عن طرق السفن المسلوكة طورا ويهتدى طورا على حسب تصاريف الـــرياح .

يَشُقُّ حَبابَ الماءِ حيزومها بها ... كما قَسَمَ التُّرْبَ المفايِلُ باليد (١)

وفى الحَىِّ أحْوى ينفُضُ المَرْدَ شادِنٌ ... مُظاهِرُ سِمْطَى لُؤلُؤٍ وزَبَرْجَد (٢)

خَذُولٌ تُراعى رَبْرَبًا بخميلةٍ ... تَناوَلُ أطرافَ البَريرِ وترتدى (٣)

وتبسِمُ عن ألْمى كأنَّ مُنَوِّرًا ... تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّملِ دِعْصٌ له نَدِ (٤)

(١) الحباب: موج البحر المزبد. والحيزوم: الصدر. والمفايل: الذى يلعب لعبة الفيال أو المفايلة، وهى لعبة لصبيان الأعراب، وهى تراب يكومونه، ثم يخبئون فيه خبيئا، ثم يشق المفايل تلك الكومة بيده فيقسمها قسمين، ثم يقول: فى أى الجانبين خبأت؟ فان أجاب المسئول بالصواب ظفر وإلا قمر وغلب.

(٢) وفى الحى: أى فى منازل القبيلة ظبى أحوى، أى أسود العين، يريد به محبوبته، ثم ذكر بعض أوصاف الظبى وبعض أوصاف المحبوبة فقال: هذا الظبى ينفض المرد أى يأكل ثمر الأراك نفضا بفمه. شادن: أى صغير السن. وهذه المحبوبة تتقلد سمطين أحدهما فوق الآخر، سمطا من اللؤلؤ، وسمطا من الزبرجد. واللؤلؤ: خرز كريم يكون فى جوف نوع من الأصداف. والزبرجد: جوهر كريم من جواهر البر أخضر اللون.

حشية أو الظبية اذا خذلت صواحبها وأقامت على ولدها وهى خاذل أيضا وصفها على التشبيه هنا بوصف المؤنث. وفى السابق بوصف المذكر بقوله (أحوى) من أجل أن هذه المرأة تشبه الغزال مرة وتشبه مرة البقرة الخذول وإن رعت مع صواحبها لا تزال تتلفت إلى ولدها والهة عليه ترنو الى ناحيته بحنو. وذلك ما يريده فى وصف محبوبته عند تلفتها ونظرها بتدلل لمن يراعيها. وتراعى بمعنى ترعى مع غيرها. والربرب: القطيع من البقر والظباء. والخميلة: الأرض اللينة ذات الأشجار الكثيفة الغضة المتهدلة. والبرير: ثمر الأراك (المعنى) أن هذه الفتاة حسنة التلفت والنظرات كأنها مهاة مذعورة على ولدها، فهى ان رعت مع صواحب لها خذلتهن واجتنبتهن ولا تزال متلفتة الى ناحية ولدها، وهى متنعمة كالمهاة التى ترعى البرير وتدخل فى خلال أغصان الشجر فتكون كأنها مرتدية بها.

(٤) الثغر الألمى: الأسمر اللثة، وهم يمدحون سمرتها لدلالتها على اكتناز الدم فيها، وهو أمارة الصحة. والمنور: صفة لموصوف محذوف أى كأن أقحوانا منورا. وخبر كأن محذوف تقديره (هو) وتخلل الشىء حل فى خلله. وحر الرمل خالصه. والدعص: الكثيب من الرمل (المعنى) أن الحبيبة تبسم عن ثغر كأن فيه أقحوانا منورا تخلل دعصه الندى الذى نبت فيه رملا خالصا نقيا. والأقحوان الذى ينبت فى الرمل الندى النقى يكون أنقى بياضا.

سَقَتْهُ إياةُ الشَّمسِ إلّا لِثاتِهِ أُسِفَّ، ولم تَكدِم عليه، بإثْمِد (١)

ووجهٌ كأنَّ الشمسَ ألقتْ رداءَها عليـهِ نقيُّ اللونِ لم يَتخدَّد (٢)

وإني لأُمضي الهَمَّ عندَ احتضارِه بعَوجاءَ مِرْقالٍ تَروحُ وتغتدي (٣)

الى أن قال :

على مثلِها أمْضي اذا قال صاحبي: ألا ليتني أفديكَ منها، وأفتدي (٤)

وجاشتْ اليه النفسُ خوفًا، وخالَهُ مُصابًا، ولو أمسى على غيرِ مَرْصَد (٥)

اذا القومُ قالوا: مَنْ فتًى؟ خلتُ أنَّني عُنيتُ، فلم أكسَلْ ولم أتبَلَّدِ (٦)

---

(١) وصف الثغر : باعتبار بياض أسنانه بأن سقته إياة الشمس أى ضوؤها بياضا وحسنا أى أشربته حسنها . واستثنى اللثة لأن بياضها عيب ودليل على ضعف الدم بل هى سمراء كأنما ثغرها أسف بأثمد أى ذر عليه الأثمد وهو الكحل فاسودّت لثته وبقيت مرسلة على الأسنان لم تتقلص الى أعلى لأنها مترفة فى المأكل لا تكدم على ثغرها بأكل الأشياء اليابسة الغليظة التى تكشف اللثة عن أصول الأسنان بل تأكل اعم اللين .

(٢) ووجه : ولها وجه أبيض كأن الشمس خلعت رداءها عليه فهو نقى اللون لم يتخدد أى يتكسر جلده ويتغضن فيطفئ ذلك رونقه .

(٣) أمضى : أنفذ ، والهم ما يهم من الأمور ، واحتضاره : حضوره . والعوجاء : الضامرة الملتصقة البطن ، فتكون معوجة الأسفل . والمرقال : السريعة السير ، وتروح وتغتدى : أى تصل سير الرواح بسير الغدو . أى اذا همنى أمر يستدعى السفر أمضيته من ساعة حضوره بركوب ناقة ضامرة سريعة تصل الرواح بالغدو .

(٤) على مثلها الخ : أى على مثل الناقة أسير فى الفلاة الموحشة التى يقول صاحبى من خوفها : إنا هالكون ، فياليتنى أقدر على أن أفديك منها ، وأفتدى نفسى — وضمير فيها يعود على الفلاة المفهومة من المقام كقوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » أى الشمس .

(٥) وجاشت إليه النفس خوفا : أى ارتفعت ، فلم تستقر : كما تجيش القدر إذا ارتفع غليانها . والمرصد : المكان الذى يترصد فيه اللصوص والأعداء من يمر بهم (المعنى) وذعرت نفسه ، وظن نفسه مصابا هالكا ، ولو لم يكن هناك من يرصده . ثم أخذ يفتخر بخصاله فقال « إذا القوم الخ ... » .

(٦) أى إذا قال القوم : من فتى لسلوك هذه الفلاة و إمضاء هذه المهمة العظيمة ؟ علمت أنهم يعنوننى ؛ فقمت بها غير كسل ولا متبلد .

أحلْتُ عليها بالقَطِيع ، فأجْذَمتْ ... وقد خَبَّ آلُ الأمْعَز المُتوقِّد (١)

فذالتْ كما ذالتْ وَليدةُ مَجلِس ... تُرِي ربَّها أذيالَ سَحْلٍ مُمدَّد (٢)

ولستُ بحلّالِ التِّلاعِ مخافةً ... ولكن متى يسترفِد القومُ أرفِد (٣)

فان تَبغِنى فى حَلْقةِ القومِ تلقَنى ... وان تلتمسْنِى فى الحوانيتِ تَصطَد (٤)

متى تأتِنى أصبحْكَ كأسًا رَويّةً ... وان كنتَ عنها ذا غِنًى فاغْنَ وازدَدِ (٥)

وإن يلتقِ الحىُّ الجميعُ تلاقِنى ... الى ذِروة البيتِ الشريفِ المُصمَّد (٦)

ندامایَ بِيضٌ كالنجومِ وقَيْنةٌ ... تروحُ إلينا بينَ بُرْدٍ ومُجْسَد (٧)

(١) القطيع : السوط ، وأحلت على الناقة بالقطيع ضربتها به ضربا فى إثر ضرب . وأجذمت : أسرعت ، وخب : ارتفع . والآل : السراب ، أو هو سراب أول النهار خاصة . والأمعز والمعزاء : المكان الغليظ الكثير الحصى ، والمتوقد : الملتهب بالحر (المعنى) قمت بسلوك هذه المفازة فركبت ناقتى ، وضربتها بالقطيع فأسرعت ، وقد اشتد الحر وارتفع السراب فى الأماعز الملتهبة من الحر .

(٢) فذالت أى ماست وتبخترت . والوليدة : الجارية المولدة فى بلاد العرب . والسحل : الثوب الأبيض (المعنى) فتبخترت هذه الناقة كما تتبختر جارية تعرض فى مجلس سيدها تجر أذيال ثوبها الأبيض الضافى .

(٣) التلاع : جمع تلعة ، وهى مجارى المياه من رءوس الجبال إلى الأودية حيث تشق فيها شقا . واسترفد : طلب الرفد وهو المعونة والعطاء (المعنى) لست ممن يستتر فى التلاع وشقوق الجبال مخافة الضيفان والمسترفدين ، ولكن متى يطلب القوم إعانتى أعنهم .

(٤) الحانوت : حانة الخمار يعنى إذا طلبت معونتى تجدنى إما فى حلقة القوم عند المشورة وإجالة الرأى ، وإما فى حانات الخمارين ، أى أنى رجل جد اذا جد الأمر ، ورجل لهو اذا فرغت .

(٥) يقول إذا جئتنى أصبحك بشرب كأس ترويك ، وإن كنت غانيا عنها بما عندك فاغن به وازدد بما عندنا .

(٦) ذروة كل شىء : أعلاه . والمصمد : الذى يصمد اليه فى الحوائج أى يقصد (المعنى) إن يجتمع الحى للفاخرة بالأنساب تجدنى أنتمى الى أعلى بيت شريف يقصد فى الحوائج .

(٧) الندامى : جمع نديم . والقينة : الأمة المغنية وقد تطلق على الأمة أيا كانت . تروح علينا أى تأتينا عشية . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران أو الثوب الذى يلى الجسد وهو =

إذا نحنُ قُلْنا : أسمعينا ، انبرَتْ لنا ... على رِسْلِها مطروفةً لم تَشَدَّد (١)

إذا رَجَّعَتْ فى صَوْتِها خلتَ صَوْتَها ... تجاوُبَ أَظْآرٍ على رُبَعٍ رَدِى (٢)

وما زال تَشرابِى الخمورَ ولَذَّتِى ... وبَيْعِى وإنفاقى، طَرِيفى ومُتْلَدِى (٣)

إلى أن تحامتْنى العشيرةُ كلُّها ... وأُفرِدْتُ إفرادَ البعيرِ المُعبَّد

رأيتُ بنى غَبْراءَ لا يُنكِرُوننى ... ولا أَهْلُ هذاكَ الطِّرافِ المُمَدَّد (٤)

ألا أيُّها ذا الزاجرى أَحْضُرَ الوَغَى ... وأنْ أَشهَدَ اللذاتِ، هل أنتَ مُخْلِدِى (٥)

فإن كنتَ لا تسطيعُ دفعَ مَنِيَّتى ... فدعْنِى أُبادِرْها بما ملكتْ يدى (٦)

= الشعار (المعنى) نداماى أحرار بيض ليسوا مولدين من إماء سود فهم مثل النجوم الوضاءة ، ومن نداماى مغنية تجىء الينا عشية عليها برد تحته قيص أحمر اللون ، أو تحته قيص واحد على جسدها .

(١) أى اذا قلنا لهذه المغنية : أسمعينا غناءك اعترضت لنا وظهرت تغنى على رسلها هينة فى رفق وتؤدة ، مطروفة العين (أى ساكنة الطرف) لم تبالغ فى صياحها .

(٢) رجعت فى صوتها : كررت النغم . والأظآر : جمع ظئر ، وهى هنا الناقة المرضع . والربع : الفصيل الذى ولد فى الربيع . والردى : الهالك (المعنى) اذا رجعت هذه المغنية فى صوتها أشبه حنين صوتها حنين النياق التى فقدت فصلانها .

(٣) تشرابى : أى شربى . والطريف : المال الذى يكتسبه المرء بنفسه . والتليد والمتلد : الذى يرثه عن آبائه ، والمعبد : البعير الأجرب المطلى بالقطران المبعد عن الإبل (المعنى) ما زال شربى للخمر ولذتى بها وبيعى وانفاق لأجلها هو كل ثروتى الحديثة والقديمة حتى تحامتنى عشيرتى لإفراطى فى اللذات ، وأصبحت منفردا بلذاتى عنهم كالبعير الأجرب .

(٤) الغبراء : اسم للأرض . وبنو غبراء : الفقراء أو الأضياف . والطراف : القبة من الجلد يتخذها المياسير والأغنياء . والممدد الذى مد بالأطناب (المعنى) إن اعتزلونى لا أكن مجهولا ؛ فان الفقراء يعرفوننى بعطائى لهم ، وكذلك الأغنياء بجلالتى وشرف نسبى .

(٥ و ٦) الوغى : الحرب (المعنى) يا من يزجرنى من أجل حضورى الحروب وانهماكى فى اللذات بأن كلا منهما يجر الى الموت هل أنت ضامن لى الخلود فى الدنيا؟ فان كنت لا تستطيع دفع منيتى فدعنى أستبق اليها بانفاق ما ملكت يدى فى لذاتى .

أرى قبرَ نحَّام بخيلٍ بماله ... كقبر غَوِيٍّ فى البَطالة مُفسِدِ [١]

ترى جُثْوَتَيْنِ من تُراب عليهما ... صفائحُ صمٌّ من صَفيح منَضَّدِ [٢]

أرى الموتَ يعْتامُ الكِرامَ ويصطفي ... عَقيلةَ مالِ الفاحش المتشَدِّدِ [٣]

أرى العيشَ كنزًا ناقصًا كلَّ ليلة ... وما تَنْقُصِ الأيامُ والدهرُ يَنفَدِ [٤]

لعمركَ إن الموتَ ما أخطأَ الفتى ... لكالطِّوَل المُرخى وثِنْياه باليدِ [٥]

متى ما يشأْ يوما يَقُدْه لحَتْفِه ... ومن يكُ فى حبلِ المنِيَّةِ يَنْقَدِ [٦]

*
* *

---

(١) النحام : الكثير النحيم ، وهو التنحنح بخلا ، والمراد بالغوىّ هنا المسرف فى ماله المبدّد له بانفاقه فى غير صالح .

(٢) الجثوة : الكومة من التراب أو الحجارة ، والصفائح : جمع صفيحة وهى الحجر العريض كالبلاط . المنضد : المصفف المسوّى بعضه الى بعض — أى أن البخيل والمسرف يتساويان بعد موتهما ؛ فلكل منهما قبر عليه كومة من التراب وبعض حجارة مصففة .

(٣) يعتام : يصطفى ويختار . وعقيلة كل شىء : خيرته وأنفسه عند أهله ؛ فهم يعقلونه أى يمنعونه الناس لذلك . والفاحش المتشدد : الشديد البخل .

(٤) العيش هنا : العمر والحياة .

(٥) ما أخطأ الفتى : أى مدة إخطائه له بابقائه حيا دهرا طويلا . والطول : الحبل ، وثنياه : طرفاه المثنيان منه . (المعنى) أن الموت إذا أغفل بعض الناس ، فطال عمرهم لا يخرجون عن قدرته وسلطانه ؛ فمثله كمثل من بيده طرفا حبل مربوط برأس فرس إذا شاء جذبه اليه فانقاد له . كذلك الإنسان لا محالة ميت ، وإن طال عمره .

(٦) الحتف : الموت — يقول : إن زمام الإنسان بيد الموت متى أراد جره الى هلاكه . ولا مناص للمرء من الموت .

ومنها :

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً على المرءِ من وَقعِ الحسام المهنّد (١)

* * *

ومنها :

أرى الموتَ أعدادَ النفوسِ ولا أرى بعيدًا غدًا، ما أقربَ اليومَ من غدِ!

ستُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ (٣)

ويأتيك بالأخبار من لم تبِعْ له بتاتًا، ولم تضرب له وقتَ موعدِ (٤)

* * *

(١) أشد مضاضة : أي أشد حرقة وألما

(٢) الأعداد هنا : جمع عد بكسر العين ، وهو الماء الدائم الذي لا تنقطع مادته مثل ماء العيون لا بار لا ماء الغدران . (المعنى) أرى الموت موردا للأحياء دائما لا يفنى ؛ فهم دائما وارده .

(٣) أي ستظهر لك الأيام ما كان خافيا عليك ، و يأتيك بالأخبار من لم تسأله عنها وتتكلف مؤونة زاده ليسافر ويجلبها لك .

(٤) تبع : هنا بمعنى تشتري ، وهو من كلمات الأضداد في اللغة . والبتات : الزاد والجهاز .

وقال أيضا :

سائلوا عنّا الذى يعرِفُنا ... بقُوانا يومَ تَحلاقِ اللِّمَم (١)

يومَ تُبدِى البيضُ عن أَسْوُقِها ... وتَلُفّ الخيلُ أعراجَ النَّعَمْ (٢)

أَجْدَرُ الناس برأسٍ صِلْدِمٍ ... حازِمِ الأَمرِ شُجاعٍ فى الوَغَم (٣)

كاملٍ يَحمِلُ آلاءَ الفتى ... نَبِهٍ سيِّدِ ساداتٍ خِضَم (٤)

خيرُ حىٍّ من مَعَدٍّ عَلِمُوا ... لِكَفِىٍّ ولِجارٍ وابنِ عم (٥)

يَجْبُرُ المحروبُ فينا مالَه ... ببناءٍ وسَوامٍ وخَدَم (٦)

نُفُلٌ للشحْمِ فى مَشْتاتنا ... نُحُرٌ للنِّيبِ طَرّادُو القَرَم (٧)

---

(١) يوم تحلاق اللمم : يوم انتصرت فيه بكر على تغلب من أيام البسوس ، وكان يقود بكرا الحارث ابن عباد البكرى ، وقد أمر بحلق شعورهم ليتميزوا .

(٢) أى النساء البيض أى يوم يكشفن عن سوقهن ، كناية عن هول ذلك اليوم ، والأعراج : جمع عرج بفتحتين ، القطيع من الإبل من الثمانين فما فوق ، والنعم : الابل ، واللف : الجمع والضم ضد النشر . أى وتحوز خيلنا أى فرسانها قطائع إبل تغلب .

(٣) الرأس الصلدم : القوى الصلب ، ويريد به هنا رأس القوم فى الحرب ، أى رئيسهم ، والوغم : الحرب . (المعنى) نحن أجدر الناس بأن يقودنا رئيس قوى حازم شجاع فى الحرب .

(٤) الآلاء : جمع ألا (كعصا) أو ألو (كدلو) ، ومن معانى الألو والألا : العطية والنعمة والجهد وكلها مناسبة هنا . والخضم : السيد الحمول المعطاء ، خاص بالرجال أى إن هذا الرئيس كامل يحمل نعم الفتى الكامل أى يتصف بمحاسنه ، أو يحمل عطاء الفتى القاصد له ، أو يحمل ضعفه وجهده باعانته وحمايته .

(٥) نحن خير حى من قبائل معد — وعلموا بالبناء للمعلوم أى عرفونا بذلك . والكفىء : الكاسف اللون المتغيره بؤسا — أى نحن خير حى فى معد عرفه الناس مرجوا للكفىء وللجار ولابن العم .

(٦) المحروب : المسلوب المال . والبناء : المسكن ، والسوام كسحاب : الإبل السائمة — أى أن المسلوب المال اذا أقام فينا جبرنا ماله ، وأسكناه وأعطيناه إبلا سائمة وخدما .

(٧) نفله : أعطاه نفلا أى عطية ، والقرم : شدة اشتهاء اللحم لبعد العهد بأكله . يعنى أننا نعطى من يقصدنا الشحم فى الشتاء ، وهو زمن الجهد ونحر النوق النيب ، ونطرد عن مشتهى اللحم قرمه باطعامه إياه .

نَزَعُ الجاهلَ في مجلسنا   فترى المجلسَ فينا كالحَرَم (١)

وتفرَّعنا من ابنَي وائلٍ   هامةِ المجدِ وخُرطومِ الكرَم (٢)

من بني بكرٍ اذا ما نُسِبُوا   وبني تغلبَ ضرّابي البُهَم (٣)

حين يحمي الناسُ نحمي سِربَنا   واضحي الأوجُهِ معروفي الكرَم (٤)

بحُسامات تراها رُسَّبًا   في الضريبات مُترّاتِ العُصُم (٥)

وفحولٍ هيكلاتٍ وُقُحٍ   أعوجيّاتٍ على الشأوِ أُزُم (٦)

وقنًا جُردٍ وخيلٍ ضُمَّرٍ   شُزَّبٍ من طُول تعلاكِ اللُّجُم (٧)

---

(١) نزع : مضارع وزع بمعنى كف وزجر . والحرم : ما يحارب عنه الإنسان ويحميه ، أو أنه يريد حرم مكة — بمعنى أننا نكف الجاهل فلا يأتي في مجلسنا بسفاهة فكأن مجلسنا حرم نحميه أو حرم يحترم دينا .

(٢) على صيغة الماضي بسكون العين والخرطوم الأنف — أي وقد تفرعنا ونسلنا من ابني وائل بكر وتغلب اللذين هما بمنزلة هامة للمجد ، ويكنون بالأنف عن الأنفة والعز والشمم .

(٣) ثم فسر معنى ابني وائل بأنهما بكر وتغلب وضرابي البهم . جمع بهمة وهو الشجاع لا يعلم من أين يضرب .

(٤) والسرب بالكسر : النساء أو النفس .

(٥) جمع الحسام على حسامات نادر . ورسب : جمع راسب ، وهو السيف يغيب في الضريبة . وإذا قرئت رسبا ككتب كان جمع رسوب بمعنى الراسب أيضا . والوزن لا يمنع من ذلك والمترّ القاطع ، والعصم : جمع عصام ، كل ما يعصم الشيء ويشده ويربطه من الحبال ونحوها وقيل : أراد بها المعاصم على المعنى لأنها تعصم البدن بالدفع عنه .

(٦) الفحل : الذكر من كل حيوان ، ويريد بالفحول هنا الخيل الذكور ، والهيكل : العظيم الجسم ، وجمعه على هيكلات نادر ، ووقح : جمع وقاح ، يريد الفرس الصلب الحافر ، وأعوجيات : جمع أعوجي ، وهو الفرس ينسب الى أعوج : اسم فرس كريم عتيق ، وأزم : جمع أزوم ، وهو الفرس يعض على فأس اللجام من شدة نشاطه . والشأو : السبق ، أي ونحمي سربنا بخيول فحول صلبة الحوافر أعوجيات شديدة في السبق .

(٧) وقنا جرد : أي رماح مجرّدة من الكعوب الغليظة ، وخيل ضمر : أي ضامرات ، وشزّب : ضامرات صلاب ، وتعلاك اللجم وعلكها تحريكها والعض عليها بالفم . واللجم : جمع لجام .

آدت الصنعةُ فى أمْتُنِها ... فهى من تحتُ مُشيحاتُ الحُزُم (١)

تتّقِى الأرض برُحٍّ وُقُحٍ ... وُرُقٍ يقْعَرن أنباكَ الأَكَمْ (٢)

وتَفَرَّى اللحْمُ من تعدائها ... والتغالى ؛ فهى قُبٌّ كالْعَجَمَ (٣)

خُلُجُ الشدِّ مُلِحّاتٌ إذا ... شالت الأيدى عليها بالجِذَم (٤)

قُدُما تنضو إلى الدّاعى اذا ... خلّلَ الداعى بدعْوى ، ثم عمّْ (٥)

بشبابٍ وكُهول نُهُدٍ ... كَلُيوثٍ بين عِرِّيس الأَجَم (٦)

---

(١) آدى : قوّى . وصنعة الفرس : حسن القيام عليه والعناية بعلفه وتسمينه ، والأمتن : جمع متن ، وهو الظهر . ومشيحات الحزم : أى أن أحزمتها متقدّمة الى الأمام ، أو أنها مرتفعات الحزم لعظم صدرها ومتنها — يعنى أن هذه الخيل قد قوّى متونها وأعظمها حسن القيام على علفها حتى إنك لترى حزمها من تحتها مرتفعات جدا لعظم متنها وصدرها .

(٢) الأرح : الحافر العريض ، والجمع رح . ووقح : جمع وقاح ، وهو الحافر الصلب ، وورق : جمع أورق ، وهو الذى لونه الورقة ، وهى سواد فى بياض قليل كلون الرماد ، و يقعرن : يقتلعن ، والأنباك : جمع نبك ، وهى الأرض المرتفعة أو الأكمة المحدّدة الرأس . أى تتق تأثير مشيها على الأرض بحوافر صلبة ورقاء تقتلع الآكام .

(٣) تفرى : تشقق ، وتفرت العين : انبجست بالماء ، وكلا المعنيين مناسب ، والتعداء : العدو ، والتغالى : شدّة الارتفاع ، يريد صعود المرتفعات ، والقب : جمع أقب ، والقبب دقة الخصر وضمور البطن ، وهو من محاسن الخيل ، والعجم : نوى كل شىء (المعنى) أن هذه الفرس يتشقق لحمها و ينبجس بالعرق من شدّة عدوها وصعودها الآكام فأصبحت لذلك ضامرة البطن دقيقة الخصر يابسة العضل ، كأنها النوى فى اليبوسة .

(٤) الخلج : جمع خلوج ، وهى السريعة الجرى ، والشد : العدو . والملحات : المنصبات فى الجرى من ألح السحاب : دام مطره ، وشالت الأيدى : ارتفعت . والجذم : جمع جذمة ، وهو السوط .

(٥) قدما تنضو : أى تسبق وتسرع قدما أى تجرى أمام أمام بدون انحراف ، وخلل : خصص . والداعى : المستغيث — أى تسرع الى نجدة المستغيث قدما اذا خصص بادئ بدء . فصاح : يا لفلان ! ثم اضطر بعد الى التعميم لاشتداد الكرب عليه فعمم الدعوى .

(٦) والنهد : جمع ناهد ، وهو الشجاع الذى يمضى على كل حال وهو أيضا الأسد ، والعريس : مأوى الأسد . والأجم : الأجمات .

(٩) الحارث بن حلِّزة اليَشْكُرى (١)

من معلقته التى مطلعها :

آذنَتنا بِبَيْنِها أسْماءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ (٢)

* * *

وأتانا مِن الحوادثِ والأنـ ... ـباء خَطْبٌ نُعنَى به ونُساء (٣)

أنَّ إخوانَنا الأَراقِمَ يَغلُو ... نَ علينا فى قِيلهم إحْفَاءُ

---

(١) هو الحارث بن حلزة اليشكرى أحد فحول الشعراء المقلين ، وصاحب المعلقة الهمزية المشهورة . كان فى بكر بن وائل بمنزلة عمرو بن كلثوم فى تغلب شجاعة وحماسة وفصاحة وارتجالا . وكثير من الرواة يقولون : إنه ارتجل هذه القصيدة بحضرة الملك عمرو بن هند إثر ملاحاة وجدال بين أعيان بكر وتغلب عند الملك عمرو ، وكان يتعصب لتغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلزة ، وارتجلها على طولها وكثرة غريبها ، يفتخر بقومه وأيامهم فى حروب البسوس مع تغلب ، وفى غيرها — وعمر الحارث طويلا .

(٢) آذنتنا : أعلمتنا ، وبينها : بفراقها لنا ، وثاو : مقيم . أى كثيرا ما تكره إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشره ، وليست أسماء من هؤلاء ، ففراقها شاق علينا .

(٣) نعنى به : نقصد به نحن دون غيرنا . ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبنى بكر قبيلة الشاعر ، ويغلون علينا : يتجاوزون الحد فى التقول علينا ، والقيل : القول ، والإحفاء : شدة الإلحاح والاستقصاء (المعنى) بلغنا من الأخبار خبر يقصد به إساءتنا ، وهو أن الأراقم من تغلب يغالون ويتشددون فى نسبة مالم نفعل إلينا .

يخلطون البرِيءَ منّا بذى الذّنْـ ـب ، ولا ينفع الخلِيَّ الخلاءُ (١)

زَعَمُوا أنّ كلَّ مَنْ ضَرب العَيْـ ـرَ مَوالٍ لنـا ، وأنَّا الوَلاء (٢)

أجمعـوا أمْرَهم عِشـاءً فلمـا أصبحُوا أصبحتْ لهم ضَوْضاء :

من مُنادٍ ،ومن مُجيبٍ ،ومن تَصْـ ـهالِ خيل ، خِلالَ ذاك رُغاء (٣)

أيهـا الناطقُ المـرقِّش عنّـا عنـد عَمْرو ، وهل لِذاكَ بَقاء (٤)

لا تَخَلْنـا على غِراتِـك ، إنَّا قَبْـلُ ما قد وَشى بنا الأعداءُ (٥)

فبقيـــنا على الشّـــناءة تنمِيـ ـنا حُصُونـــ ، وعِزَّةٌ قعساء (٦)

قبلَ ما اليومِ بيَّضَتْ بعيون النـ ـاس فيهـا تَعَيُّـــطٌ وإباء (٧)

---

(١) الخلى هنا : الخالى من الذنب ، والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، أى لا تنفع البرىء عندهم براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم .

(٢) أى فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤاخذ عليه ؛ فعندهم أن كل من ضرب حمارا مثلا مذنب ، وأنه من موالينا وأنصارنا ، ونحن دون غيرنا ولاته وأنصاره .

(٣) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاورون فى الليل فى أمر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبـة وضوضاء من مناد الخ . قيـل إن هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للارتحال وأصدقه وأوضحه تصويرا للحقيقة .

(٤) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ : أى لتزيينك الباطل دوام .

(٥) لا تخلنا : أى لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الإغراء ، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف (المعنى) لا تحسبنا جازعين لإغرائك الملك بنا ؛ فمن قبلك وشى بنا الأعداء فلم يفلحوا .

(٦) الشناءة : البغض ، وتمينا : ترفعنا . والقعساء : الثابتة ، أى فبقينا على بغضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه .

(٧) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، وبيضت بعيون الناس : بيضتها أى أعمتها ، والباء زائدة ، والتعيط : الترفع والإباء (المعنى) قبل اليوم أعمت عزتنا القعساء أبصار الناس ، فلا يتطلعون الى إذلالنا ، وكان فى عزتنا ترفع وإباء عن أن ننال بسوء .

وكأن المنونَ تَردى بنا أرْ | عَن جَوْنًا ينجابُ عنه العَماء (١)
مُكفهِرًّا على الحوادث لا ترْ | تُوهُ للدهر مُؤْيِدٌ صمّاء (٢)
أيّما خُطّةٍ أردتُم فأدُّو | ها إلينا تمشى بها الأمْلاء (٣)
إنْ نَبَشْتم ما بين مِلْحَة فالصا | قب فيه الأمواتُ والأحياء (٤)
أو نَقَشْتم، فالنقشُ يَجْشَمُه النا | سُ، وفيه الصلاحُ والإبراء (٥)
أو سكتّم عنّا، فكنّا كمن أغ | مَضَ عينًا فى جَفنها أقذاء (٦)

---

(١) تردى : ترمى وترجم ، والباء فى (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، أى لتلقين الأسد ، أى هو كالأسد . والأرعن هنا : الجبل الذى له حيود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون : الأسود ، وينجاب عنه : ينشق عنه ، والعماء : السحاب الأبيض (المعنى) كأن المنون اذا رمتنا إنما ترمى جبلا عاليا يشق السحاب ، وذلك من منعتنا وقوتنا .

(٢) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال : الصلب المنيع ، ولا ترتوه : لا تنقصه وتنال منه ، والمؤيد : الداهية . وصماء : لاتسمع اعتذارات — أى أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لاتنال منه الدواهى الصم .

(٣) الخطة : الأمر يقع بين القوم ، أو الإقدام على الأمر . والأملاء : جمع ملأ ، وهم الأشراف والرؤساء . (المعنى) أى أمر أو طريقة تجرون عليها فى معاملتنا فابعثوها الينا مع سادتكم وسفرائكم .

(٤) ملحة والصاقب : موضعان — أى إن كانت الخطة التى ترضونها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم — وحذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط (وهو فيه الأموات الخ .) للضرورة ، أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك ، أو أن جواب الشرط الآتى جواب له ولهذا .

(٥) أو نقشتم أى دققتم فى الاستقصاء ، ويجشمه : يتكلفه على مشقة . (المعنى) إن دققتم الحساب فيما وقع بيننا و بينكم فان ذلك مع ما فيه من المشقة والكلفة يفضى بنا الى صلاح أمورنا و إبرائنا من العار .

(٦) و إن سكتم عنا فانا نسكت ، ونغضى أعيننا على القذى لأن الحق فى جانبنا .

أو منعتم ما تسألون فمن حُدّ … ثتموه له علينا العلاء ؟[١]

هل علمتم أيام يُنتهب النا … س غوارا لكل حيّ عُواء[٢]

اذ ركبنا الجمال من سَعَف البحـ … ـرين سيراً حتى نهاها الحساء[٣]

ثم ملنا على تميم فأحرمـ … ـنا، وفينا بنات مُرّ إماء[٤]

لا يُقيم العزيز بالبلد السهـ … ـل، ولا ينفع الذليل النجاء[٥]

ليس يُنجي مُوائلا من حذار … رأس طودٍ وحرّةٌ رجلاء[٦]

وقال أيضا من قصيدة يفتخر :

وَلئن سألت إذا الكتيبة أحجمت … وتبيّنت رِعَة الجبان الأهوجِ[٧]

وحسبت وقع سيوفنا برءوسهم … وقع السحاب على الطراف المشرج[٨]

---

(١) وان منعتم ما تسألون فيه من الصلح والتراضى فمن الذى أخبركم أن له العلو علينا حتى تطمعوا فينا .

(٢) غوارا : أى مغاورة بعض على بعض ، والعواء : الصياح . (المعنى) إن كنتم لا تنتهون عنا فقد علمتم فعالنا وحفظنا لأنفسنا ، بل بغلبنا على غيرنا من قبائل تميم فى تلك الأيام التى تعرفونها ، أيام كان الناس ينهب بعضهم بعضا ، و يغير بعضهم على بعض ، وفى كل حى منهم صياح .

(٣) يريد بالسعف النخل ، والحساء : جمع حسى ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا ، أى هل علمتم إذ ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى انتهينا الى الحساء .

(٤) فأحرمنا : أى دخلنا فى الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا .

(٥ و ٦) النجاء : الإسراع والفرار ، والموائل : الذى يطلب موئلا أى ملجأ ، والطود : الجبل . والحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء . والرجلاء : الغليظة . (المعنى) أن الشدة كانت عامة فلم يقم العزيز فى البلد السهل لما فيه الناس من الخوف . ولم ينفع الذليل فراره ولو التجأ الى رأس جبل أو تحصن فى حرة غليظة .

(٧) الرعة : الخوف . والأهوج : الأحمق الطائش الطويل .

(٨) السحاب هنا : المطر . والطراف : البيت أو القبة من أدم أى جلد . والمشرج : المخيط بعضه قطعه فى بعض . وشبه وقع السيوف على الرءوس بوقع المطر على القبة من الجلد لبيان كثرة وقعها وتميز صوت وقعها ؛ لأنه حينئذ يكون كالطبل .

وإذا اللِّقاحُ تروَّحتْ بعَشيَّةٍ رَتْكَ النعامِ إلى كَنيفِ العَرْفَجِ (١)

ألفيْتَنا للضيفِ خيرَ عِمارةٍ إن لم يكن لَبَنٌ فعَطْفُ المدمَجِ (٢)

(١٠) دريد بن الصمة (٣)

قال فى رثاء أخيه :

أرَثَّ جديدُ الحَبْلِ من أُمِّ مَعْبَدِ بعاقبةٍ ، أم أخلفتْ كلَّ موعِدِ (٤)

---

(١) اللقاح : جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن . وتروحت : رجعت الى مباركها آخر النهار والرتك : مقاربة الخطو ، والكنيف حظيرة من شجر للإبل . والعرفج : شجر سريع الالتهاب . أى وإذا راحت النوق ذوات اللبن الى كنفها المتخذ من شجر العرفج مسرعة إسراع النعام ألفيتنا الخ .

(٢) ألفيتنا : وجدتنا ، والعمارة : هنا العشيرة والأهل . والمدمج : قدح الميسر الذى يقامر به أى ان لم يكن لبن عطفنا على القداح فضربناها ونحرنا النوق التى ربحنا الضيف .

(٣) هو دريد بن الصمة أحد فرسان العرب وسيد بنى جشم من قبائل هوازن . ويقال إنه أشعر فرسان العرب وأكثرهم غزوا . وأدرك الإسلام ولم يسلم . وخرج مع قومه فى غزوة حنين ، ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجوه تيمنا برأيه ، فقتل فى ذلك اليوم . وكان له إخوة ثلاثة ، قتلوا فى غارات مختلفة ، منهم عبد الله قتله بنو غطفان ؛ لأن دريدا كان أغار عليهم واستاق إبلهم ، فنزل عبد الله فى الطريق ليقتسم الغنيمة فنهاه دريد خوف لحاق غطفان بهم ، فأصر ، فلحقت بهم عند منعرج اللوى فقتلت بنو عبس منهم عبد الله ، وأراد دريد أن ينقذه فلم يغن ، وسقط هو أيضا ، فتماوت ، وظنته غطفان قتيلا ، فنجا ، وهزمت جشم قبيلته . وبقى حزينا على أخيه يرثيه دهرا ، فلامته امرأته أم معبد ، وصغرت شأن أخيه ، فطلقها ، وقال فيها وفى قصة مقتل أخيه هذه القصيدة .

(٤) رث الحبل : بلى ، والمراد عهده من أم معبد ، وبعاقبة أى بآخرة : أى أخيرا ، والاستفهام من باب تجاهل العارف ؛ اذ هو عارف بأنه رث .

وبانت ، ولم أَحْمَدْ إليك نوالَهــا ولم تَرْجُ منّا رِدّةَ اليــومِ أو غَدِ (١)

كأنّ حُمولَ الحيّ إذ مَتَعَ الضُّحى بِناصِــيةِ الشَّحناء، عَصْبةُ مِذْوَدِ (٢)

أو الأَثْأَبُ العَمُّ المُحَــرَّم سُــوقُهُ بكابةَ لم يُخْبَــطْ ، ولم يَتَعَضَّــدِ (٣)

فقلتُ لعارِض وأصحاب عارض ورهطِ بنى السوداءِ، والقومُ شُهَّدى (٤)

عَلانيــةً : ظُنُّوا بألْفَى مُــدَجَّج سَراتُهُــمُ فى الفــارسىّ المُسَرَّدِ (٥)

وقلتُ لهم : إن الأَحاليفَ هذه مُطَنِّبَةٌ بين السِّــتارِ وثَهْمَد (٦)

ولمــا رأيتُ الخيــلَ قُبْلًا كأنها جَرادٌ يُبارى وِجْهَةَ الريح مُغْتَدِى (٧)

أَمرتُهُــمُ أَمرِى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى فلم يستَبِينوا الرُّشْدَ إلّا ضُحَى الغد (٨)

---

(١) وبانت : بعدت ، ونوالها : خيرها ، والردة : الرجوع . (المعنى) بانت أم معبد غير حميدة الصحبة ، فلا ترجو منا ردّة لطلاقها .

(٢) الحمول : جمع حمل بالكسر : ما يحمل على الإبل مثلا ، ومتع الضحى : بلغ آخر غايته ، وهو الضحى الأكبر ، والعصبة بفتح فسكون الشجرة تعلق فى شيء عال فتكون كالخيمة عليه كشجر اللبلاب ونحوه ، ومذود : اسم جبل (المعنى) كأن حمول الحى عند ترحلهم عصبة عاقت فى عرانين الجبل .

(٣) الأثأب : شجر . والعم : العظيم . والمحرم : الممنوع قطع سوقه . وكابة : موضع . ولم يخبط أى لم تعصب فروعه وتخبط بالعصى فيكسر ولم يتعضد أى يقطع .

(٤) عارض : أخ له حضر غزاتهم هذه ، ورهط بنى السوداء أصحاب أخيه عبد الله .

(٥) علانيــة : جهرة ، ظنوا أى أيقنوا أن سيلحقكم ألفا مدجج بالسلاح ، والفارسى : الدرع . والمسرد : المتتابع الحلق ، أى أنه ضيق النسج .

(٦) الأحاليف : جمع أحلاف وهم المتحالفون على نصرة بعضهم لبعض ، ومطنبة : ضاربة الأطناب بين هذين المكانين .

(٧) قبلا : أى عيانا ومقابلة ، يبارى : يسابق ، ومغتد : أى فى الغداة .

(٨) بمنعرج اللوى : المكان الذى نزله أخوه .

فلما عصونى كنتُ منهم ، وقد أرى — غوايتهم أنى بهم غيرُ مهتدى (١)

وهل أنا إلا من غزيّة ؟ إن غوتْ — غويتُ و إنْ ترشُدْ غزيّةُ أرشُدِ (٢)

دعانى أخى ، والخيل بينى و بينه — فلما دعانى لم يجدْنى بقُعْدُدِ (٣)

أخ أرضعتْنى أمُّه من لبانها — بثدْيِ صفاءٍ بيننا لم يُجدَّدِ (٤)

فجئتُ إليه ، والرماحُ تنوشُهُ — كوقع الصَّياصى فى النَّسيجِ المُمدَّدِ (٥)

وكُنتُ كذاتِ البوِّ ريعتْ فأقبلتْ — إلى قِطَعٍ من جلد بوٍّ مُجلَّدِ (٦)

فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تنهنهتْ — وحتى علانِى حالكُ اللون أسود (٧)

قتالَ امرئٍ آسَى أخاهُ بنفسه — ويعلمُ أنّ المرءَ غيرُ مُخلَّدِ (٨)

تنادَوْا ، فقالوا : أردتِ الخيلُ فارسا ! — فقلتُ : أعبدُ الله ذلكم الرَّدِى ؟ (٩)

فإنْ يكُ عبدُ الله خلَّى مكانَه — فما كان وقّافاً ولا طائشَ اليدِ (١٠)

---

(١) كنت منهم أى كنت على رأيهم مع أنى أراهم غاوين ضالين وأنى غير مهتد باتباعهم .

(٢) غزية : حى من جشم ، وهم رهط دريد الأدنون .

(٣) القعدد : الجبان يقعد عن نصرة قومه ، أى أنى عطفت عليه لإنقاذه .

(٤) لم يجدّد : لم يقطع رضاعها له حتى أتم مدّة الرضاع .

(٥) تنوشه : تتناوله بالطعن . والصياصى : جمع صيصاة : شوكة يسوّى بها الحائك نسجه .

(٦) البو : ولد الناقة والبقرة ، يحشى جلده تبنا ، فتجد رائحته فيه ، فترأمه وتدر اللبن له .

(٧) تنهنهت : كفت . أسود بالضم ، وفيه عيب الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى أى الحرف الأخير فى الاعراب . وقيل انه على تقدير ياء نسب مخففة للوزن ، وأنه أسودى والياء للمبالغة .

(٨) قتال امرئ : أى قاتلت عنه قتال امرئ فادى أخاه بنفسه .

(٩) أردت : أهلكت ، والردى : الهالك .

(١٠) وقافا : هيابا يقف عن القتال جبنا ، ولا طائش اليد . أى مخطئ اليد فى الضرب والرمى .

ولا بَرِمًا إمَّا الرياحُ تناوحتْ ... بِرَطْبِ العِضاهِ والضَّرِيعِ المُعضَّدِ (١)

وتُخرِج منـه صِرَّةُ القُـرِّ جُرأةً ... وطُولُ السُّرى دُرِّىَّ عَضْبٍ مُهنَّدِ (٢)

كَميشُ الإزارِ خارجٌ نِصفُ ساقِه ... صبورٌ على الضَّرَّاءِ طَلَّاعُ أنجُـدِ (٣)

قليلٌ تشكِّيهِ المصيباتِ ذاكرٌ ... مِن اليوم أعقابَ الأَحاديثِ فى غدِ (٤)

اذا هَبَط الأرضَ الفضاءَ تزيّنتْ ... لرُؤيتـهِ كالمَأْتَمِ المُتَنَـدِّدِ (٥)

وكم غارةٍ بالليـلِ واليومِ قبـلَه ... تداركـها مِنِّى بِسِيدٍ عَمَرَّدِ (٦)

سليمُ الشظى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسا ... طويلُ القَرا نَهْـدٌ أسيلُ المُقَلَّدِ (٧)

يفُوت طويلَ القوم عَقْدُ عِذاره ... مُنيفٌ كجِـذعِ النَّخلةِ المتجـرِّدِ (٨)

---

(١) البرم : من لا يدخل مع القوم فى الميسر ضنا بالجزور، وكانوا يطعمون لحومها الفقراء، و إما الرياح : إن شرطية وما زائدة، وتناوحت : هبت من كل ناحية ، وذلك زمن البرد والشتاء، والعضاه : الشجر الشائك . والضريع : نبات لا تقربه الدواب لخبثه، والمعضد : المقطع .

(٢) صرة القر : شـدّة البرد ، والسرى : السير بالليل — أى وتخرج منه شدّة البرد وطول السرى رجلا ماضيا فى الأمور كأنه السيف المهند اللامع .

(٣) كميش الإزار : إما أن يكون كناية عن خفته وسرعته ، و إما أنه لا يطيل إزاره كالمترفين المشبهين بالنساء بل إن نشاطه يستدعى أن يقصر ثوبه بحيث يظهر نصف ساقه . وطلاع أنجد : كناية عن اقتحام الصعاب ، والأنجد : جمع نجد .

(٤) أى يحسب حساب العواقب ، فلا يقول اليوم ما يحاسب عليه غدا .

(٥) المأتم فى الأصل مجتمع الرجال والنساء فى الغم أو الفرح ، ثم خص به اجتماع النساء للموت ، والتنديد : رفع الصوت . والمعنى إذا نزل أرضا اجتمع الناس حوله وارتفعت أصواتهم فى قضاء الحوائج ونحو ذلك .

(٦) أى تداركها عنى بفرس يشبه ذئبا شرسا .

(٧) الشظى : العظم الملازق بالساعد أو الساق ، والعبل : الضخم . والشوى : الأطراف . والنسا عصب يجرى فى الفخذ والساق . والشنج : المتقبض ، وهو مدح فى الفرس . والقرا : الظهر . والأسيل : الأملس المستوى . والمقلد : العنق .

(٨) وصف هذا الفرس بارتفاع رأسه ، فقال يفوت الخ . والعذار من اللجام : ما سال على خد الفرس وعقده على رأسه خلف أذنه . يعنى أن أعلى رأسه أطول من قامة رجل طويل ، ومنيف : عال ، والمتجرّد من النخيل : الذى زالت أصول كربه فصار أملس . ثم رجع الى رثاء أخيه فقال : وكنت الخ .

وكنتُ كأنِّى واثق بمُصَــدَّرٍ يُمَشِّى بأكْناف الجُبَيْل فثَهْمَــد (١)
له كُلُّ مَنْ يَلْقَى من الناس واحدًا وإن يَلْقَ مَثْنَى القَوْمِ يفرَحْ ويَزْدَد (٢)
وهَوَّنَ وَجْدِى أنَّنِى لم أقُــلْ له : كَذَبْتَ ، ولم أبْخَل بما مَلَكتْ يَدِى (٣)

(١١) قال عَلْقَمة بن عَبَدَة التميمى : (٤)

طحَا بك قَلْبٌ فى الحِسانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ (٥)
يُكلِّفُنى لَيْــلَى ، وقد شَطَّ وَلْيُهــا وعادَتْ عَوادٍ بيننــا وخُطوب (٦)

---

(١) المصدّر : الأسد . والجبيل وثهمد : موضعان — أى وكنت عند تَقَىّ بأخى كأنى واثق بأسد يمشى بأكناف الجبيل فثهمد .

(٢) أى له مقاتلة كل منفرد يلقاه من الناس فاذا لقى اثنــين لم يجبن عنهما ، بل يفرح و يزداد فرحة و يحمل عليهما .

(٣) أى طيب نفسى أنى لم أجفه ، ولم أبخل عليه بمـا ملكت يدى فلم ألم نفسى بعــد قتله بأنى لم أقم بحقه ، وجعل لم أقل له كذبت كناية عن الجفاء .

(٤) هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناشرة التميمى ، شاعر جاهلى مجيد من أقران امرئ القيس . مات قبل الإسلام بزمن طويل . و إنمـا قيل له «الفحل» من أجل أن يتميز فى الأخبار من شاعر آخر فى قبيلته أيضا يسمى علقمة الخصى بن سهل ، و يكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام ، وأسلم . وقيل سمى «الفحل» لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها ؛ لأنها فضلت علقمة عليه حين حكاما فى شعرهما .

(٥) طحا به قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفــة السرور والشوق الى الشىء ، و بعيــد : تصغير بعد — وحان المشيب : قرب ، أو آن أوانه — أى أضلك قلبك الطروب فى حب الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب — والخطاب لنفسه . ثم التفت يتكلم عن نفسه ، فقال : يكلفنى الخ .

(٦) وشط وليها : بعد عنك قربها ودنوها ومواصلتها — وعادت : شغلت وصرفت ، مقلوب عداه عن الأمر : صرفه ، والعوادى : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشىء . والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر . (المعنى) أن قلبى هذا يكلفنى حب ليلى مع أنها بعدت عنه ، وعز عليه قربها ، وحالت بينه و بينها حوائل وشواغل وحوادث صوارف عنها .

مُنعَّمَــةٌ ، ما يُستطاعُ كلامُها على بابِهـا مِن أن تُزارَ رَقيب (١)

إذا غاب عنها البَعْلُ لم تُفشِ سِرَّهُ وتُرضِى إِيابَ البَعلِ حِينَ يؤُوب (٢)

فلا تَعــدِلى بينى وبين مُغَمَّرٍ سَقَتكِ رَوايا المُزْنِ حين تصوب (٣)

سَــقاكِ يمـانٍ ذو حَبِيٍّ وعارضٍ تروحُ به جُنْحَ العَشِىِّ جَنُــوب (٤)

وما أنتَ ؟ أم ما ذِكرُها رَبَعِيَّــةً يُحَــطُّ لهـا من ثَرْمَدَاءَ قَليب (٥)

فإن تسألونى بالنسـاءِ فإننى بَصــيرٌ بأدواءِ النســاءِ طبيب (٦)

إذا شابَ رأسُ المرءِ أَوْ قَلَّ مالُه فليسَ له من وُدِّهِنَّ نَصيب

يُرِدْنَ ثَراءَ المـالِ حيثُ عَلِمْنَه وشَرْخُ الشبـابِ عندهُن عَجِيبُ (٧)

---

(١) منعمة : من النعيم فهى محجبة يعنى بحراستها أهلها .

(٢) لم تفش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هى ترضى إيابه فلا يعجبها غيره ، وإذا قرئ وترضى (بالضم) كان المعنى وتجعل إيابه رضيا حميدا بألا يشك فى صونها .

(٣) فلا تعدلى : أى فلا تسوّى ، والمغمر من الرجال : المحمق الذى يستجهله الناس ، سقتك الخ : يدعو لها بأن تسقيها المزن الروية أى التى تروى حين تمطر — يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لها أن تحرص عليه . ثم عاد الى الدعاء لها فقال : سقاك الخ .

(٤) أى سـقاك سحاب يمـان أى يأتى من ناحية جنوبى نجد . أصـله يمنىّ خففوا ياء النسب وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحبىّ : السحاب المتراكم بعضه على بعض فيكون سـيره بطيئا ، كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره غزيرا ، والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ، والجنوب : الريح الجنوبية . (المعنى) سقاك سحاب يمان مركوم . وسقاك سحاب عارض تسوقه فى الليل ريح جنوبية . ثم عدل عن هذا ، وقال : وما أنت الخ .

(٥) وما أنت : ما استفهاميـة للتعجب وأم للإضراب بمعنى بل ، أى ما شأنك ؟ بل ما الداعى لذكرك ليلى ، وهى ربعية من ربيعة وأنت تميمى ، وقد رحلت الى بلادها حيث خط لهـا فى ثرمداء قليب . والقليب البئر وثرمداء موضع . ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطباعهن ، فقال : فإن تسألونى الخ .

(٦) الأدواء : جمع داء ، أى بطباعهن المعيبة التى بمنزلة الأمراض فيهن .

(٧) الثراء : الكثرة ، أى يحببن من يعلمن عنده مالا . وشرخ الشباب أوله ، وعجيب : معجب .

فدعْها ! وسلِّ الهمَّ عنكَ بجَسْرةٍ كَهَمِّكَ فيهَا بالرداف خَبِيبُ [١]

الى الحارث الوَهَّاب أعملتُ ناقتى بِكَلْكلِها والقُصْرَيَيْنِ وجيب [٢]

(١٢) قال سَلامةُ بنُ جَندَل السعدى التميمى : [٣]

أوْدَى الشبابُ حميدًا ذو التعاجيب أودى ، وذلك شأوٌ غيرُ مطلوب [٤]

وَلَّى حَثِيثًا ، وهذا الشيبُ يتبعهُ لو كانَ يُدركه رَكْضُ اليَعاقيب [٥]

أَودى الشبابُ الذى مجدٌ عواقبُه فيــه نَلَذُّ ، ولا لَذَّاتِ للشيب [٦]

---

(١) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهمك أى مثل همتك فى المضاء والقوة ، والرداف : جمع رديف ، والرديف والردف : كل شىء يكون خلف الراكب ، ولو حقائب . والخبيب : السير السريع . (المعنى) أى فدع ليلى هذه ، وسل الهم عنها برحلة على ناقة قوية سريعة مثل همتك فى المضاء والنفاذ ، وفى سيرها سرعة ولو حملت خلف الراكب لها عدة أثقال .

(٢) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، وكان أسر أخاه شاسا ، فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل الناقة : وجهها وأجهدها ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا ، والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين ، والوجيب : خفقان القلب . أى أنه لشدة إجهادها فى السير اشتد نبض قلبها ، وبان ذلك فى كلكلها وقصريها لقرب القلب منهما .

(٣) شاعر جاهلى مجيد من فرسان تميم ، وشعره متين سلس صحيح الرواية ، وكان معاصراً لعمرو بن هند والنعمان بن المنذر .

(٤) أودى : هلك وزال ، والتعاجيب : العجائب ، والشأو : الغاية . (المعنى) مضى الشباب ذو العجائب محمودا بما كان فيه من اللذات العجيبة ، مضى وأصبح الآن غاية لا تدرك .

(٥) حثيثا : سريعا ، واليعاقيب : جمع يعقوب ، وله معان : منها أنه ذكر القطا والحجل ، وملكة النحل ، والعقاب ، والخيل المشبهة بيعاقيب الحجل فى الركض لسرعتها ، وكلها مناسبة هنا ، ولو هنا : للتمنى .

(٦) المجد : الكرم وشرف الفعال . (المعنى) زال الشباب الذى انتهى بفعال كلها شرف وكرم .

يومانِ يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ... ويومُ سيرٍ الى الأعداءِ تأويب (١)

همّتْ معدٌّ بنا همًّا فنهنهها ... عنّا طِعانٌ فضربٌ غيرُ تذبيب (٢)

بالمَشْرَفيّ ومصقولٍ أسنّتُها ... صُمّ العوامِل صَدْقاتِ الأنابيب (٣)

يجْلو أسنّتَها فتيانُ عاديةٍ ... لا مُقْرِفين ولا سُودٍ جَعابيب (٤)

سوّى الثّقافُ قناها ، فهي مُحكَمةٌ ... قليلةُ الزّيغِ مِن سَنّ وتركيب (٥)

زُرقًا أسنّتُها حُمْرًا مُثقّفةً ... أطرافُهنّ مَقيلٌ لليعاسيب (٦)

كأنّها بأكفّ القومِ إذْ لحِقوا ... مواتحُ البئرِ أو أشطانُ مَطلوب (٧)

---

(١) يومان : أى لنا يومان ، والتأويب : السير السريع ، اى ان لنا يومين : يوما نجلس فى المقامات والأندية للسمر أو للتشاور ، و يوما نسير الى الأعداء سيرا سريعا .

(٢) معدّ : الشعب العظيم الذى يشمل ربيعة ومضر ، ونهنهها : كفها ، و يقال : طعان غير تذبيب : اذا بولغ فيه . وجعله هنا صفة للضرب أى همت قبائل معد بقتالنا مرة فكفها عنا طعاننا وضربنا الشديدان .

(٣) بالمشرفى : بالسيف المنسوب إلى مشارف الشام ، وهى القرى العربية التى على حدود الشام تجلب منها السيوف المشرفية ، ومصقول أسنتها : أى وبرماح مصقول أسنتها ، وعامل الرمح : صدره أى الجزء الذى يلى منه السنان ، والصدق : الصلب المستوى من الرماح . والأنابيب : كعوب الرماح .

(٤) العادية : أوّل جماعة تحمل من الرجالة أو الفرسان ، والمقرف : الذى تكون أمه عربية وأبوه أعجميا بعكس الهجين ، والجعابيب : جمع جعبوب وهو الضعيف النذل لا خير فيه ، أو القصير الدميم .

(٥) الثقاف : الآلة التى يسوّى بها الثقاف الرماح أى يسوّيها ، وهى خشبة فى وسطها نقب ، الزيغ : الميل والعوج ، ولا يريد أن بها زيغا قليلا بل لا زيغ فيها . والسن : تركيب السنان أى أن أسنتها ركبت فيها معتدلة غير معوجة .

(٦) والمقيل : القيلولة فى الظهر ، واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو عظيم النحل . (المعنى) سوى الثقاف القنا زرقا أسنتها حمرا مثقفة فكانت أطرافهن مكانا لتعليق رءوس السادات من الأعداء .

المواتح : الحبال الطويلة التى يمتح بها البئر أى ينزح ماؤها ، والأشطان : الحبال الطويلة . مطلوب : اسم بئر بين المدينة والشام بعيدة القعر .

كِلَا الفريقين : أعلاهُمْ وأسفلَهمْ ... يشقَى بأرماحنا غيرَ التكاذيب [(١)]

إني وَجَدتُ بَني سَعْدٍ يُفَضِّلُهم ... كلُّ شِهابٍ على الأعداء مشبوب [(٢)]

الى تميمٍ حُماةِ العِزِّ نِسبتُهمْ ... وكلِّ ذِي حَسَبٍ في الناس منسوب [(٣)]

قومٌ إذا صَرَّحَت كَحْلٌ بيوتُهمُ ... عِزُّ الذليل، ومأوى كلِّ قُرضوب [(٤)]

يُنجيهم من دواهي الشر إن أزِمَتْ ... صَبْرٌ عليها ، وقِبصٌ غيرُ محسوب [(٥)]

كُنَّا نَحُلُّ إذا هبَّتْ شآميةٌ ... بكل وادٍ حَطيبِ الجَوْفِ مجدوب [(٦)]

شيبِ المَبارِكِ مَدرُوسٍ مدافعُه ... هابي المَراغِ قليلِ الوَدْقِ مَوْظوب [(٧)]

---

(١) غير التكاذيب : أى غير ذوى التكاذيب ، جمع تكذيب وهو أن يحمل الفارس على الأعداء ، ثم لا يصدق الحملة ؛ فيرتد عنهم جبنا . (المعنى) كلا الفريقين من الأعداء ، الأشراف منهم والوضعاء ، أصيبوا برماحنا إلا من فر منهم جبنا .

(٢) بنو سعد بطن من تميم قوم الشاعر . (المعنى) إنى وجدت قومى يفضلهم على الناس أن كل شجاع فيهم بمنزلة الشهاب المتقد على الأعداء .

(٣) نسبة بنى سعد الى تميم والى كل ذى حسب معروف النسب .

(٤) الكحل : السنة الشديدة الجدب ، والقرضوب : الفقير الذى لا يصيب شيئا إلا أكله .

(٥) أزمت : عضت . والقبص : العدد الكثير لا يقدر على حسبه من كثرته . ثم وصف صبرهم على الشدائد والجدب بالبيتين الآتيين .

(٦) الريح الشآمية : باردة واذا هبت فى الشتاء ، وهو زمن الجدب عندهم، كانت أبرد . (المعنى) نصبر على الجدب ونحل الوديان المجدوبة التى ليس بها إلا الحطب .

(٧) شيب : يعنى أن مبارك إبلهم فى الوادى المجدوب الذى نزلوه شيب أى بيض من الغبار والجدب لا خضرة فيها ، أو من الصقيع لأنهم ينزلونه زمن الشتاء . والمدروس : العافى الممحو المعالم . والمدافع : جمع مدفع ، وهو مجرى المياه ، وهابى المراغ أى أن المكان الذى تمرغ فيه إبلهم هاب لقلة المطر الذى يثبته ، والموظوب : الذى قد وظب حتى أكل ما فيه . (المعنى) هذا الوادى الذى نضطر الى الإقامة فيه زمن الشتاء — مباركه بيض لا خضرة فيها أو أن الصقيع كساه بالبياض ، ومجارى مياهه مدروسة لعدم المياه التى تجرى فيها ، ومراغ إبله هاب بالتراب والغبار ، وقد أكل كل ما فيه من العشب ، فلم يبق فيه شىء يرعى . يصف قومه بالجلد والصبر على الشدائد .

كنا اذا ما أتانا صارخٌ فزِعٌ كان الصُّراخُ له قَرْعَ الظنابيب

وشَدَّ كورٍ على وَجناء ناجيةٍ وشَدَّ سَرْج على جرداء سرحوب (٣)

يقالُ: مَحبِسُها أدنى لمَرْتَعِها وإن تعادَى ببَكْءٍ كلُّ محلُوب (٤)

حتى تُرِكْنا، وما تُثْنَى ظعائنُنا يأخُذْنَ بين سواد الخَطِّ فاللُّوب

(١٣) وَقَال عَبْدُ يَغُوثَ الحَارِثِي . (٥)

ألَا لا تَلوماني كفى اللومَ ما بِيَا فما لكُما في اللوم خيرٌ ولا لِيا (٦)

أَلَمْ تعلَما أنَّ الملامةَ نفعُها قليلٌ وما لومى أخى من شِماليا (٧)

---

(١) ظنابيب: جمع ظنبوب، وهو حرف عظم الساق من أمام . أى اذا استصرخ بنا واستنجد مستغيث أسرعنا فى نجدته . وهو مثل يضرب للتهيؤ للأمر بسرعة . وأصله من قرع ظنابيب الإبل لتبرك سريعا فتركب . وفسر هذا التهيؤ بالبيت الآتى .

(٢) الكور: الرحل الذى يوضع على ظهر الناقة ليركب عليها ، والوجناء : الناقة الصلبة الجسم ، والناجية : السريعة السير، والجرداء : الفرس القصيرة الشعر وذلك من محاسنها ؛ والسرحوب : الطويلة .

(٣) يقال محبسها الخ يعنى يقال فى وصفها : إن محبس هذه الإبل وهذه الخيل على الجدب ومقابلة العدو على الثغر ومواضع المخافة — أدنى وأقرب وأولى من أن ترتع وتخصب فتضيع الثغر . وتعادى : تبارى فى العدو ، والبكء : قلة اللبن فى المحلوب . أى ولو جرت النوق التى تحلب بلبن قليل لقلة رعيها .

تثنى : ترجع و يرد بعضها على بعض أى تمنع عن سيرها وتحال دونه . والظعينة : المرأة المسافرة فى هودجها ، وسواد الخط : يريد بلاد الخط من ساحل البحرين ، واللوب : الحجارة السود ، وتكون فى الجبال الغربية من بلاد العرب . (المعنى) ما زلنا ندافع العدوّ حتى ترك لنا البلاد فأصبحت ظعائننا يسرن ما بين سواحل البحرين الى حدود الحجاز، لا يثنيهن العدوّ عن طريق

(٥) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى اليمنى أسر يوم الكلاب وهو يوم بين تميم واليمن ، وقد أسرته تيم الرباب وهو شاعر فارس مقدّم فى قومه ينتمى الى بيت معرق فى الشعر .

(٦) أى كفى اللوم ما أنا فيه : فلا تحتاجون الى لومى مع ما ترون من أسرى وجهدى .

(٧) يقول : ليس لومى أخى من شمائلى أى أخلاقى

فيا راكبًا إمّا عَرَضْتَ فبلغن ... نداماىَ من نجرانَ أنْ لا تلاقيا

أبا كَرِب والأَيْهَمَيْن كليهما ... وقيْسًا بأعلى حضرَمَوتَ اليمانيا (١)

جزى الله قومى بالكُلاب مَلامةً ... صريحَهُمُ والآخَرينَ المَواليا (٢)

ولو شئتُ نجّتْنى من الخيل نَهْدةٌ ... تَرى خلفَها الحُوَّ الجيادَ تَواليا (٣)

ولكنّنى أحمى ذِمارَ أبيكُمُ ... وكان الرماحُ يَختطفن المُحاميا (٤)

أقولُ وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعةٍ : ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أطلِقُوا عنْ لِسانيا (٥)

أمعشر تيم قد ملكتم فأسْجِحوا ... فانَّ أخاكم لم يكنْ من بَوَائيا (٦)

فان تَقتُلونى تقتلوا بِىَ سَيّدًا ... وإن تُطلِقونى تَحْرُبونى بما ليا (٧)

أحقًّا عبادَ اللهِ أَنْ لستُ سامعًا ... نشيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبين المَتاليا (٨)

وتضحكُ منى شيخةٌ عبشميةٌ ... كأنْ لَم ترى قبلِى أسيرا يمانيا (٩)

---

(١) أبو كرب والأيهمان : من اليمن ، وقيس بن معد يكرب الكندى كذلك .

(٢) صريحهم : خالصهم ومحضهم . والموالى هنا : الحلفاء .

(٣) النهدة : الفرس المرتفعة الخلق ، والحو : الخيل التى تضرب الى الخضرة ، وقوله تواليا أى تتلوها وتتبعها لأن فرسه خفيفة قد تقدمت الخيل .

(٤) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه من منعه جاراً وطلبه ثأرا — يختطفن : يذهبن به .

(٥) هذا مثل ، فاللسان لا يشد بنسعة ، وانما أراد أفعلوا بى خيرا لينطلق لسانى بشكركم وانكم مالم تفعلوا فلسانى مشدود لا أستطيع مدحكم .

(٦) اسجحوا : سهلوا ويسروا أمرى ، والبواء : النظير . أى أن صاحبكم ليس نظيرى فلا أقتل به ، يقال : يا فلان بؤ بفلان أى اذهب به ، يقال ذلك للقتول بمن قتل .

(٧) أى وإن تطلقونى أدفع دية عظيمة لصاحبكم بحيث يهلك منها مالى .

(٨) المعزب : المتنحى بإبله ، والمتالى التى قد نتج بعضها وبقى بعض ، والواحدة متلية .

(٩) عبشمية نسبة الى عبد شمس ، والأسير : المشدود .

وقــد علِمَتْ عِرسى مُلَيكةُ أننى — أنَا الليثُ مَعْــدُوًّا عــلىّ وعَاديا

وقد كنتُ نَحّارَ الجزور، ومُعْمِلَ الْـ — مَطِىّ، وأمضِى حيثُ لاحَىَّ ماضيا (١)

وأنحَــرُ للشَّرْب الكريم مطيَّــتى — وأصدعُ بين القَينتَين رِدائيـا

وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصَها الْقَنَا — لَبِيقًا بتَصريف القنـاةِ بَنَـانيا (٢)

وَعَادِيةٍ سَومَ الجـــرادِ وَزَعْتُهـا — بكفِّى وقــد أَنْحَوْا الىَّ العواليـا (٣)

كَأَنِّىَ لم أركَبْ جوادًا ولم أقُــلْ — لِخَيــلِىَ: كُرِّى نفِّسِى عن رجاليا

ولم أَسبأِ الزِّق الرَّوِىَّ، ولم أقُل — لِأَيْسار صِدْقٍ أعظِموا ضوْءَ ناريا

(١٤) وقال ذو الإصبع العَدْوانى [(٥)]:

لِىَ ٱبنُ عمّ على ما كانَ من خُلُقٍ — مختلفـانِ: فَأَقْلِيــه، ويَقْلِينى (٦)

---

(١) الشرب الشاربون، المفرد شارب كصحب وصاحب. والمطية: البعير هنا — أصدع أشق والقينة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والأول هو المراد هنا يصف نفسه بالكرم والترف.

(٢) شمص: ضرب ونخس، والقنا: الرماح، واللبيق الحاذق.

(٣) العادية: القوم يعدون، والخيل كذلك. سوم الجراد: انتشاره فى طلب المرعى. وزعتها: كففتها ومنعتها — أنحوا الرماح: أمالوها وقصدوا بها الى، والعوالى: الرماح. يقول: ورب جماعة من الفرسان تعدو على فى كثرة الجراد وشيوعه قد كففتها عنى، وقد أمالوا رماحهم نحوى فى القتال.

(٤) السباء: اشتراء الخمر، والأيسار الذين يضربون القداح فى المقامرة، يقول: كأنى لم أشرب الخمر، ولم أقل للقامرين معى أعلوا ضوء النار للشواء أولا كرام الضيفان الذين يقصدونها، وكان ذلك من مفاخر العرب.

(٥) هو حرثان بن الحارث من عدوان من مضر شاعر فارس من قدماء الشعراء فى الجاهلية وقد عمر طويلا حتى خرف وأهتر ومات قبل الإسلام.

(٦) على ما كان من خلق أى من تخالق ومعاملة بيننا، يريد أنهما مختلفان، أقليه: أبغضه.

أزرى بنا أنّنا شالتْ نعامتُنا ... فخالني دُونَه ، وخِلتُه دونى [1]

يا عمرُو إلّا تدعْ شتْمِي ومَنْقَصتِي ... أضرِبْكَ ، حتى تقولَ الهامةُ : اسقونى [2]

لَاهِ ٱبنُ عمّك ! لا أفضلْتَ فى حَسَبٍ ... عنّى ، ولا أنتَ ديّانى فتَخْزُونى [3]

ولا تقُوتُ عيالى يومَ مَسْغَبةٍ ، ... ولا بنَفْسِك فى العَزّاء تكفينى [4]

إنى لعمرُكَ ما بَابِى بذى غَلَقٍ ... عن الصَّدِيقِ ، ولا خيْرى بمَمْنُونِ [5]

ولا لسانِى على الأدنى بمنطَلِقٍ ... بالفاحشاتِ ، ولا فتْكى بمأمونِ

عَفٌّ يؤوسٌ ، إذا ما خِفْتُ من بَلَدٍ ... هُوناً فلستُ بِوقّافٍ على الهُونِ [6]

عنّى إليكَ ، فما أمّى براعيةٍ ... ترعَى المخاضَ ، وما رأيِى بمغبُونِ [7]

كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لشيمتهِ ... وإن تخلّق أخلاقاً إلى حينِ [8]

---

(١) أزرى بنا : قصر بنا وعابنا ، وقوله شالت نعامتنا : معناه تفرّق أمرنا واختلف ، فتنافرنا فصرت أراه أقل منى ويرانى أقل منه .

(٢) الهامة : الرأس . وكان العرب يعتقدون أن الرجل اذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من نوع البوم من قبره فلا تزال تصيح : اسقونى ، حتى يثأر له ، والمراد : أضربك حتى تقتل .

(٣) لاه ابن عمك : أصله لله ابن عمك فحذفت اللام الخافضة اكتفاء بالتى تليها ، والديان : القائم بالأمر . يقول : لست القائم فى أمرى فتخزونى أى تسوسنى وتدبر أمرى .

(٤) مسغبة : المجاعة . والعزاء : الضيق والشدّة .

(٥) أى لا أدّخر عن صاحبى شيئا ولا أمنّ عليه .

(٦) عف : أى عفيف عما ليس لى ، يؤوس : لست بذى طمع ، فأنا يائس مما فى يد غيرى ، والهون : الهوان والذلة .

(٧) أى لست بابن أمة ، وخص المخاض لأن رعيها عمل المهين .

الشيمة : الطبع ، يريد أن التخلق لا يدوم ولا بد أن يرجع الإنسان إلى طباعه .

إنّى أبِىٌّ أبِىٌّ ذو مُحَافَظَةٍ ... وابنُ أبِىٍّ أبِىٍّ من أبيِّينِ [١]

وأنتُمْ معشَرٌ زَيْدٌ على مِائَةٍ ... فأَجْمِعوا أمرَكم كُلًّا فكيدونى [٢]

فإن عَلِمْتُمْ سبيلَ الرُّشْدِ فانطَلِقوا ... وإن جَهِلتم سبيلَ الرشدِ فَأْتُونى [٣]

ماذا علىَّ وإن كنتم ذوِى كرم ... ألّا أُحِبَّكُمُ إذْ لم تحبُّونى

لو تشرَبُون دمى لم يُرْوِ شارِبَكُمْ ... ولا دِماؤُكُمُ جَمْعًا تُرَوِّينى

اللهُ يَعلَمُنِى ، واللهُ يَعلَمُكُمْ ... واللهُ يَجْزِيكُمُ عنِّى ، ويَجْزِينى

قد كنتُ أُوتيكمُ نُصْحِى ، وأمنحُكُم ... وُدِّى على مُثْبَتٍ فى الصَّدْرِ مكنونُ [٤]

لا يُخْرِجُ الكُرْهُ مِنِّى غَيْرَ مأبِيَةٍ ... وَلَا أَلِينُ لِمَن لا يَبْتَغِى لِينى [٥]

(١٥) عبيد بن الأبرص [٦] :

قال من بائيته المشهورة التى أولها :

أَقْفَرَ من أهلِهِ مَلْحُوبُ ... فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ [٧]

* * *

(١) يصف نفسه وآباءه بالعز والمنعة .

(٢) زيد على مائة : زيادة عليها .

(٣) أى فان عرفتم سبيل الرشد فاذهبوا لوجهتكم ، وان فزعتم إلى رأيى أجبتكم ونصحت لكم .

(٤) مكنون : مستور .

(٥) يقول ، إذا أكرهت على الشيء لم يكن عندى إلا الإباء له فلا أعطى على القسر شيئا .

(٦) هو عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية وقدمائهم ، وبائيته التى منها هذه الأبيات من مجزوء البسيط ، وأكثر أبياتها مضطربة الوزن ولكن أغراضها ومعانيها شريفة .

(٧) ملحوب والقطبيات والذنوب : أسماء أماكن .

وكلُّ ذى غَيبةٍ يؤوبُ — وغائبُ الموْتِ لا يؤوب

أعاقرٌ مثلُ ذاتِ وُلْدٍ — أو غانمٌ مثلُ مَنْ يخيبُ

من يَسألِ الناسَ يَحرِموه — وسائلُ اللهِ لا يخيبُ

ساعِدْ بأرْضٍ إن كنتَ فيها — ولا تقلْ : إنني غريب

(١٦) وقال الأفْوَهُ الأَوْدِىّ [١] :

البيْت لا يُبتَنى إلا لَه عَمَدٌ — ولا عمادَ اذا لم تُرْسَ أوتادُ [٢]

فإن تجمّعَ أوتادٌ وأعمِدةٌ — وساكنٌ بَلَغُوا الأمرَ الذى كادوا [٣]

لا يصلُحُ الناس فوضَى لا سَراةَ لهم — ولا سَراةَ إذا جُهّالُهم سادوا

تُهدَى الأمورُ بأهلِ الرأيِ ما صلَحتْ — فان تولّتْ فبالأشرار تنقاد

إذا تولّى سَراةُ الناس أمرَهمُ — نَمَا على ذاكَ أمرُ القوْمِ فازدادوا

---

(١) هو صلاءة بن عمرو الأودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها وسادتها وفرسانها .

(٢) هذا البيت والذى بعده تمثيل لمذهبه ورأيه فى سياسة الناس وصلاح أمورهم إذا تولى حكمهم وقيادتهم سراتهم وذوو الأحساب والرأى فيهم فما دام هؤلاء بأيديهم الحل والعقد صلحت أمورهم وعظمت شؤونهم وبلغوا ما أرادوا ، فاذا تغلب الجهال بقوتهم عم الفساد .

(٣) كادوا هنا بمعنى أرادوا .

عصر صدر الاسلام وبنى أمية

(١) آيات من القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين (١) من قبلكم لعلكم تتقون (٢). الذى جعل لكم الأرض فراشا (٣) والسماء بناء (٤) وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا (٥) وأنتم تعلمون (٦).

تلك أمة (٧) قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.

إن فى خلق السموات والأرض واختلاف (٨) الليل والنهار والفلك (٩) التى تجرى فى البحر

---

(١) معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم

(٢) الجملة حال من الضمير فى اعبدوا أى اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا فى سلك المتقين.

(٣) كالفراش المبسوط.

(٤) كالقبة المضروبة عليكم.

(٥) الأنداد: جمع ند بكسر النون: المثل.

(٦) أى والحال أنكم من أهل العقل والمعرفة الذين لا يصدقون صحة الشرك.

(٧) الأمة: الجماعة. والمراد هنا الأنبياء الماضون وأتباعهم الذين ينتسب اليهم المجادلون من الكفار،
خلت: مضت — المعنى أن هؤلاء قوم لهم أعمالهم لا تفيدكم شيئا كما أنكم لا تسألون عن سيئاتهم.

(٨) الاختلاف: التعاقب.

(٩) الفلك: السفينة للواحد والجمع.

بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء(١) من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث(٢) فيها من كل دابة وتصريف الريح(٣) والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيت لقوم يعقلون . ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حبا(٤) لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب(٥) أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب . إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب(٦) . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة(٧) فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعملهم حسرات(٨) عليهم وما هم بخرجين من النار .

ليس البر(٩) أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من(١٠) ءامن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتب(١١) والنبيين وءاتى المال على حبه(١٢) ذوى القربى واليتمى(١٣)

---

(١) السماء : جهة العلو .

(٢) البث : النشر والتفريق .

(٣) تصريف الرياح : تدبير مهابها وأحوالها .

(٤) أشد حبا : لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف غيرهم المترددين بين الأصنام ، أو اللاجئين الى الله حين الشدة فقط .

(٥) جواب لو محذوف أى لندموا إذ يرون العذاب يوم القيامة ، وأجرى مجرى الماضى لتحقق الوقوع كقوله تعالى « ونادى أصحاب الجنة » . ومعنى ظلموا أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم الأنداد .

(٦) الأسباب : الصلات التى كانت بين التابع والمتبوع .

(٧) كرة : أى عودة الى الحياة الدنيا .

(٨) حسرات : ندامات ، المفرد حسرة .

(٩) البر : كل فعل مرضى . والخطاب لأهل الكتاب الذين خاضوا فى أمر قبلة الصلاة حين حولت من بيت المقدس الى الكعبة بمكة ، ويصح أن يكون الخطاب عاما .

(١٠) أى أن البر الذى ينبغى أن يهتم به هو بر من آمن . (١١) المراد بالكتاب الكتب المنزلة .

(١٢) أى مع حب المال . (١٣) يريد المحاويج منهم .

والمساكين وابن السبيل(١) والسائلين وفى الرقاب(٢) وأقام الصلوة وءاتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عهدوا والصبرين فى البأساء والضراء وحين البأس(٣) أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون(٤) .

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبطل(٥) وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون(٦) .

ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه(٧) وهو ألد الخصام . وإذا تولى(٨) سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم(٩) فحسبه جهنم ولبئس المهاد . ومن الناس من يشرى نفسه(١٠) ابتغاء مرضات الله والله

---

(١) ابن السبيل : المسافر .

(٢) أى فى تخليص الرقاب بفك الأسرى وعون المكاتبين .

(٣) البأساء : المصيبة فى المال . والضراء : المصيبة فى النفس . البأس : مجاهدة العدو .

(٤) صدقوا : أخلصوا للدين واتباع الحق وطلب البر . المتقون : المبتعدون عن الكفر وسائر الرذائل .

(٥) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه غير مباح .

(٦) تدلوا بها إلى الحكام : أى تلقوا بالحكومة فيها إليهم . بالإثم : أى بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة . وأنتم تعلمون : جملة حالية . وذلك أن عمل الذنب مع العلم به أقبح .

(٧) أى يحلف على إخلاصه . ألد الخصام : شديد العداوة والجدال للمسلمين .

(٨) تولى : أدبر وانصرف عنك أو إذا غلب وصار واليا . الحرث : الزرع . والنسل : الماشية .

(٩) أخذته بكذا : حملته عليه وألزمته إياه . والمعنى على ذلك أن الأنفة وحمية الجاهلية حملته على الإثم الذى يؤمر باتقائه . فحسبه جهنم أى كفته جزاء وعذابا . ولبئس المهاد : جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به . والمهاد : الفراش ، أى بئس المهاد مهاده .

(١٠) يشرى نفسه : يبيعها ويبذلها فى الجهاد مثلا . ابتغاء مرضاة الله : أى طلبا لرضاه . والله رءوف بالعباد لإرشادهم الى مثل هذا الشراء ليكونوا مقتربين فائزين .

رءوف بالعباد . يأيها الذين ءامنوا ادخلوا فى السلم(١) كافة ولا تتبعوا خطوت الشيطان إنه لكم عدو مبين(٢) . فان زللتم(٣) من بعد ما جاءتكم البينت فاعلموا أن الله عزيز حكيم(٤) .

كتب عليكم القتال وهو كره لكم(٥) وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل(٦) حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضعف لمن يشاء ، والله وسع عليم . الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا(٧) ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قل اللهم ملك الملك(٨) تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير . تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل(٩) وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى(١٠) وترزق من تشاء بغير حساب .

---

(١) السلم بفتح السين وكسرها : الاستسلام والطاعة .   (٢) مبين : ظاهر العداوة .

(٣) زللتم : حدتم عن الدخول فى السلم . والبينات : الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق .

(٤) عزيز : لا يعجزه الانتقام . حكيم : عادل لا ينتقم إلا بحق .

(٥) كره لكم : شاق عليكم مكروه طبعا .

(٦) أى مثل نفقتهم كمثل حبة الخ . والمراد أن الله يضاعف لهم الثواب على هذا الإنفاق .

واسع : لا يضيق فضله . عليم : بنية المنفق وقيمة إنفاقه .

(٧) المن : أن يعتد الانسان بإحسانه على من أحسن اليه .

(٨) الملك هنا : كل شىء فمعناه عام وما بعده خاص .

(٩) إيلاج الليل والنهار : إدخال أحدهما فى الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص .

(١٠) المراد باخراج الحى من الميت و بالعكس إنشاء الحيوان من مواده وإماتته واستحالته الى موات .

إنَّ الذينَ يَشترُونَ بعَهْدِ اللهِ وأيْمٰنهم ثمنًـا قليلًا(١) أولٰئك لا خَلاقَ(٢) لهم فى الآخرة وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ولا ينظرُ إليهم يومَ القيٰمة ولا يُزَكِّيهمْ ولهم عذابٌ أليم .

واعتصِمُوا بحبلِ اللهِ جميعًا(٣) ولا تفرَّقوا واذكُرُوا نعمتَ اللهِ عليكم إذ كُنتم أعداءً(٤) فألَّف بين قُلوبِكم فأصبحتُم بنعمتِه إخوٰنًا وكُنتم على شَفَا حُفرَةٍ من النارِ(٥) فأنقذَكم منها كذٰلك يبيّنُ اللهُ لكم ءايٰتِه لعلكم تهتدون . ولْتكنْ منكم أمَّةٌ يدْعُون إلى الخيْرِ ويأمُرونَ بالمعروفِ ويَنْهَوْن عن المُنكرِ وأُولٰئكَ هم المفلِحون . ولا تكونوا كالَّذينَ تفرَّقُوا واختلفُوا من بعدِ ما جاءَهم البيٰنتُ وأولٰئكَ لهم عذابٌ عظيم .

فَبِمَا رَحمةٍ منَ اللهِ لِنْتَ لهم(٦) ولو كُنتَ فظًّا غَليظَ القلْبِ لانفضُّوا من حَولك فاعْفُ عنهـم واستغفرْ لهم وشاوِرْهُم فى الأمْرِ فإذا عزمتَ(٧) فتوكَّلْ على الله إنّ اللهَ يُحب المتوكّلِين . إن ينصُرْكم اللهُ فلا غالبَ لكم وإن يخذُلْكم فمَن ذَا الذى ينصُرُكم مِّن بعده وعلى اللهِ فلْيتوكّلِ المؤْمنون .

---

(١) يشترون : يستبدلون . عهد الله : الأيمان . أيمانهم : ما حلفوا به كقولهم لنؤمنن بالله ولننصرنه . الثمن القليل : هو متاع الدنيا .

(٢) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم من الخير والثواب . لا يزكيهم : لا يثنى عليهم .

(٣) اعتصموا : تمسكوا . حبل الله : دين الإسلام أو القرآن .

(٤) أى فى الجاهلية إذ كنتم تتقاتلون .

(٥) الشفا : الحرف . والمعنى : كنتم مشفين على الوقوع فى النار لكفركم فأنقذكم بالإسلام .

(٦) فبما رحمة : أى فبرحمة وما زائدة للتأكيد . الفظ : سيئ الخلق الجافى . غليظ القلب : قاسيه . انفضوا من حولك : تفرقوا عنك .

(٧) عزمت : وطنت نفسك على شىء بعد الشورى .

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لو تَرَكُوا من خَلْفِهم ذُرِّيَّةً ضِعٰفًا خافُوا عليهم فَلْيَتَّقُوا اللهَ ولْيَقُولوا[1] قَوْلًا سَدِيدًا . إن الَّذِينَ يأكلونَ أمْوٰلَ اليَتٰمى ظُلمًا إنما يأكلون فى بطونهم نارًا[2] وسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا .

وإذا حُيِّيتُم بتحية فَحَيُّوا بأحسنَ منها أو رُدُّوها إن اللهَ كان على كلِّ شيءٍ حَسِيبًا .[3]

ولا تُجٰدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ[4] أنفسَهم إن اللهَ لا يُحِبُّ مَن كان خَوَّانًا أثيمًا . يَستخفُونَ[5] من النــاس ولا يَستخفُونَ من اللهِ وهو معهم إذ يُبَيِّتُون مالا يَرْضَى من القَولِ وكان اللهُ بما يعملُون محيطا . هٰأنتم هٰؤُلاءِ جٰدَلْتُم عنهم فى الحَيوٰةِ الدُّنيا فَمَنْ يُجٰدِلُ اللهَ عنهــم يومَ القِيٰمةِ أم مَّنْ يكونُ عليهم وَكِيلًا[6] . ومَن يَعْمَلْ سُوءًا أو يَظْلِمْ[7] نفسَــه ثم يستغفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غفورًا رحيما .

* * *

يٰأيها الذينَ ءامنوا إنَّما الخمرُ والمَيْسِرُ والأنصابُ والأزْلٰمُ رِجْسٌ[8] من عَمَلِ الشيطٰنِ فاجتَنِبُوه لعلّكم تُفلِحون. إنَّمــا يُريدُ الشيطٰنُ أن يُوقِعَ بينكم العَدٰوةَ والبَغْضاءَ فى الخمرِ

---

(١) هذا أمر للأوصياء بمخافة الله فى أمر اليتامى وأن يفعــلوا بهم ما يحبون أن يفعــل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم . والقول السديد يظهر فى الإنصاف وحسن العشرة .

(٢) أى ما يجر الى النار . يصلون سعيرا : يدخلون نارا شديدة . (٣) يحاسبكم على التحية أيضا كما يحاسبكم على غيرها . (٤) يختان نفسه : يخونها بالمعاصى . الأثيم : المنهمك فى المعاصى .

(٥) يستخفون : يستترون . يبيتون : يدبرون زورا .

(٦) الوكيل : المحامى الدافع عنهم عذاب الله . (٧) يظلم نفسه بالشرك أو بذنب لا يتعداه ضرره .

(٨) الميسر : القمار مطلقا . الأنصاب : الأصنام نصبت للعبادة . الأزلام : جمع زلم وهو القدح . وذلك أن العرب كانوا إذا قصــدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربى . وعلى الآخر نهانى ربى . والثالث غفل . فان خرج الآمر مضوا ، وان خرج الناهى تجنبوا ، وان خرج الغفل أجالوها ثانية . رجس : قذر تعافه العقول .

والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون (١) وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم (٢) فاعلموا أنما على رسولنا البلغ المبين .

* * *

ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذنهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٣) ، فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا (٤) ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطن ما كانوا يعملون ، فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبوب كل شيء (٥) حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذنهم بغتة فاذا هم مبلسون (٦) ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا (٧) والحمد لله رب العلمين .

وإذ قال إبرهيم لأبيه ءازر (٨) أتتخذ أصناما ءالهة إنى أرىك وقومك فى ضلل مبين ، وكذلك نرى إبرهيم ملكوت السموت والأرض (٩) وليكون من الموقنين ، فلما جن (١٠)

---

(١) هذا الاستفهام إيذان بأن أمر المنع والتحذير بلغ الغاية ، وأن الأعذار قد انقطعت .

(٢) أى فان أعرضتم فلن تضروا الرسول بإعراضكم لأن عليه البلاغ وقد أداه .

(٣) أى فكفروا فأخذناهم الخ . البأساء : الشدة والفقر . الضراء : الضر والآفات . يتضرعون : يتذللون ويتوبون .

(٤) معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم اليه .

(٥) أى لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب النعم امتحانا لهم بالشدة والرخاء .

(٦) مبلسون : متحسرون آيسون .

(٧) دابرهم : آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد ، (والحمد لله) على هلاكهم إذ هو نعمة للناس .

(٨) آزر : عطف بيان لأبيه .

(٩) ملكوت السموات : عجائبها وبدائعها . ليكون من الموقنين أى ليستدل ويستيقن .

(١٠) جن عليه الليل : ستره بظلامه . وهنا أراد سيدنا إبراهيم هداية قومه من طريق النظر والاستدلال .

عليه اللَّيلُ رءا كوكبا قال هذا ربى فلما أفل[1] قال لا أحب الآفلين . فلما رءا القمر بازغا[2] قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم إنى برىء مما تشركون[3] . إنى وجهت[4] وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين .

إن الله فالق[5] الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فأنى تؤفكون[6] . فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم[7] . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمت البر والبحر قد فصلنا[8] الأيت لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الأيت لقوم يفقهون[9] ، وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء[10]

(١) أفل النجم : غاب .

(٢) بازغا : مبتدئا فى الطلوع .

(٣) أى من الأجرام السماوية المحدثة المحتاجة الى من يصرفها .

(٤) وجهت : توجهت بالإيمان والعبادة . فطر : خلق . حنيفا : حال من التاء فى وجهت . والحنيف : المسلم .

(٥) فالقه بالنبات والشجر الذى ينبت منه .

(٦) تؤفكون : تنصرفون عنه الى غيره .

(٧) فالق الإصباح : شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل . سكنا : يسكن اليه التعب نهارا مطمئنا اليه . حسبانا : أى على أدوار يحسب بها الوقت . وهو مصدر حسب بالفتح . وقيل : جمع حساب كشهاب وشهبان . العزيز العليم : القادر والخبير بتدبيرهما حسب الأصلح .

(٨) فصلنا الآيات : بيناها فصلا فصلا .

(٩) نفس واحدة : هى آدم عليه السلام . مستقر : فى الأصلاب أو فوق الأرض . مستودع : فى الأرحام أو تحت الأرض .

(١٠) أى نبت كل صنف من النبات .

فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبّاً متراكبا(١) ومن النخل من طلعها قنوان دانية(٢) وجنّت من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشبه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لأيت لقوم يؤمنون .

قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالولدين إحسنا(٣) ولا تقتلوا أولدكم من إملق(٤) نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفوحش(٥) ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده(٦) وأوفوا الكيل والميزان بالقسط(٧) لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا(٨) ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصكم به لعلكم تذكرون، وأن هذا صرطى مستقيما(٩) فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصكم به لعلكم تتقون .

---

(١) الخضر : شىء أخضر يخرج من الحبة متشعبا . الحب المتراكب : هو السنبل .

(٢) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان، وهى الأعذاق : جمع قنو كصنوان جمع صنو . دانية : قريبة التناول أو ملتفة متقاربة . وجنات : عطف على نبات كل شىء . ينعه : نضجه . الآيات : العلامات والأدلة على وجود الخالق الحكيم .

(٣) أى وأحسنوا بهما إحسانا .

(٤) الإملاق : الفقر . ومن : للسببية .

(٥) الفواحش : كبار الذنوب .

(٦) أى بالطريقة النافعة محافظة واستثمارا . الأشد : جمع شدة كنعمة وأنعم . والمراد حتى يصير بالغا .

(٧) القسط : العدل والتسوية .

(٨) اعدلوا : قولوا الحق والعدل ولو على القريب .

(٩) صراط الله : شريعته . والمراد بالسبل : الأديان المختلفة أو الأهواء الضالة .

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب (١) . واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون (٢) .

آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (٣) . الآن حصحص الحق (٤) . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه (٥) . ذلك بما قدمت يداك (٦) . قضى الأمر الذى فيه تستفتيان (٧) . إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (٨) . وحيل بينهم وبين ما يشتهون (٩) . لكل نبإ مستقر (١٠) ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله (١١) . قل كل يعمل على شاكلته (١٢) . وعسى أن تكرهوا

(١) أى اتقوا ذنبا يعمكم أثره : كإقرار الأشرار، وترك التناهى عن المنكرات، ومن أوجه إعراب لا تصيبن أنها جواب الأمر على معنى ان أصابتكم . ولذلك أكد الفعل .

(٢) يمتن الله عليهم بحمايتهم ونصرتهم حينما كانوا ضعافا أول الإسلام .

(٣) تستعمل فى الحث على بذل النفيس المحبوب .

(٤) حصحص : بان وظهر . تستعمل لظهور الأمر بعد خفائه أو الشك فيه .

(٥) تقال للشخص ينظر الى وجه ضعيف دون القوى المهم . وأصلها أن الإنسان يعجب من البعث ناسيا أن الله الذى خلقه من التراب قادر على بعثه .

(٦) يجابه بها من فرط فوقع فى مغبة عمله .

(٧) تستعمل فى اليأس من الرجوع فى الحكم أو العمل .

(٨) فى قرب المنتظر .

(٩) فى الحرمان .

(١٠) للنص على أن لكل شىء غاية .

(١١) مدبر الشر يقع فيه .

(١٢) تستعمل الشاكلة فى دلالة العمل على طبيعة صاحبه .

شيئًا وهو خيرٌ لكم (١) . كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينةٌ (٢) . ما على الرسولِ إلّا البلٰغ (٣) . ما على المحسنينَ من سبيل (٤) . هل جزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسانُ (٥) . كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله (٦) . ءآلئن وقد عصيتَ قبلُ (٧) . تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتّىٰ (٨) . ولا ينبّئك مثلُ خبير (٩) . كلُّ حزب بما لديهم فرحون (١٠) . ولو علم اللهُ فيهم خيرًا لأسمعهم (١١) . وقليلٌ من عبادىَ الشكور (١٢) . لا يكلّفُ اللهُ نفسًا إلا وسعها (١٣) . لا يستوى الخبيثُ والطيّبُ (١٤) . ظهر الفسادُ فى البرِّ والبحرِ (١٥) . ضعُف الطالبُ والمطلوبُ (١٦) . لمثلِ هذا فليعملِ العاملون (١٧) . وقليلٌ ما هم (١٨) . فاعتبروا يأولى الأبصار (١٩) .

---

(١) فى ظهور الخير من غير مظانه .

(٢) تستعمل فى تحمل الإنسان نتيجة عمله .

(٣) فى الرجل يقوم بواجبه لا يعنيه المهمل .

(٤) للمحسن يجود بما يشاء .

(٥) فى الخير جزاؤه الخير .

(٦) الضعيف يفوز بالقوى .

(٧) عدم فائدة التوبة بعد فوات الفرصة . والأصل تطيع الآن الخ .

(٨) تستعمل للجماعة كالمتفقين وأهواؤهم مختلفة .

(٩) يضرب للرجل يعرف الشيء أكثر من غيره .

(١٠) تعصب الإنسان لما عنده .

(١١) تضرب للقوم يفقدون خيرا لا يستحقونه .

(١٢) إنكار الجميل . (١٣) الاكتفاء بغاية الجهد .

(١٤) للفرق بين المتباينات . (١٥) للشر يعم .

(١٦) يضرب لاستضعاف المتكبر المتجاهل .

(١٧) استكبار الشيء وتجبيله .

(١٨) للأشياء النادرة .

(١٩) تستعمل فى لفت النظر إلى مواطن العبرة والتبصر .

(ب) الشِّـــــعر

(١) قال كعب بن زهير (١) :

بانتْ سُعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... مُتَيَّمٌ عندَها لم يُجْزَ مكبولُ (٢)

وما سُعادُ غداةَ البين إذ برزَتْ ... إلا أَغَنُّ غضيضُ الطرْف مكحول (٣)

تجلو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنه مُنْهَلٌ بالراح معلول (٤)

شُجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمول (٥)

تنفي الرياحُ القذَى عنه وأفرطَه ... من صَوْبِ غاديةٍ بِيضٌ يعاليل (٦)

ويلُمِّهَا خُلَّةً لو أنها صدقَتْ ... بوعدها ولو انّ النصحَ مقبول (٧)

---

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي . وقد نشأ كعب في أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة . وأسلم ومدح الرسول بهذه القصيدة التي نشرحها . ويعدّ شعره من النوع القوى الجزل مع غرابة لفظ ، وجودة وصف ، ويقال إنه توفى سنة ٢٤ هـ .

(٢) بانت : فارقت . والمتبول : الذى أسقمه الحب . ومكبول : مقيد .

(٣) الغزال الأغنّ : الذي في صوته غنة ، وهي صوت محبوب . غضيض الطرف : أى في طرفها تكسر وفتور .

(٤) تجلو : تكشف . والمراد بالعوارض هنا : الأسنان . ذى ظلم : أى ثغر ذى ظلم . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . ومنهل معلول : أى مسق بالخمر مرة بعد أخرى .

(٥) شجت : أى مزجت بالماء لتذهب سورتها . وبذى شبم أى بماء ذى شبم . والشبم : البرد . والمحنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق . والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد . أى كأن فى ثغرها راحا مزجت بماء بارد نقى صاف .

(٦) القذى : ما يسقط فى الماء . وأفرطه : أى ملأه . والصوب : المطر . والغادية : الغمامة تأتى صباحا . واليعاليل : الجبال ، أى وملأ هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض .

(٧) ويل أمها : تضاف كلمة ويل الى أم وتركبان كأنهما كلمة واحدة وتستعمل فى التعجب ، وفى رواية ابن هشام : فيالها ... والخلة هنا : الصديقة . أى ما أعجبها صديقة لو وفت بما وعدت وسمعت نصيحة النصاح لها فى أمرى .

لكنها خُلَّةٌ قد سِيطَ مِن دمِها ... فَجْعٌ ووَلْعٌ و إخلافٌ وتبديل (١)

فما تقومُ على حالٍ تكون بها ... كما تَلَوَّنُ فى أثوابها الغُول (٢)

ولا تَمَسَّكُ بالعَهدِ الذى زعَمتْ ... إلا كما يُمسِكُ الماءَ الغرابيل

كانت مواعيدُ عُرْقوب لها مثلا ... وما مواعيدُها إلا الأباطيل (٣)

أرجو وآمُلُ أن تدنو مودّتُها ... وما إخالُ لدينا منكِ تنويل (٤)

فلا يَغُرَّنْك ما منّتْ وما وَعَدتْ ... إن الأمانىَّ والأحلامَ تضليل

أمست سُعادُ بأرضٍ لا يُبَلِّغُها ... إلا العِتاقُ النَّجِيَّاتُ المراسيل (٥)

***

وقال كل خليلٍ كنت آمله ... لا الهينك إنى عنك مشغول

فَقُلتُ : خلُّوا سَبيلى لا أبا لكم ... فكل ما قَدَّر الرحمنُ مَفْعولُ

كل ابنِ أنثى و إن طالت سلامته ... يوما على آلةٍ حدباء محمول

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ الله أَوْعَدَنِي ... والعفْوُ عندَ رسولِ الله مَأمولُ (٦)

فَقَدْ أتيتُ رسولَ الله معتذِرًا ... والعُذْرُ عِندَ رَسُولِ الله مَقْبولُ

مَهْلًا هَدَاكَ الذى أَعْطَاكَ نافلَةَ الْ ... قُرآنِ فيها مواعيظٌ وتَفْصيلُ (٧)

لا تَأْخُذَنِّى بأقوالِ الوُشاةِ ، وَلَمْ ... أُذْنِب ، وَلَو كَثُرتْ فىَّ الأَقاوِيلُ

---

(١) سيط : من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره . والفجع : الإصابة بالمكروه . والولع : الكذب .

(٢) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراءى لهم فى الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق .

(٣) عرقوب : يضرب به المثل فى خلف الوعد ، قيل انه وعد أخا له ثمر نخلة ، وقال : ائتنى اذا أطلع النخل ، فلما أطلع قال : اذا أبلح . فلما أبلح قال : اذا أزهى . فلما أزهى قال : اذا ارطب . فلما أرطب قال : اذا صار تمرا . فلما صار تمرا جدّه من الليل ولم يعطه شيئا .

(٤) مفعول إخال الأول ضمير شأن مقدر . والمفعول الثانى جملة لدينا الخ .

(٥) لا يبلغها : أى لا يبلغنها أو لا يبلغها اياها الا العتاق الخ . والعتاق : الابل أو الخيل الكريمة . والنجيات : السريعات . والمراسيل : جمع مرسال ، وهو السريع .

(٦) أوعد : هدّد .   (٧) نافلة القرآن : عطية القرآن . والتفصيل : التبيين .

لقــــد أقومُ مَقامًا لو يَقــومُ به ... يرى ويَسمَعُ ما قد أسمعُ الفيـــل (١)

لظلّ تُرعَدُ من وَجْدٍ بوادرُه ... إن لم يكن من رســول الله تنويل (٢)

ما زلتُ أقتطعُ البَيــداءَ مُدَّرِعًا ... جُنْحَ الظلامِ، وثوبُ الليل مسبول (٣)

حتى وضَعتُ يمينى ما أنازعُهـا ... فى كفِّ ذى نَقِماتٍ قولُه القيـل (٤)

فَلَهْوَ أَخْوفُ عنـدى إذ أكلِّمُه ... وقيــل : إنك منسوبٌ ومسئول (٥)

من ضَيْغَمٍ بضَراءِ الأرضِ مُخْـدَرُه ... فى بطن عَثَّرَ غِيــلٌ دونه غيــل (٦)

يغـدو فيَلْحُمُ ضِرْغامَيْن عَيْشُهما ... لحمٌ من النـاس معفورٌ خراديل (٧)

إذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يحِــلُّ له ... أن يترُكَ القِـرنَ إلا وهـو مغلول (٨)

منـــه تظلُّ حَميرُ الجـوِّ نافرةً ... ولا تَمَشَّى بواديه الأراجيـل (٩)

---

(١) أى لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد .

(٢) ظل ترعد ، جواب لو فى البيت السابق . والبوادر : جمع بادرة ، وهى هنا بين المنكب والعنق .

(٣) ادّرع الظلام أى لبسه كأنه درع .

(٤) ما أنازعها : أى لا أجذبها . والقيل : أى القول الحق .

(٥) أخوف : أى أعظم مسبب للخوف ومنسوب : أى مسئول عن نسبك . أى ان مقامى بين يدى رسول الله بعد أن قيل لى انك تسأل عما نسب اليك من القبيح لأشد إخافة لى من ضيغم الخ

(٦) من ضيغم : متعلق بأخوف فى البيت السابق . وضراء الأرض أى الأرض المستوية التى تأويها السباع وبها نبذ من الشجر . والمخدر : مكان إقامة الأسد . وبطن عثر مأسدة . أى مخدره غيل من بطن عثر دونه غيل . والغيل : الأجمة — يصفه بالمنعة والتوحش .

(٧) يلحم : أى يطعم اللحم . معفور : أى ملق فى التراب . والخراديل : القطع ، والمعنى يصبح الأسد فيطلب صيدا لولدين أكلهما من لحوم الناس المعفورة المقطعة .

(٨) يساور : يواثب . والقرن : المماثل . ولا يحل : لا يسوغ . والمغلول : المقيد . ويراد به هنا لايستطيع المشى . وفى رواية مجدول . وفى أخرى : مفلول .

(٩) الجوّ : البر الواسع . والأراجيل : جمع الأرجال ، والأرجال جمع رجل ، اسم جمع لراجل أى غير راكب .

ولا يزالُ بِوَادِيهِ أخو ثِقَـــةٍ ... مضرَّجُ البَزِّ والدُّرْسَانِ مأكول [1]

إنّ الرسولَ لَنـــورٌ يُستضاءُ به ... مهنّـــدٌ من سـيوفِ اللهِ مسلول

في عُصبةٍ من قريش قال قائلُهم ... ببطن مكّةَ لما أسلموا : زُولوا [2]

زالوا، فما زال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عنـد اللقاءِ ولا ميــلٌ معازيل [3]

يمشُون مَشيَ الجمالِ الزُّهْرِ يَعصِمُهُمْ ... ضربٌ إذا عَرَّدَ السودُ التنابيل [4]

شُمُّ العـرانينِ أبطالٌ لَبُـــوسُهُمُ ... من نسجِ داودَ في الهَيْجا سرابيل [5]

بيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ ... كأنهـا حَلَقُ القَفْعاءِ مجـدول [6]

ليســوا مفاريحَ إن نالتْ رِماحُهُمُ ... قوماً، وليســوا مَجازيعاً إذا نيلوا [7]

لا يقـعُ الطعنُ إلا في نُحورِهِـمُ ... ومَا لهم عن حِياضِ الموت تَهليل [8]

---

(١) البز : الثياب . والدرسان : أخلاق الثياب ، جمع دريس ؛ أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقا ممزقة .

(٢) زولوا : أى انتقلوا من مكة إلى المدينة .

(٣) النكس : الضعيف . والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له . والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل : جمع معزال وهو من لا سلاح له .

(٤) الزهر : البيض . وعرد : فر وأعرض . والتنابيل : القصار .

(٥) شم العرانين : شم الأنوف ، أى أعزة . واللبوس : اللباس . والسرابيل : الدروع ، أى لباسهم دروع من نسج داود .

(٦) بيض : صفة للسرابيل . والسوابغ الطوال . والقفعاء : نبات ينبسط على الأرض تشبه به حلق الدروع .

(٧) المفاريح : جمع مفراح . والمجازيع : جمع مجزاع .

(٨) التهليل : الجبن والفرار .

(٢) قالت قُتَيلةُ[1] بنت النَّضر بن الحارث تبكى أخاها :

يا راكبًا إن الأُثَيْـلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْحِ خامسةٍ ، وأنت موفقُ [2]

أَبْلِغْ بها مَيْتًا بأنَّ تحيَّـةً ... ما إن تزالُ بهـا النجائبُ تخفـقُ [3]

مِنِّى اليـك ، وعَـبْرةً مسفوحةً ... جادتْ بواكِفِها ، وأخرى تَخْنُق [4]

هل يَسمَعنِّى النَّضْرُ إن ناديتُـه ... أم كيف يسمَعُ مَيِّتٌ لا ينطق [5]

أمحمـدٌ يا خَيْرَ ضِنْءِ كريمـةٍ ... فى قومها ، والفَحْلُ فحْـلٌ مُعْرِق [6]

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ؟ ورُبَّمـا ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَق [7]

أو كنت قابِلَ فِـدْيةٍ فَلْيُنفَقَنْ ... بِأَعزِّ ما يغـلو به ما يُنْفَـقُ [8]

---

(١) قتيلة بنت النضر وقيل أخته نشأت فى قومها بنى عبد الدار بن قصى من قريش . وكان أخوها أو أبوها النضر مع قريش على الرسول فى غزوة بدر فأمر الرسول عليه السلام بقتله . وترى أن شعرها على قرنه أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه .

(٢) الأثيل : موضع فيــه قبر النضر ، تقول إن الأثيل يظن أن تبلغه فى صبح الليلة الخامسة ، إذا وفقت ولم يعقك عائق .

(٣) النجائب : جمع نجيبة . وهى جياد الإبل . وخفقان النجائب : شدة اهتزازها ، و إن زائدة .

(٤) منى متعلق بأبلغ ، والمسفوحة : المصبوبة ، أى بلغه منى رسالة ، واذكر له عبرة على فقده سالت ، وعبرة أخرى جمدت ، وأخذ حزنها بالحلق فخنقه .

(٥) أم هنا للإضراب : أى بل كيف يسمع الخ .

(٦) الضن : الأصل ، والولد . والكريمة : النجيبة . والمعرق : من له أصول راسخة فى الكرم المعنى أن أمك شريفة وأباك عريق فى المجد .

(٧) المعنى اذا كنت كذلك فما كان ضرك لو مننت على أخى وأطلقته فقد يعفو الكريم ، وهو منطو لى الغيظ والحنق .

(٨) أى وما ضرك لو قبلت فدية ، فانك ان فعلت أنفقنا لفديته أعز وأغلى ما نملك .

فالنضر أقربُ مَن أسَرْتَ قرابَةً ... وأحقُّهم إن كان عِتْقٌ يُعْتَق (١)

ظلَّتْ سيوفُ بنى أبيه تَنُوشه ... للهِ أرحامٌ هناك تُشَقَّق! (٢)

صبْرًا يقادُ إلى المنية مُتْعَبًا ... رَسْفَ المقيدِ، وهو عانٍ مُوثَق (٣)

(٣) قال أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ يعتِب على ابن له : (٤)

غَذَوْتُكَ مَولُودًا وعُلْتُكَ يافِعًا ... تُعَلُّ بما أُدنِى إليك وتُنْهَل (٥)

إذا ليلةٌ نابتك بالشَّكْوِلم أبِت ... لِشكواكَ إلا ساهرًا أتململُ (٦)

كأنى أنا المَطروقُ دونَكَ بالذى ... طُرِقْتَ به دونى، وعَيْنِى تَهْمِلُ (٧)

تخافُ الردَى نفسِى عليكَ، وإنها ... لَتعلَمُ أنَّ الموتَ حَتْمٌ مؤجَّل (٨)

فلمّا بلغتَ السنَّ والغايَةَ التى ... إليها مَدى ما كنتُ فيكَ أؤَمِّل

---

(١) كان تامة : أى وأحقهم بأن يعتق إن حصل منك عتق وفكاك .

(٢) تنوشه : تتناوله ، ولله أرحام : تعجب أى لم يقتله أحد غير بنى أبيه فعجبا من أرحام يقطعها أصحابها .

(٣) صبرا أى حبسا حتى يقتل ، والمعنى أنه يقاد يموت بعد الحبس وهو متعب يرصف رسف المقيد ، أى وهو أسير موثق .

(٤) هو عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبي العرب ؛ حتى اذا كانت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم نفسها عليه ، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٩ ﻫ . و يمتاز شعره بالسهولة ، والدخيل من الألفاظ ، وتناول الأساطير ، والأمور الدينية مع المدح والحكمة وكان أكثر مدحه فى عبد الله بن جدعان القرشى .

(٥) غذاه : قام بمؤونته ، وعاله : كفله وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعل : من العلل ، وهو الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه مرة بعد مرة .

(٦) أتململ : أتقلب على الملة وهى الجمر .

(٧) تهمل : أى يسيل منها الدمع .

(٨) الردى : الهلاك ، حتم أى لا مفر منه . مؤجل أى له وقت .

جعلتَ جزائى منك جَبْهًا وغِلْظَةً ... كأنكَ أنتَ المنعِمُ المتفضِّلُ (١)

فليْتَكَ إذ لم ترعَ حقَّ أبوَّتى ... فعلْتَ كما الجارُ المجاوِرُ يفعلُ (٢)

وسمَّيْتَنِي باسمِ المفنَّدِ رأيُه ... وفى رأيك التفنيدُ لو كنتَ تعقلُ (٣)

تراه مُعِدًّا للخلاف كأنه ... بِرَدٍّ على أهلِ الصواب مُوكَّلُ (٤)

(٤) وقال كعب بن مالك : (٥)

عَجِبْتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قادرٌ ... على ما أراد ، ليس لِلّهِ قاهرُ

قضَى يومَ بدرٍ أن نُلاقِيَ معشراً ... بَغَوْا ، وسبيلُ البغْيِ بالناسِ جائرُ

وقد حَشَدُوا ، واستَنْفَروا من يَلِيهِمُ ... من الناسِ ، حتى جَمْعُهم مُتكاثِرُ

وسارتْ إلينا لا تُحاوِلُ غيْرَنا ... بأجمعِها : كَعْبٌ جميعاً ، وعامِرُ

وفينا رسولُ اللهِ ، والأوْسُ حولَه ، ... له مَعْقِلٌ منهم عزيزٌ وناصرُ

وجَمْعُ بنى النجارِ تحتَ لوائِه ... يُمَشُّون فى الماذِىّ ، والنَّقْعُ ثائرُ (٦)

فلمّا لقيناهمْ ، وكلٌّ مجاهدٌ ... لأصحابه مُسْتَبْسِلُ النفْسِ صابرُ

---

(١) الجبه : مقابلة الانسان بما يكره .

(٢) أى ليتك إذ أبيت أن تعاملنى معاملة الأب عاملتنى كما يعامل الجار جاره .

(٣) فنده : نسبه الى سوء العقل أى وصمتنى بسوء الرأى والغباوة ، ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينسبَ اليك لا إلىّ .   (٤) معدا : أى محضرا ومهيئا ، أى أنه يهيئ الخلاف ، و يقابل به كل رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

(٥) هو كعب بن مالك الخزرجى من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نشأ فى المدينة وأسلم ودافع أعداء الرسول عنه ، وروى عنه كثيرا من الأحاديث ثم كان عثمانيا يدعو الأنصار لنصر عثمان ، وتغلب على شعره النزعة الدينية فى أسلوب واضح متين .

(٦) الماذى هنا : السلاح من الحديد المجلو ، والنقع : غبار الحرب .

شهِدْنا بأن اللهَ لا ربَّ غيرُه ... وأنَّ رسولَ اللهِ بالحقِّ ظاهر

وقد عرِيَتْ بيضٌ خِفاف كأنها ... مَقابِيسُ يُزْهيها لعينيكَ شاهر (١)

بهِنَّ أبَدْنا جمعَهمْ فتبَدَّدُوا ... وكانَ يُلاقِي الحَيْنَ مَنْ هو فاجر (٢)

فكُبَّ أبو جهلٍ صريعا لِوجهِه ... وعُتْبَةُ قد غادرْنَه وهو عاثر (٣)

وشَيْبَةَ والتَّيْمِيَّ غادرْنَ في الوغَى ... وما منهمُ إلّا بذى العَرش كافر

فأمسَوْا وَقُودَ النارِ في مُستقَرّها ... وكُلُّ كفورٍ في جهنّمَ صائر

وكانَ رسولُ الله قد قالَ : أقبلوا ... فوَلّوا ، وقالُوا : إنما أنتَ ساحر

لأمرٍ أراد اللهُ أن يَهلِكوا به ... وليس لأمرٍ حَمَّه الله زاجر

(١) البيض الخفاف : السيوف ، والمقابيس : جمع مقباس ، وهو شعلة النار ، و يزهيها : يشعلها ، وشاهر السيف : رافعه .

(٢) الحين : الموت والهلاك .

(٣) كب : صرع والنون في غادرنه للسيوف ، والعاثر يراد به المصروع .

(٤) حمه الله : قضاه ، زاجر رادّ .

(٥) قال مالكُ بنُ الرَّيْبِ التميمىّ[١]:

ألا ليتَ شعْرِى هل أَبيتنَّ ليلةً … بجَنبِ الغضى أُزجى القِلاصَ النواجيا

فليتَ الغَضَى لم يقطع الركبُ عرضَهُ … وليتَ الغضى ماشَى الركابَ لياليا

لقد كانَ فى أهلِ الغَضَى لو دَنا الغضَى … مَزارٌ ولكنَّ الغضَى ليسَ دانيا

ألم تَرَنى بِعتُ الضلالةَ بالهدى … وأصبحتُ فى جيش ٱبنِ عفَّانَ غازيا[٢]

دعانى الهوى من أهل أُودَ وصُحبتِى … بِذى الطَّبَسَيْنِ فالتفتُّ وَرائيا[٣]

أجبتُ الهَوى لما دَعانى بزَفْرَةٍ … تقنَّعتُ منها أن أُلامَ ردائيا[٤]

لعمرِى لئنْ غالَتْ خُراسانُ هامتِى … لقد كنتُ عن بابَىْ خُراسانَ نائيا[٥]

فلله دَرِّى يومَ أتركُ طائعا … بَنِىَّ بأعلَى الرَّقمتين وماليا[٦]

---

(١) مالك بن الريب المازنى التميمى شاعر فاتك لص نشأ فى بادية بنى تميم عند البصرة يقول الشعر الرقيق الجيد وينال الناس بالشر فيطلبه الولاة فيفر حتى اتخذه معه سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية وعند قفولهما من خراسان مرض مالك هذا فقال يذكر مرضه وغربته بهذه القصيدة . وشعر مالك كما ترى جيد متين حسن التعبير .

(٢) فى جيش ٱبن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان كان خرج معه لما ولى خراسان فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فلدغته حية فى داخله .

(٣) أود : موضع بالبادية من بلاد العرب . الطبسان : كورتان بخراسان ، أى دعانى الهوى وأنا فى المكان ذى الطبسين .

(٤) أن ألام : أى مخافة أن ألام . ورداثيا : مفعول تقنعت .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) لله درى : تركيب يقال فى المدح والدعاء ، أى ما أنا فيه من الخير إنما هو من الله فى أصل المعنى ، وأراد بهذا التركيب هنا التعجب من نفسه والتقريع لها . والرقمتان : قريتان قرب البصرة .

ودرُّ الظباءِ السانحاتِ عَشيةً ... يُخَبِّرنَ أنى هالك مَنْ ورائيا[١]

ودرُّ كَبيرىَّ اللَّذَين كلاهما ... عَلَىَّ شَفيقٌ ناصح لو نَهانيا[٢]

ودَرُّ الهوى من حيثُ يدعو صِحابَه ... ودَرُّ لجاجاتى ودرّ انتهائيا[٣]

تذكرتُ مَن يَبكى علىَّ فلم أجِدْ ... سِوى السيفِ والرمحِ الرُّدَينِىِّ باكيا[٤]

وأشقَرَ خنْذيذٍ يجُرُّ عِنانه ... الى الماء لم يترك له الدهرُ ساقيا[٥]

* * *

ولكنْ بأطراف السُّمَيْنة نِسوةٌ ... عزيزٌ عليهنّ العَشيةَ ما بِيا[٦]

صريعٌ علَى أيدى الرجال بقَفْرة ... يُسَوُّونَ قبرى حيثُ حُمَّ قَضائيا

ولَمَّا تراءَتْ عند مَرْوَ منيّتى ... وخَلَّ بها جِسمِى وحانتْ وَفاتيا[٧]

أقولُ لأصحابى : ارفَعُونى لأنّنى ... يقَرّ لعينى أن سُهَيلٌ بدا ليا[٨]

فياصاحِبَىْ رَحلِى دنا الموتُ فانزلاَ ... برابيةٍ ؛ إنى مقيم لياليا

---

(١) إما أنه يقصد بالظباء النساء من أهله ، وأنهن كن يتشاءمن من سفرته : و إما أنه يقصد الظباء الحقيقية وأنها وان سنحت وجاءت من المياسر الى الميامن وهو ما كانت تتيمن به العرب كانت خداعة فى هذا وأنها فى الحقيقة كانت نذير الشؤم والهلاك .

(٢) لو نهانيا : لو للتمنى . والضمير يعود للشفيق .

(٣) ودرلجاجاتى يتهكم بأن مطامعه دفعته الى الهلاك وأن الموت كان انتهاء مطامعه .

(٤) الرديني منسوب الى ردينة ، وهى امرأة كانت تقوم الرماح ، أى لا أجد من يبكى على فى الغربة إلا سيفى و رمحى .

(٥) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيذ : أى طويل صلب .

(٦) السمينة : موضع .

(٧) خل بها جسمى : اختل .

(٨) سهيل : نجم يكون فى سمت بلاد اليمن .

أقيما علىّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ ... ولا تعجلانى ، قد تبيّن ما بيا
وقوما إذا ما استُلّ روحى وهيئا ... لى السِّدْر والأكفان ثم ابْكيا ليا[١]
وخُطّا بأطراف الأسنّة مَضْجَعى ... ورُدّا على عَيْنَىّ فضلَ ردائيا
ولا تَحْسُدانى — باركَ الله فيكما — ... من الأرض ذاتِ العَرْض أن تُوسعا ليا
خُذانى فجُرّانى ببُردى إليكما ... فقد كنتُ قبلَ اليوم صَعْبًا قِياديا
وقد كنتُ عَطّافًا إذا الخيل أدبرت ... سَريعًا الى الهَيْجا إلى مَن دَعانيا
وقد كنتُ محمودًا لدى الزادِ والقِرَى ... وعن شتمى ابْنَ العم والجارَ وانيا
وقد كنت صبّارًا على القِرْن فى الوغى ... ثقيلًا على الأعداء عَضْبًا لسانيا[٢]
وطورًا ترانى فى ظلال ومَجْمَعٍ ... وطورًا ترانى والعِتاقُ ركابيا[٣]
وطورًا ترانى فى رَحًى مستديرةٍ ... تُخَرِّقُ أطرافُ الرماح ثِيابيا[٤]
وقُوما على بِئر الشُّبَيْك فأسْمِعا ... بها الوحشَ والبيضَ الحسان الروانيا[٥]
بأنكما خَلّفْتُمانى بِقَفْرةٍ ... تهيل علىّ الريحُ فيها السوافيا[٦]
ولا تنسَيَا عهدى خليلَيَّ إننى ... تَقَطَّعُ أوصالى وتبلَى عظاميا[٧]

---

(١) السدر : شجر النبق . والمراد هنا ورقه لأنه يغسل به الميت .

(٢) القرن : المثيل فى الحرب . والعضب : السيف القاطع .

(٣) يصف نفسه فى السلم بأنه كان متمتعا بلذات العيش فى ظلال نعيم ، وأنه كان صاحب رأى إذا التفت المجامع ، ويصف نفسه فى الحرب بأن مكانه متون الخيل . والعتاق : جمع عتيق ، وهو الفرس الكريم .

(٤) أى فى الحرب التى تدور رحاها .

(٥) الشبيك : موضع . والروانى : النواظر .

(٦) السوافى : جمع سافية ، وهى الريح تحمل الغبار .

(٧) الأوصال : المفاصل .

فلن يعـــدَم الوالون بَيتـا يُجِنُّنِى ولن يعدَمَ الميراثُ مِنِّى المَواليـا (١)

يقولون : لا تَبْعَدْ ! وهم يدفنوننى وأين مكانُ البعـــدِ إلا مكانيـا (٢)

غـداة غدٍ يالهفَ نفسى على غـد إذا أدلجـوا عنى وخُلِّفْتُ ثاويا (٣)

وأصبح مالى من طَريفٍ وتالد لغيرى وكان المـال بالأمس ماليا (٤)

فياليت شِعْرِى هل تَغيرت الرحى رحى المُثل أو أضحت بَفلْج كما هيا (٥)

إذا القـوم حَلُّوها جميعًـا وأنزلوا بهـا بَقَـرًا حُمَّ العُيـون سواجيا (٦)

رعَيْنَ وقد كان الظلامُ يُجِنُّها يَسُـفْنَ الخُزامَى نَوْرَها والأقاحيا (٧)

وهل ترْكَ العيسُ المراقيلُ بالضُّحا تعاليهَا ، تعـــلو المتون الفياقيـا (٨)

إذا عُصَبُ الرُّكبان بين عُنَيْزَةٍ وبَوْلان عاجوا المُبْقيات المَهاديا (٩)

و ياليتَ شِعرى هل بكتْ أُمُّ مالك كما كُنتُ لو عَالَوا نَعِيَّك با كيا (١٠)

---

(١) بيتا يجننى : قبرا يوارينى . والموالى : الأقارب .

(٢) بعد يبعد من باب فرح هلك ، وكان من عادة العرب عند دفن الميت أن يقولوا لاتبعد .

(٣) غداة الظرف متعلق بيقولون ، أدلجوا : ساروا ليلا . وثاو : مقيم .

(٤) الطريف : المـال المكتسب . والتالد : المـال الموروث .

(٥) رحى المثل بضم الميم . والمثل : موضع . وفلج : موضع .

(٦) حلوها : أى نزلوا بها . حم : جمع حماء وهى السوداء . والسواجى : جمع ساجية وهى العين الساكنة ، وهى صفة حسن والظاهر أنه يقصد بالبقر هنا النساء الحسان وما فى البيت بعده ترشيح .

(٧) يجنها : يخفيها ، وساف يسوف : شم . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والأقاحى : جمع أقحوان هو نبت زهره أبيض مفلج .

(٨) العيس : الإبل . والمراقيل : جمع مرقال وهى السريعة . والتعالى : الارتفاع فى السير . والمتون : الجهات المرتفعة . والفياقى : جمع فيفاءة وهى الأرض الغليظة .

(٩) عنيزة : مكان فى وادى بطن فلج . المبقيات : التى يبقى جريها بعد انقطاع جرى غيرها وكلالها .

(١٠) عالوا : رفعوا أى بلغوا . أى كما كنت باكيا عليك يا أم مالك لو بلغونى نعيك .

إذا مِتُّ فاعتادِي القبورَ فسلّمي ... على الرَّيْمِ أُسقيتِ الغمامَ الغواديا [1]

تَرَىْ جَدَثًا قد جَرَّت الريحُ فوقَه ... غُبارًا كلونِ القَسْطَلانيِّ هابيا [2]

رهينةَ أحجارٍ وتُرْبٍ تضمَّنت ... قرارتُها منّي العظامَ البواليا

* * *

أُقَلِّبُ طَرْفي فوقَ رحلي فلا أرى ... به من عيونِ المؤنساتِ مُراعيا

وبالرَّملِ منَّا نِسْوةٌ لو شَهِدْنَني ... بَكَيْنَ وفَدَّيْنَ الطبيبَ المداويا

فمنهُنَّ أمّي وابنتاها وخالتي ... وباكيةٌ أخرى تَهِيجُ البواكيا [3]

وما كانَ عهدُ الرَّملِ منّي وأهلِه ... ذميمًا ، ولا بالرملِ ودَّعْتُ قاليا

(٦) وقال أعْشَى باهلةَ [4] :

إنّي أتَتْنِي لسانٌ ما أُسَرُّ بها ... من عَلُو لا عَجَبٌ فيها ولا سَخَرُ [5]

جاءت مُرَجَّمةً قد كنت أحْذَرُها ... لو كان يَنفعُني الإشفاقُ والحَذَرُ [6]

---

(١) الريم : القبر . الغوادى : جمع غادية . السحابة الباكرة المطر .

(٢) القسطلانى : نسبة إلى القسطلان وهو غبار الحرب . هاب من هبا الغبار إذا سطع أو اختلط بالتراب .

(٣) يريد زوجته .

(٤) هو عامر بن الحارث بن عوف بن معن شاعر مشهور كان له أخ من أمه يدعى المنتشر بن وهب قتله بنو الحارث بن كعب فى رجل منهم فرثاه الأعشى بهذه الرائية .

(٥) لسان : أى رسالة . وعلو الشىء : أعلاه . ويريد هنا من بعد وهو هنا مبنى على الضم لأنه ظرف مبهم قطع عن الإضافة . والسخر : الاستهزاء ، أى أن الخبر الذى وصل اليه من مكان بعيد خبر لا عجب فيه ، لأنه كان ينتظر ، ولا استهزاء بصحته .

(٦) مرجمة : الحديث المرجم : ما لا يوقف على حقيقته . والإشفاق : الخوف .

تَأْتِى على الناسِ لا تَلْوِى على أَحدٍ ... حتى أَتَتْنا ، وكانت دونَنا مُضَرُ [(١)]

إذا يُقادُ لها ذِكرٌ أُكذِّبُه ... حتى أَتَتْنِى بها الأنباءُ والخَبرُ [(٢)]

فَبِتُّ مكتئبًا حَيرانَ أَندُبُهُ ... ولستُ أدفع ما يأتى به القَدَرُ

فجاشتِ النَّفْسُ لما جاء جَمْعُهُم ... وراكِبٌ جاءَ من تَثْليثَ مُعْتَمِرُ [(٣)]

إن الذى جئتَ من تَثْليثَ تَنْدُبُه ... منه السَّماحُ ومنه الجُودُ والغِيَرُ [(٤)]

تَنْعَى امرأً لا تُغِبُّ الحىَّ جَفْنَتُه ... إذا الكواكبُ خَوَّى نَوْءَها المطَرُ [(٥)]

وراحت الشَّوْلُ مُغْبَرًّا مناكِبُها ... شُعْثًا تَغَيَّرَ منها النِّىُّ والوَبَرُ [(٦)]

وأَجْحَرَ الكلبَ مُبْيَضُّ الصَّقيعِ به ... وضَمَّت الحىَّ من صُرَّادِه الحُجَرُ [(٧)]

عليه أَوَّلُ زادِ القومِ قد علِموا ... ثم المطىُّ إذا ما أَرْمَلُوا جُزُرُ [(٨)]

---

(١) لا تلوى على أحد : أى لا تتوقف ولا تنتظر . أى أن هذه الرسالة كانت تمرّ على الناس سريعا حتى وصلت الىّ وكان بينى وبينها قبائل مضر .

(٢) الأنباء : الأخبار . يريد كنت أكذبها حتى تواترت الانباء والأخبار .

(٣) جاشت : غلت واضطربت من الحزن . وتثليث : موضع . ومعتمر : معتم .

(٤) الغير : جمع غيرة ، وهى النخوة .

(٥) نعى الميت ينعاه : أخبر بموته . أغبتهم : جاءتهم يوما وتركت يوما . والجفنة : القصعة . وخوى الكوكب : لم يمطر . والنوء : مظهر خاص فى الكواكب ينذر بالمطر . والمعنى أنه كان كريما يرسل الجفان الى الحى حتى فى أوقات الشدائد والجدب حينما يخلف المطر ما كانت تنذر به علامات سقوطه .

(٦) الشول : جمع شائلة . وهى الناقة جف لبنها . والشعث : جمع شعثاء وهى المغبرة الرأس المتلبدة الوبر . والنى : الشحم والسمن .

(٧) أجحر الكلب : ألزمه جحره . والصقيع : ما يسقط بالليل كأنه ثلج . والصراد : السحاب شديد البرد ولا مطر فيه .

(٨) أرملوا : قل زادهم ، والتصقت أيديهم بالرمل . والجزر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تنحر . خبر المطى .

لا تأمَنُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَربتَهُ ... بالمَشْرَفِيِّ إذا ما اخرَوَّطَ السَّفَرُ (١)

قد تَكْظِمُ البزل منه حين يَفْجَؤُها ... حتى تَقَطَّعَ فى أعناقها الجِرَرُ (٢)

أخو رغائبَ يُعطيها ويُسألُها ... يَخشَى الظُّلامَةَ منه النَّوفَلُ الزُّفَرُ (٣)

مَنْ ليس فى خَيرِه مَنٌّ يُكَدِّرُه ... على الصديق ولا فى صفوه كدَرُ

يَمشِى ببيداءَ لا يمشى بها أحدٌ ... ولا يُحَسُّ خلا الخافِي بها أَثَرُ (٤)

كأنه بعد صَدْق القوم أنفسَهمْ ... بالبأس يلمعُ من أقدامه الشَّرَرُ (٥)

وليس فيه إذا استَنْظَرتَه عَجَلٌ ... وليسَ فيه إذا ياسَرتَه عَسَرُ (٦)

إمَّا يُصِبْهُ عَدُوٌّ فى مُناوأةٍ ... يومًا فقد كانَ يَستَعْلِي ويَنْتَصِرُ (٧)

أخو حروبٍ ومِكسابٌ إذا عدِموا ... وفى المخافة منه الجِدُّ والحَذَرُ (٨)

---

(١) البازل : مابرز نابه من جمل أو ناقة ، وتكون سنه إذاً نحو تسع سنين . الكوماء : الناقة الضخمة السنام . واخروط السفر : أى طالت مدّته ، وبعدت طريقته .

(٢) تكظم : أى تحبس غيظها على مضض . ويفجؤها : يجيئها بفجاءة وبغتة . والجرر : جمع جرة . وهى الكرش التى يضع فيها البعير طعامه ليأكله ثانية . يعنى أنه لكثرة عادته بعقر الإبل إذا رأته كظمت وحبست جررها خوفا وهيبة حتى تكاد تقطع أعناقها .

(٣) الرغائب : العطايا ، يعطيها ويسألها : أى مرة يعطى بلا سؤال ومرة بعد سؤال . والظلامة : ما يتظلم منه . والنوفل : الكثير العطاء . والزفر : السيد .

(٤) البيداء : الفلاة . والخافى : الجنى ، يصفه بالجرأة وقوة القلب والعزيمة .

(٥) صدق القوم أنفسهم : أى إجهادهم أنفسهم . والبأس : القوة ، يعنى إذا جاراه وسابقه قوم فانك تراهم بعد أن أجهدوا أنفسهم ليبلغوا مداه قد خابوا ، وتراه وقد لمع الشرر من أقدامه لقوة عدوه .

(٦) استنظرته : طلبت منه الانتظار . وياسرته : لاينته ولاطفته . والعسر : قلة السماحة وضيق الخلق .

(٧) إما : هى إن الشرطية المدغمة فى ما . والمناوأة : المعاداة .

(٨) الجد : الاجتهاد فى الأمر .

مِرْدَى حُروبٍ شهابٌ يستضاء به كما أضاء سوادَ الطُّخْيَةِ القَمَرُ (١)

مُهَفْهَفٌ أهضمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ عنه القميصُ، لسير الليل مُحْتَقِرُ (٢)

ضَخْمُ الدسيعَةِ مِتْلاف أخو ثِقَةٍ حامى الحقيقة منه الجودُ والفَخَرُ (٣)

طَاوِى المَصِيرِ على العَزَّاءِ مُنْجَرِدٌ بالقوم ليلةَ لا ماءٌ ولا شجرُ (٤)

لا يَتَأَرَّى لما فى القِدْرِ يَرْقُبُه ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ (٥)

تكفيه فِلْذَةُ لحم إنْ أَلَمَّ بها من الشِّواء، ويروى شَرْبَهُ الغُمَرُ (٦)

لا يأمَنُ الناسُ مُمْساهُ ومُصْبَحَهُ فى كل فَجٍّ، وإن لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ (٧)

المعجِلُ القومِ ان تَغْلِي مَراجِلُهُمْ قبلَ الصباح، ولمَّا يُمْسَحِ البَصَرُ (٨)

لا يَغْمِزُ الساقَ من أَيْنٍ ولا نَصَبٍ ولا يزالُ أمامَ القوم يَقْتَفِرُ (٩)

---

(١) المردى: الحجر الذى يرمى به أو الذى تكسر به الصخور. والشهاب: شعلة من النار. والطخية: الظلمة.

(٢) المهفهف: الخفيف اللحم. أهضم الكشحين. أى ضامر الخصر. منخرق عنه القميص: هذا كناية عن طول أسفاره.

(٣) الدسيعة: العطية. والحقيقة: مايحق على الرجل أن يمنعه ويدافع عنه كالشرف والعرض وغيرهما.

(٤) المصير: المعى، وجمعه مصران. والعزاء: السنة الشديدة المجدبة، والمنجرد هنا: المسرع بالسير يعنى أنه فى السنة المجدبة يطوى أحشاءه على الجوع، ويسير بالقوم لمواطن القوت فى ليلة لا ماء فيها ولا نبات.

(٥) يتأرى: يتحبس وينتظر. والشرسوف: غضروف الضلع المشرفة على البطن. والصفر والصفار: دويبة تزعم العرب أنها فى البطن تعض الضلوع عند الجوع.

(٦) الفلذة: القطعة الصغيرة. والشرب: أصله الشرب وسكنت الراء وهو مصدر شرب بمعنى عطش. والغمر: قدح صغير أو أصغر الأقداح.

(٧) أى أنه يخوف فى كل الأوقات وأنه إذا لم يغز قوما انتظروا حملته فى خوف.

(٨) أى أنه يدعو القوم إلى العجلة والإسراع إلى الغارة دون أن ينتظروا غليان قدورهم وذلك قبل الفجر وقبل أن يمسح القوم أعينهم من آثار النوم.

(٩) الأين والنصب التعب. ويقتفر: يتبع ويجرى على أثره.

عِشْـنَا به بُرْهةً دهرًا فودّعنـا ... كذلك الرُّمْحُ ذو النَّصلين منكسِر

فنِعمَ ما أنتَ عنـد الخـيْرِ تُسأَلُه ... ونعمَ ما أنتَ عند البأس تُحتَضَرُ (١)

أَصبْتَ فى حَرَمٍ مِنّا أخا ثِقَـةٍ ... هِنْدَ بنَ سَلْمَى، فلا يَهْنأ لك الظَّفَرُ!

فإن جَزِعنا فإن الشرَّ أجْزَعَنـا ... وإن صَبَرْنا فإنا مَعْشَرٌ صُبُرُ (٢)

(٧) قالت الخنساء (٣) ترثى أخاها صخرا :

ما هاج حُزنَكَ ؟ أم بالعين عُوّارُ ... أم ذَرَّفَتْ أنْ خَلَتْ من أهلها الدارُ (٤)

كأنّ عيني لِذِكراهُ إذا خطَرتْ ... فَيْضٌ يَسِيلُ على الخدين مِدرار (٥)

تبكي لصخرٍ هي العَبْرَى وقد وَلِهتْ ... ودونَهُ من جديد التُّرْبِ أستار (٦)

تبكي خُنَاسُ فما تَنْفَكُّ ما عَمَرتْ ... لهـا عليه رَنِينٌ، وهى مِفْتار (٧)

---

(١) البأس : الشدّة، وتحتضر أى يطلب حضورك .

(٢) صبر : جمع صبور .

(٣) هى تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى نشأت فى بيت مجد وسيادة فى الجاهلية تقول المقطوعات من الشعر فلما قتل أخواها صخر ومعاوية اشتد جزعها عليهما حتى نبغت فى الرثاء . وتعدّ الخنساء على رأس الشواعر العربيات لقوة شعرها مع جمال الأسلوب وسلاسته . وكانت وفاتها بالبادية فى خلافة معاوية سنة ٤٦ هـ .

(٤) ما : استفهامية . والعوار : رمد العين : وذرفت : قطرت قطرا متتابعا . تقول : أى شيء هاج حزنك أبك رمد ؟ أم سكبت الدموع لخلو الدار من أهلها ؟

(٥) كأن عينى أى دموع عينى . والفيض : الماء الكثير . والمدرار الغزير .

(٦) الضمير فى تبكى يعود على الخنساء . والعبرى : التى لا تجف دموعها وعبراتها . والوله : شدة الجزع والأستار هنا : الأحجار والتراب يهال على الميت . وقولها من جديد الترب يدل على قرب موته، وهذا يستلزم شدة الجزع .

(٧) ما عمرت : أى مدة عمرها . والمفتار : التى أصابتها فترة أى ضعف .

تبكى خُناسُ على صخرٍ ، وحقّ لها ... إذْ رابَها الدهرُ ، إنَّ الدهرَ ضَرَّار (١)

لا بُدَّ من ميتــةٍ فى صَرْفِها غِيَرُ ... والدهرُ فى صَرفِهِ حَوْلٌ وأطوار (٢)

ياصخــرُ ورَّادَ ماءٍ قــد تَنَــاذَرَهُ ... أهــلُ الموارد ما فى وِرْدِهِ عار (٣)

مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجَاءَ مُضْلِعَةٍ ... له ســلاحانِ أنيَــابٌ وأظفار (٤)

فما عجــولٌ على بوٍّ تُطِيفُ به ... لهــا حنينَانِ إصــغار وإكبار (٥)

ترتَعُ ما رَتَعتْ حتى إذا ادّكَرَتْ ... فإنمــا هى إقبــالٌ وإدبار (٦)

لاتَسمَنُ الدهرَ فى أرضٍ وإن رُبِعَتْ ... فإنمــا هى تَحْنَانٌ وتَسْــجار (٧)

يوما بأوجدَ مــنى يومَ فارقــنى ... صخــرٌ ، وللدهرِ إحلاءٌ وإمرار (٨)

وإنَّ صخــرًا لكافينا وســيدُنا ... وإنَّ صخرًا إذا نشــتو لَنَحَّارُ (٩)

---

(١) رابها الدهر : أى رأت منه ما تكرهه .

(٢) فى صرفها : أى فى حدوثها وتصرفها . وغير الدهر : أحداثه وأحواله . والحول : التحول والتقلب . والأطوار : الأحوال .

(٣) تناذره أهل الموارد : أنذر بعضهم بعضا ، وخوف بعضهم بعضا عاقبة وروده . تقول : وردت حوض المنية وقد خافه كل وارد ، على أنه ليس فى وروده من عار لأنه لا مفرّ منه .

(٤) السبنتى : الجرىء والنمر . والهيجاء : الحرب . والمضلعة : الشديدة .

(٥) العجول من الإبل والنساء : التى يموت ولدها وهو صــغير . والبو : جلد ولد الناقة محشوا يدنى منها فتر أمه والإصغار فى الحنين : خفض الصوت به . والاكبار : رفعه .

(٦) رتعت الناقة رعت ، أى أنها ترعى مادامت ناسية ما أصاب ولدها حتى اذا ذكرته لم يقر لها قرار من شدة الحزن .

(٧) ربعت : أصابها مطر الربيع ، أى تبقى هزيلة على مدى الأيام حتى لو كانت فى أرض معشبة أصابها مطر الربيع لأنها دائما فى حنين . والتسجار : مدّ الصوت بالحنين من سجر يسجر

(٨) بأوجد : خبر ما عجول قبل هذا البيت ببيتين

(٩) نشتو أى ندخل فى الشتاء . وخصصته لأنه زمن الجدب والشدة

وان صخـــرا لمقـــدامٌ إذا ركبوا ... وإنَّ صخـــرا اذا جاعوا لعقـــار (١)

أغرُّ أبلـــج تأتمّ الهـــداة به ... كأنه عَـلَمٌ فى رأســـه نارُ (٢)

جَلْدٌ جميـــلُ المُحيّا كاملٌ وَرِعٌ ... وللحروب غداةَ الرَّوْعِ مِسْـــعار (٣)

حَمّـالُ ألويةٍ هبّـاطُ أَوْدِيةٍ ... شَـــهّادُ أنديةٍ للجيش جـــرّار (٤)

فبتُّ ساهرةً للنجـــمِ أرقبُـــه ... حتى أتى دونَ غَوْرِ النجمِ أستار (٥)

ليبكه مُقْـــتِرٌ أفنَى حَرِيبَتَـــه ... دهرٌ ، وحالَفَـــهُ بؤسٌ وإقتـــار (٦)

ورُفْقَـــةٌ حارَ هاديهـــم بمَهْلكَةٍ ... كأنَّ ظُلمتَهـــا فى الطِّخْيَةِ القـــار (٧)

لا يمنع القـــومَ إن سالوه خِلْعتَه ... ولا يجـــاوزه بالليـــلِ مُرّار (٨)

---

(١) عقر الإبل : نحرها .

(٢) الأغر : الكريم الفعال والشريف . والأبلج : البعيد ما بين الحاجبين ، وهذا مما يمدح به الرجل . والعلم : الجبل . تصفه بأنه هادى الهـداة وأنه فى الشهرة والظهور أو فى هداية الناس إلى الشرف والمجد كالجبل فى قمته نار .

(٣) الجلد : الشـديد القوى . والورع : المجتنب لما لا يعنيـه . وفى رواية ذرع والذرع الحسن العشرة . والروع : الخوف والحرب . ومسعار : أى موقد نار الحرب .

(٤) تصـفه بالشجاعة والسيادة ؛ فهو حامل اللواء فى الحرب ، وهو لا يعتصم بالجبال خوفا ، بل يهبط الوديان للقتال ، ثم انه حكيم راجح الرأى يشهد أندية عقلاء القبيلة وأهل الرأى فيها .

(٥) الغور : غروب النجم وسقوطه ؛ تريد بالنجم الثانى صخرا أى حتى علت ظلمات القبور ، فغيبت صخرا دون أن يبلغ من الحياة أمد أمثاله .

(٦) المقتر : الفقير . والحريبة : ما يعيش الإنسان به من المـال .

(٧) المهلكة : مكان الهلاك . والطخية : الظلمة الشديدة .

(٨) المرار : جمع مار ، أى لو سئل ثوبه ما منعه ، ولا يمر بداره إنسان إلا أضافه .

(٨) قال حسان بن ثابت[(١)] يذكر الحارث بن هشام وهزيمته يوم بدر . وقد حسن إسلامه بعد ذلك واستشهد بأجنادين :

تَبَلَتْ فُؤادَكَ فى المنامِ خَرِيدةٌ   تَسْقِى الضَّجيعَ ببَاردٍ بسَّامِ [(٢)]

* * *

يامَنْ لِعَاذلةٍ تلومُ سَفَاهَةً   ولقد عَصَيْتُ على الهوى لُوَّامى [(٣)]

بكَرَتْ علىَّ بُسْحْرَةٍ بعد الكَرَى   وتَقَارُبٍ من حادث الأَيام [(٤)]

زعمت بأن المرءَ يُكْرِبُ يومَهُ   عُدْمٌ لمعتكر من الأَصرام [(٥)]

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدَّثْتِنِى   فنجَوتِ مَنْجى الحارثِ بنِ هشام

ترَكَ الأحبةَ أن يقاتِلَ عنهمُ   ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولِجام [(٦)]

---

(١) هو أبوالوليد حسان بن ثابت الأنصارى . نشأ جاهليا نابها فى الشعر يمدح المناذرة والغساسنة ، وقد أسلم مع الأنصار بعد الهجرة ، وصار شاعر الرسول . محببا اليه والى خلفائه حتى مات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ . ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر بنفسه وبقومه . ويختلف أسلوبه الإسلامى عن الجاهلى بتأثير البيئة الجديدة فصار سهلا مألوفا بعد أن كان وعرا غريب الألفاظ

(٢) تبله الحب : ذهب بعقله وأسقمه . والخريدة : المرأة الحيية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت المستترة . والضجيع : المضاجع . والبارد البسام : الفم العذب كثير الابتسام .

(٣) أى من يسعدنى لدفع عاذلة . والسفاهة : الجهل ، مصدر سفه .

(٤) بكر يبكر الى الشىء : عجل . والسحرة : قبيل الصبح . ويريد بالتقارب من حادث الأيام : الكبر والقرب من الموت .

(٥) يكرب : يدنى . والمعتكر : الجيش اذا اختلط رجاله . والأصرام : جمع صرم ، وهو : الصف والجماعة . يقول : إن العاذلة تدعى أن فناء قوم الرجل وأهله يدنى أجله ؛ فهى تنفره من الحرب وخوض غمارها .

(٦) الطمرّة : الفرس الجواد المستعد للوثب ، أى نجا مسرعا بفرسه متشبثا برأسها ولجامها فرارا من هول الحرب .

تَــذَرُ العَنَاجِيجَ الجِيــادَ بِقَفْــرَةٍ مَرَّ الدَّمُــوكِ بِمُحْصَــدٍ ورِجامِ (١)

مَلأَتْ به الفَرْجَيْنِ فارْمَــدَّتْ به وثَوى أَجِنَّتُــه بشَــرِّ مُقَــامِ (٢)

وبنو أبيه ورهطُه فى مَعْــرَكٍ نَصَــرَ الإلهُ به ذوِى الإســلامِ

طحَنَتْهُمُ — واللهُ يُنْفِذُ أمرَه — حربٌ يُشَبُّ سَعيرُها بضِــرامِ

لــولا الإلهُ وجَريُهــا لتركنَــه جَزَرَ الســباعِ ودُسْنَه بِحَوامِى (٣)

مِن كُلِّ مأسورٍ يَشُدُّ صِفادَه صَــقْرٌ إذا لاقى الكتيبةَ حامى (٤)

ومُجَــدَّلٍ لا يستجيب لدعــوةٍ حــتى تزولَ شــوامخُ الأعلامِ (٥)

بالعــارِ والذلِّ المُبِينِ إذا رأَوْا بيضَ السيوفِ تسوق كلَّ هُمــامِ (٦)

بِيَدَىْ أغــرَّ إذا انْتَمَى لم يُخْــزِهِ نسبُ القِصارِ سَمَيْذَعٍ مِقــدامِ (٧)

بِيضٌ إذا لاقتْ حديدًا أصمتَتْ كالبرقِ تحتَ ظِلالِ كُلِّ غَمــامِ (٨)

---

(١) العناجيج: جياد الخيل. الدموك: البكرة يستقى بها على البئر، والمحصد: حبل شديد الفتل، والرجام: حجر يربط فى الدلو ليكون أسرع لها عند إدلائها.

(٢) ملأت ... الخ: المراد بالفرجين الفضاء بين يديها ورجليها. وأرمدت: صارت بلون الرماد لكثرة ما أصابها من غبار. ثوى: أقام.

(٣) الضمير فى تركنه للخيل، وجزر السباع: أى طعمتها ويريد بالحوامى سنابك الخيل.

(٤) صقر: فاعل يشد، وفيه تشبيه الرجل الشجاع بالصقر. والصفاد: ما يوثق به الأسير.

(٥) جدّله صرعه على الجدالة: وهى الأرض ذات الرمل الرقيــق أو عام. يقول إن هــذا المجدل فارق الحياة، فلا يستجيب لمن يدعوه حتى تزول الجبال.

(٦) بالعار: متعلق بمحذوف أى يشعرون.

(٧) الأغر: الكريم الفعــال والشريف. ونسب القصار أى نسب قصار النسب، يقــولون فلان قصير النسب أى أبوه معروف إذا ذكره الابن كفاه عن ذكر الجد. والسميذع: السيد الكريم الشريف السخىّ الموطأ الأكناف والشجاع والرجل الخفيف فى حاجته. بيدى متعلق بمحذوف حال من بيض.

(٨) بيض: خبر لمبتدأ محذوف أى سلاحه بيض، وأصمتت بمعنى أسكتت لشدة هولها. ثم شبهها فى لمعانها بالبرق فى ظلمة الغمام.

وقال يمدح عمراً بن الحارث الغسانى وقومه :

أسألتَ رَسْمَ الدار أَمْ لم تسأَلِ ... بين الجَوابِى فالبُضَيْعِ فحَوْمَلِ (١)

فالمرجِ مَرْجِ الصُّفَّرَيْنِ فجاسمٍ ... فديار سلمى دُرَّسًا ، لَمْ تُحْلَلِ (٢)

دِمَنٌ تعاقبُها الرِّيَاحُ دوارسٌ ... والمُدْجِنَاتُ من السِّماكِ الأَعْزَلِ (٣)

دارٌ لقومٍ قد أراهم مَرَّةً ... فوق الأعزةِ عِزُّهم لم يُنْقَلِ

لله درُّ عصابةٍ نادمتُهم ... يوما بجِلَّقَ فى الزمانِ الأوّلِ (٤)

يَمْشُون فى الحُلَلِ المضاعِفِ نسجُها ... مَشْىَ الجِمالِ إلى الجِمالِ البُزَّلِ (٥)

الضاربون الكبشَ يَبْرُق بَيْضُهُ ... ضَرْبا يَطيحُ له بَنانُ المَفْصِلِ (٦)

والخالطون فقيرَهُمْ بغنيِّهِمْ ... والمنعِمون على الضعيفِ المُرْمِلِ (٧)

أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهِم ... قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ

---

(١) رسم الدار : بقية آثارها . والجوابى والبضيع وحومل : مواضع .

(٢) مرج صفر وجاسم : موضعان بالشام . ودرسا : جمع دارسة ، وهى البالية . لم تحلل أى لم ينزل أحد بها .

(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الدار . وتعاقبها الرياح أى تهب عليها آنا فآنا . ودوارس : جمع دارسة . والمدجنات : السحب الكثيرة الأمطار .

(٤) جلق : دمشق .

(٥) الحلل : الدروع ، والمضاعف نسجها : التى نسجت حلقتين حلقتين . والبزل : جمع بازل ، وهو ما برزت نابه من الإبل ، وذلك عند ما يبلغ التاسعة .

(٦) الكبش : سيد القوم وقائدهم . والبيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة تلبس على الرأس . وقصد بقوله (ضربا يطيح له بنان المفصل) أن الضرب سريع والسيف حاد حتى أنه يقطع أجزاء الجسم الصغيرة فى سرعة .

(٧) المرمل : الذى فنى زاده والتصق بالرمل . يصفهم بالجود والرفق والتواضع .

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ (١)

يَسقُونَ دِرْياقَ الرحيقِ ، ولم تكن ... تُدْعَى ولائدهم لنَقْفِ الحَنْظَلِ (٢)

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأُنوفِ من الطِرازِ الأوَّلِ

فَلَبِثْتُ أزْمَانًا طويلًا فيهمُ ... ثم ادَّرَكْتُ كأنني لم أفعلِ (٣)

إِمَّا تَرَىْ رَأْسِي تَغَيَّرَ لونُهُ ... شَمَطًا ، فأصبح كالثَّغامِ المُحْوِلِ (٤)

ولقد يراني مُوعِدِيَّ كأنني ... في قصرِ دُومَةَ أو سواءِ الهَيْكَلِ (٥)

ولقد شرِبْتُ الخمرَ في حانوتها ... صَهْبَاءَ صافيةً كطعمِ الفُلْفُلِ (٦)

يسعى عليَّ بكأسِها مُتَنَطِّفٌ ... فيُعِلُّنِي منها ، ولو لم أُنْهَلِ (٧)

---

(١) البريص : موضع بدمشق . وبردى : نهر دمشق الأعظم . وصفق الرجل الشراب : حوله ممزوجا من إناء الى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها . والسلسل : العذب البارد ، أى أنهم يسقون من وفد عليهم ماء من النهر ممزوجا بالخمر العذب البارد المصفى .

(٢) الدرياق : لغة فى الترياق وهو الخمر . والولائد : جمع وليدة ، وهى الصبية أو الأمة . نقف الحنظل : شقه . ويكنى بأن إماءهم لا تشق الحنظل ليسارهم ولأنهم فى خصب .

(٣) طويلا . صفة لمفعول مطلق أى لبثا طويلا . وادركت : أى امتنعت عن اللهو بتاتا .

(٤) إما : إن الشرطية المدغمة فى ما . والشمط : بياض الشعر يخالط سواده . والثغام : نبت يبيض ورقه إذا يبس وجواب الشرط محذوف أى فلا تجزعى .

(٥) أوعده : أنذره بالشر . وأصل موعدى موعدوى ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء . وقصر دومة : حصن . والهيكل : بيت لعبادة النصارى . يقصد أن أعداءه يرونه بعيدا عن أن ينالوه حتى كأنه فى الحصن .

(٦) الحانوت : الحانة .

(٧) المتنطف : لابس القرط . وأعله : سقاه ثانية . والنهل : من الأضداد يقع على الرى والعطش ، أى يسقينى ثانية ، ولو لم أظمأ .

إن التى ناولتنِى فرددتُها ... قُتِلَتْ ـ قُتِلْتَ ـ فهاتِها لم تُقْتَل (١)

كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطنى ... بزجاجةٍ أرخاهما للمَفْصِل (٢)

بزجاجةٍ رقصت بما فى قعرِها ... رقْصَ القَلوصِ براكبٍ مستعجل (٣)

نَسبى أصيلٌ فى الكرام ومِذْوَدِى ... تَكْوِى مواسمُه جُنُوبَ المُصطَلى (٤)

ولقد تُقَلِّدُنا العشيرةُ أمرَها ... ونسودُ يومَ النائباتِ ونَعْتَلى

ويسودُ سيِّدُنا جَحاجحَ سادةً ... ويُصيب قائلُنا سواءَ المَفْصِل (٥)

ونُحاولُ الأمرَ المهمَّ خَطابةً ... فيهم، ونفصِل كلَّ أمرٍ مُعْضِل (٦)

وتزورُ أبوابَ الملوكِ ركابُنا ... ومتى نُحَكَّمْ فى البريَّةِ نعدل

وقال يوم فتح مكة :

عفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِواءُ ... إلى عذراءَ منزِلُها خَلاءُ (٧)

دِيارٌ مِنْ بَنى الحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيها الروامِسُ والسماءُ (٨)

وكانتْ لا يزالُ بها أنيسٌ ... خِلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وشاءُ (٩)

---

(١) قتل الشراب : مزجه بالماء ، وقتلت دعاء على الساقى ولم يقصد به الشر هنا .

(٢) كلتاهما : أى الخمر الصرف والممزوجة . فاسقنى أشدهما إرخاء للفاصل ، وهى الخمر الصرف .

(٣) معنى رقص الكأس بما فى قعرها : صعود الفقاقيع من أسفل الى أعلى لشدة ثوران الخمر فيها . والقلوص : الناقة .

(٤) المذود : اللسان . والمواسم : جمع ميسم ، وهو آلة يكوى بها . والمصطلى : المستدفئ . والكلام على التشبيه أى أن لسانه يشبه المكواة التى تكوى من تصيبه .

(٥) سيد جحجاح : مسارع فى المكارم . سواء : وسط . المفصل كمسجد : كل ملتق عظمين فى الجسد . يريد أنه يصيب شاكلة الصواب .

(٦) المهم : المشكل .

(٧) ذات الأصابع والجواء وعذراء مواضع بالشام .

(٨) الروامس : الرياح التى تدفن الآثار ، والمراد بالسماء الأمطار .

(٩) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل .

فدع هَذا ، ولَكِنْ مَن لِطيف   يؤرّقنى إذَا ذَهب العَشاء ؟(١)

*
* *

عدِمْنا خيلَنا إن لم تَرَوْها   تُثيرُ النَّقْعَ موعِدُها كَداء (٢)

يُبارِين الأسِنةَ مُصْغياتٍ   على أكتافِها الأَسَلُ الظِّماء (٣)

تَظَلُّ جِيادُنا مُتَمطِّراتٍ   تُلطِّمهُن بالخُمُرِ النساء (٤)

فإمّا تُعْرضوا عنا اعتمرْنا   وكان الفتحُ وانكشف الغِطاء (٥)

وإلّا فاصبروا لجِلاد يومٍ   يُعِزُّ اللهُ فيه مَنْ يَشاء

وقال اللهُ : قد يسّرتُ جُنْدًا   هم الأنصارُ عُرْضَتُها اللقاء (٦)

لنا فى كل يوم من مَعَدٍّ   قِتالٌ أو سِباب أو هِجاء

فَنَحكُم بالقَوافى مَن هَجانا   ونَضرِبُ حين تختلطُ الدماء (٧)

---

(١) العشاء من المغرب الى العتمة ، والمعنى دع الحديث فى الأطلال ، وأرشدنى الى من يدفع عنى طيف الخيال الذى يؤرقنى إذا اشتد ظلام الليل .

(٢) كداء : ثنية بالقرب من مكة ، وجملة عدمنا : دعائية .

(٣) المباراة : المسابقة . والأسنة : جمع سنان ، وهو حديد الرمح ، والأسل : الرماح ، أى أن الخيل تسابق الأسنة التى يضعها الفرسان حذاء عنقها ظنا منها أن الأسنة تجرى معها شوطا ، ومصغيات : حال من الأسنة أى مائلات للطعن ، وظمأ الرماح : شدة شغفها بالدم والقتال .

(٤) تمطرت الخيل : جاءت يسبق بعضها بعضا ، ولطمه : ضربه ، والخمر : جمع خمار ، وهو الثوب تغطى به المرأة رأسها . أى أن النساء يمسحن بخمرهن على الخيل لما أصابها من الجهد . ولما غشيها من عرق وغبار .

(٥) فإما : أصلها إن ما ، وهى إن الشرطية المدغمة فى ما الزائدة ، واعتمرنا : أدينا العمرة وهى زيارة البيت الحرام ، أى إن أعرضتم عنا تركنا الحرب وزرنا البيت وتم فتح مكة بلا قتال .

(٦) عرضتها : أى همها وقوتها ، أى أن الأنصار قوتها فى اللقاء والقتال

(٧) حكم الفرس : جعل للجامه حكمة ، فأخضعه ، أى نخضع بشعرنا من هجانا ، ونقاتل بشجاعة حينا تختلط دماؤنا بدماء أعدائنا ، فنحن أقوياء اللسان والقلب .

وقالَ اللهُ : قد أرسلتُ عبدًا ... لحقّ القولَ إن نفع البَلاء (١)

شهِدتُ به ، وقومى صدّقوه ، ... فقُلتم : ما نُجيب ، وما نشاء

وجبريلٌ أمينُ اللهِ فينا ، ... وروحُ القُدْسِ ليس له كِفاء (٢)

ألَا أبلغ أبا سُفيانَ عَنّى ... فأنت مُجَوَّفٌ نَخْبٌ هَواء (٣)

بأن سيوفَنا تركتك عبدًا ... وعبدُ الدارِ سادتُها الإماء

هجوتَ محمدا ، فأجبتُ عنه ... وعند اللهِ فى ذاك الجزاء

أتهجوهُ ، ولستَ له بكفء ... فشرُّكما لخيركما الفِداء

فمن يهجو رسولَ اللهِ منكم ... ويمدَحُه وينصُره سَواء

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى ... لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاء

(٩) قال الحُطَيئة : (٤)

وَطَاوِى ثَلاثٍ عَاصِبِ البَطنِ مُرْمِلٍ ... ببَيْداءَ لم يَعرِفْ بهَا سَاكِنٌ رَسْمَا (٥)

أَخى جَفْوةٍ فيهِ مِنَ الإنس وَحشةٌ ... يَرَى البؤْسَ فيها من شَراسَتِه نُعْمَى (٦)

---

(١) البلاء : الاختبار مصدر بلاه يبلوه .

(٢) الكفاء : أى المكافئ أى المساوى .

(٣) المجوّف : من لا قلب له ، والنخب : الجبان ، والهواء : الفارغ .

(٤) أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى ، نشأ معلول النسب قبيح الصورة ناقما على الناس هجاء ، وهو جيد الشعر مستوى الأسلوب يعدّ سيد المخضرمين فى الناحية الفنية وغلب عليه المدح والهجاء حتى مات سنة ٥٩ هـ .

(٥) الطاوى : الجائع . ثلاث أى ليال ثلاث . عاصب البطن : معصوب به من شدّة الجوع . مرمل : فاقد الزاد فقير . بيداء : فلاة . الرسم : العلامة وما كان لاحقا بالأرض من آثار الديار — يذكر رجلا بائسا فى مفازة مقفرة .

(٦) الشراسة : سوء الخلق والحال — يقول : إن سوء الحال بلغ به أن يعدّ البؤس نعمة .

وأفرد في شِعْب عجوزًا إزاءَها ... ثلاثةُ أشباحٍ تخالُهمُ بَهْما(١)

حُفاةٌ عراةٌ ما اغتذَوْا خُبزَ مَلَّةٍ ... ولا عرَفوا للبُرِّ مُذْ خُلِقوا طَعْما(٢)

رأى شَبَحًا وَسْطَ الظَّلامِ فراعَه ... فلمَّا رأى ضَيفًا تَشَمَّرَ واهتَمَّا(٣)

فقال: هيا ربّاه! ضيفٌ ولا قِرًى! ... بحقِّكَ، لا تحرِمْه تا الليلَةَ اللحما(٤)

فقال ابنُه لمَّا رآه بحَيْرةٍ ... أيا أبتِ اذْبَحْنِي! ويَسِّرْ لهم طُعْما

ولا تَعْتذر بالعُدمِ علَّ الذي طرا ... يَظُنُّ لنا مالًا فيُوسِعَنا ذَمّا

فرَوَّى قليلًا، ثم أحجمَ برُهةً، ... وإن هُوَ لم يَذْبَحْ فتاهُ فقد هَمّا

فبينا هُما عَنَّتْ على البُعدِ عانةٌ ... قد انتظمت من خَلفِ مِسْحَلِها نَظْما(٥)

عِطاشًا تُريدُ الماءَ فانسابَ نحْوَها ... على أنَّهُ منها إلى دَمِها أظْما

فأمهلَها حتى تروَّتْ عِطاشُها ... فأرسلَ فيها من كِنانَتِه سَهْما(٦)

فخرَّتْ نحوصٌ ذاتُ جَحشٍ سَمينةٌ ... قد اكتنزتْ لحمًا وقد طبَّقتْ شَحْما(٧)

فيا بِشْرَهُ إذ جَرَّها نحوَ قومِه ... ويا بِشْرَهُم لما رأَوا كَلْمَها يَدْمى(٨)

---

(١) الأشباح : جمع شبح وهو الشخص . البهم : جمع بهمة أولاد البقر والمعز والضأن .

(٢) الملة : رماد التنور الحار وخبزها ما يخبز فيها ، يصف بؤس أهل هذا البيت .

(٣) راعه : أفزعه .

(٤) هيا حرف نداء . القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه. تا الليلة : أى هذه الليلة .

(٥) عنت : ظهرت واعترضت . والعانة : القطيع من حمر الوحش . المسحل : حمار الوحش يقود القطيع أثناء السير الى الماء أو غيره .

(٦) تروت : رويت بمعنى شربت .

(٧) خرت : سقطت صريعة . نحوص : سمينة . اكتنزت : امتلأت . طبقت : تفشت وعمها الشحم .

(٨) الكلم : الجرح .

وباتوا كِراما قد قَضَوا حق ضيفِهم ... وما غَرِموا غُرما ، وقد غَنِموا غُنْما
وبات أبُوهُم من بشاشَته أبًا ... لضيفهُم والأمُّ من بشْرِها أمّا

وقال يمدح بغيض بن عامر :

ألَا طَرَقَتْنا بعد ما هَجَعُوا هِنْدُ ... وقد سِرْنَ خَمْسًا واتْلَأبَّ بنا نَجْدُ (١)
ألَا حبّذا هندٌ وأرْضٌ بها هِنْدُ ... وهندٌ أَتى من دونها النَّأْىُ والبُعْدُ
وهندٌ أَتى من دونها ذو غَوارِبٍ ... يُقَمِّصُ بالبُوصِىِّ مُعْرَوْرِفٌ وَرْد (٢)
وإنَّ التى نَكَّبْتُهَا عن مَعاشِرٍ ... غِضابٍ علىَّ أن صددتُ كما صدُّوا (٣)
أتت آلَ شَمَّاسِ بن لَأْيٍ وإنما ... أَتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ (٤)
فإنّ الشَّقِىَّ من تُعَادِى صدورُهم ... وذو الجَدِّ من لَانُوا إليه ومن وَدُّوا (٥)
يسوسون أحلامًا بعيدًا أناتُها ... وإن غضبوا جاء الحفيظةُ والجِدّ (٦)

(١) يقول : ألا زارنا طيف خيال هند بعد أن هجعت الأعين ، وبعد أن سارت الإبل خمس ليال وظهر لنا نجد .

(٢) من معانى الغارب أنه أعلى كل شىء ، وذو الغوارب : البحر ، لأن أمواجه عالية . وقمص البحر بالسفينة : حركها بموجه والبوصى : ضرب من السفن . والمعرورف : المتراكم الأمواج . والورد : الجرىء أو الأحمر الضارب الى الصفرة . يقول : إن بينى وبين هند بحرا يقذف بالسفن ، متراكم الأمواج .

(٣) نكبتها أى نحيتها وأبعدتها . والضمير للمدحة والمعاشر آل الزبرقان بن بدر أى أن المدحة التى عدلت بها عن قوم غضبوا على لأنى صددت عنهم كما صدّوا عنى .

(٤) جملة أتت خبر إن فى البيت قبله . والأحلام : العقول . والحسب : الشرف . والعدّ : القديم أو الكثير . أى جاء فى هذه المدحة الإشادة بأحلامهم وحسبهم

(٥) نسب العداوة الى الصدور لأنها مكان الغيظ والعداوة والجد : الحظ .

(٦) أى يحكمون الناس إذا رضوا بأحلام بعيدة النظر طويلة التأنى . إذا غضبوا كانوا أهل حفيظة أى غيظ . وجد أى اجتهاد وعجلة .

أقلُّوا عليهم ـ لا أبا لأبيكُمُ ـ ... من اللومِ أو سُدُّوا المكانَ الذى سدُّوا (١)

أولئك قومٌ إن بَنَوا أحسنُوا البُنَى ... وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقَدوا اشدّوا (٢)

وإن كانت النُّعْمَى عليهم جَزَوْا بها ... وإن أَنعَمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا (٣)

وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدهرِ رُدُّوا بعضَ أحلامِكم رَدُّوا (٤)

وإن غاب عن لأيٍ بَغيضٌ كفَتْهُمُ ... نواشئُ لم تَطْرُرْ شوارِبُهم مُرْدُ (٥)

وكيف ولم أَعْلَمْهُمُ خذلوكُمُ ... على مُفْظِعٍ، ولا أديمَكم قَدُّوا (٦)

مطاعينُ فى الهيجا مكاشيفُ للدجَى ... بنى لهمُ آباؤُهم، وبنَى الجَدُّ (٧)

فمن مبلغٌ لأيًا بأن قد سعَى لكم ... إلى السُّورةِ العُليا أخٌ لكمُ جَلْدُ (٨)

---

(١) لا أبا لأبيكم : شتم . والأصل أنهم لا يعرفون لهم آباء ينتسبون اليها عند المفاخرة .

(٢) البِنى أو البُنى بكسر الباء وضمها والأول جمع بنية بكسر الباء . والثانى جمع بنية بضمها ، والمراد أنهم يحسنون عمل المكارم . وإن عقدوا شدّوا أى وإن عقدوا العزيمة أوثقوها أو إن عقدوا على الحرب جدوا .

(٣) أى كدوا من أعطوه بطلب الجزاء على النعمة .

(٤) المولى : ابن العم أو الجار أو الحليف . على جل حادث أى عند الخطب العظيم أى إن استغاث بهم المولى فى شأن أضر به واستشارهم أمدوه بالرأى السديد .

(٥) لأى : عشيرة بغيض بن عامر . ونواشئ : جمع ناشئة يريد بهم فتيان القبيلة . ولم تطرر شوارِبهم : لم تظهر .

(٦) المفظع : الأمر تجاوز الحد فى الشناعة . والأديم هنا : العرض . أى وكيف تعادونهم ولم يخذلوكم فى خطب ملم ، ولم ينالوا من عرضكم .

(٧) مطاعين ومكاشيف : جمع مطعان ومكشاف . والدجى : الليل يريد به ظلمة الخطوب . أى أنهم يكشفون ظلمة الليل بنار قراهم أو يبددون ظلمة الخطوب بشجاعتهم وحسن رأيهم .

(٨) سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . والجلد : القوى ، يتمنى أن يبلغ إنسان لأيا بأن أخاهم سعى للمجد حتى وصل الى قمته العليا .

جرى حين جارى لا يُسارِى عِنانه عِنانٌ ولا يَثْنِى أجارِيَّهُ الجَهْد (١)

رأى مجدَ أقوامٍ أُضِيعَ فخثَّهم على مجدهم لما رأى أنه الجِدّ (٢)

وقد لامنى أفْنَاءُ سعد عليهمُ وما قلتُ إلّا بالذى علمتْ سعد (٣)

وقال يهجو الزِّبْرِقانَ بن بدر :

والله ما معشرٌ لاموا امرءًا جُنُبًا فى آلِ لَأْىِ بن شَمّاسٍ بأكياس (٤)

لقد مَرَيْتُكُمُ لو أن دِرّتكُم يومًا يَجِىءُ بها مَسحِى وإبساسى (٥)

وقد مدحتكُم عمدًا لأرشدَكُمْ كيما يكونُ لكم مَتْحِى وإمْراسى (٦)

وقد نظرتكُمُ إيناءَ صادرةٍ للخِمس طال بها حَوْذِى وتَنْساسى (٧)

(١) لا يسارى عنانه عنان : أى لا يجاريه . والأجارى : جمع إجرية ، وهى : الجرى والجهد والطبيعة ، والكلام على التمثيل أى أنه إذا سابق أحدا فى طريق المجد لم يسبقه أحد ، ولم يقعد به تعب أو لا يترك طبعه مهما يجده .

(٢) أى لما رأى أن المجد انما هو فى الجد والاجتهاد فى الأمور .

(٣) الأفناء جمع فِنْء : الجماعة .

(٤) الجنب هنا : القريب . فى آل لأى أى فى مديح آل لأى . وأكياس : جمع كيس ، وهو اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه .

(٥) أصل المرى : المسح على ضرع الناقة لتدرّ . والإبساس : أن تدعو الناقة باسمها أو تلاطفها لتدرّ . يريد أنه حاول تملقهم كثيرا فلم ينل منهم شيئا .

(٦) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر ليجذب الدلو ، والإمراس : وضع حبل البئر فى البكرة بعد أن انزلق منها . يريد أنه تعمد أن يقصر عليهم جهوده ، ويختصهم بمدحه ليرشدهم إلى ما غاب عنهم من أسباب المجد .

(٧) الإيناء : مصدر أونى بمعنى أتعب ، والصادرة : الآتية من الماء . والخمس من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، والحوذ مصدر حاذ الدابة ساقها سريعا . والتنساس : مصدر نس الناقة من باب نصر وضرب : ساقها وزجرها . يقول انتظرت عطاءكم مجهدا إجهاد ناقة أعياها التعب فهى تساق وتزجر .

لما بدا لىَ منكم عيبُ أنفسِكمْ ... ولم يكن لجراحى منكمُ آسى (١)

أجمعتُ يأسًا مبينًا من نوالكمُ ... ولا ترى طاردًا للحرِّ كالياس

ما كان ذنبُ بغيضٍ أن رأى رجلًا ... ذا فاقة حل فى مستوعِرٍ شاسى (٢)

جارًا لِقوم أطالوا هُونَ منزله ... وغادروه مقيمًا بين أرماس (٣)

ملُّوا قِراه ، وهرَّتهُ كلابُهمُ ... وجرَّحوه بأنيابٍ وأضراس (٤)

لا ذنبَ لى اليوم إن كانت نفوسُكمُ ... كفارِكٍ كرِهتْ ثوبى وإلباسى (٥)

من يفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوازِيَهُ ... لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناس

دع المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتِها ... واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسى (٦)

وابعثْ يسارًا إلى وَفْرٍ مُذَمَّمةٍ ... واحدجْ إليها بذى عَرْكين أنكاس (٧)

ما كان ذنبيَ أنْ فَلَّتْ معاولَكُم ... من آل لأىٍ صفاةٌ أصلُها راسى

---

(١) الآسى : الطبيب . وفى رواية غيب أنفسكم أى ما كان مستورا من بخلكم .

(٢) المستوعر : المكان الوعر . والشاسئ بالهمز وسهل المكان الغليظ المرتفع . أى لم يكن ذنب بغيض عند الزبرقان إلا أنه رأى رجلا فى مكان وعر فاحل فأعانه .

(٣) الهون : المذلة . والأرماس : القبور أى وتركوه كالميت بين أموات القبور .

(٤) هرته الكلاب : نبحته . وهذا كناية عن أنه كان غريبا مضطهدا بينهم . وقوله (جرحوه) يريد أن آل الزبرقان سبوه ونهشوا عرضه .

(٥) الفارك : المرأة تبغض زوجها . أى ليس الذنب ذنبى إذا كنتم تبغضون شعرى أو مقامى فيكم بخلا كما تبغض المرأة زوجها ، وتكره أن ترى ثوبه وأن تلبسه إياه .

(٦) الطاعم : المطعوم . والكاسى : المكسو ، وهذا من أقذع الهجاء لأنه قام بحاجته فأصبح كالمرأة

(٧) يسار : اسم عبد للزبرقان . والوفر : السقاء الكامل لم ينقص من أديمه شىء . والمذممة : يريد بها هنا المملوءة يقال : بئر ذمة أى قليلة الماء أو غزيرته : ضد . وحدج البعير يحدجه : شد عليه الرحل والعرك : انفتاق فى إبط البعير ، والمراد أن هذا هو عملكم دون المكارم .

(١٠) قال الأخطل [(١)] يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيسًا وبنى كُليب من قصيدة أولها :

خَفَّ القَطِينُ فراحُوا مِنكَ أو بَكَرُوا ... وأزعجتهم نَوًى فى صَرفِها غِيَرُ [(٢)]

* * *

فى نَبْعَةٍ مِن قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بها ... مَا إن يُوازَى بأعلَى نَبْتِها الشَّجَرُ [(٣)]

حُشْدٌ عَلَى الحَقِّ، عَنْ قولِ الخَنا خُرُسٌ ... وَإِنْ أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا [(٤)]

فإن تَدجَّتْ عَلَى الآفاقِ مُظْلِمَةٌ ... كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنهَا ومُعْتَصَرُ [(٥)]

أَعطاهُمُ اللهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ ... لَا جَدَّ إلا صَغِيرٌ بعدُ مُحْتَقَرُ [(٦)]

لَمْ يأشَرُوا فِيهِ، إذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ ... وَلَوْ يَكُونُ لِقَومٍ غَيرِهِمْ أَشِرُوا [(٧)]

شُمُسُ العَداوَةِ حَتَّى يُسْتَقادَ لَهُمْ، ... وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلامًا إذا قَدَرُوا [(٨)]

---

(١) هو أبو مالك غياث الأخطل التغلبى. نشأ فى قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر عامة وقيس خاصة. ولما كان متصلا بالخلفاء وبحروب قومه مع قيس صار يجيد مدح الملوك ووصف المعارك، وكذا الخمر لمعاقرته إياها فى وقت أحجم المسلمون فيه عن شربها، وكانت وفاته أول خلافة الوليد.

(٢) خف : أسرع. القطين : القطان، أى السكان والمعاشرون. راح : ذهب فى الرواح أى العشى ضد بكر. أزعجتهم : أقلقتهم — نوى فى صرفها ونوائبها غير وأحداث.

(٣) النبعة هنا : الأصل يعصبون بها : يلزمونها. والحديث عن عبد الملك وقومه.

(٤) حشد : مجتمعون. الخنا : الفحش. ألمت : نزلت. مكروهة : نازلة.

(٥) تدجت : أظلمت. معتصر : ملجأ، أى يستطيعون الخلاص من الأزمات.

(٦) الجد : البخت والإقبال.

(٧) يأشروا : يبطروا ويطغوا. مواليه : أولياء.

(٨) شمس : جمع شموس أى عسر شديد على عدوه — يستقاد لهم أى يذل ويخضع لهم العدو. ...م : جمع حلم وهو الصبر والأناة. قدروا تمكنوا من العدو. والمعنى : أنهم يعفون اذا انتصروا.

لَا يَسْتَقِلُّ ذَوُو الأَضْغَانِ حَرْبَهُمُ ... وَلَا يَبِينُ فِى عِيدَانِهِمْ خَوَرُ(١)

هُمُ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَاحَ إِذَا ... قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى العَافِينَ أَوْ قَتَرُوا(٢)

بَنِى أُمَيَّةَ نُعْمَاكُمْ مُجَلِّلَةٌ ... تَمَّتْ، فَلَا مِنَّةٌ فِيهَا وَلَا كَدَرُ(٣)

بَنِى أُمَيَّةَ إِنِّى نَاصِحٌ لَكُمُ ... فَلَا يَبِيتَنَّ فِيكُمْ آمِنًا زُفَرُ(٤)

وَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّ شَاهِدَهُ ... وَمَا تَغَيَّبَ مِنْ أَخْلَاقِهِ دَعَرُ(٥)

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدُمَتْ ... كَالعُرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ(٦)

بَنِى أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمُ ... أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا، وَهُمْ نَصَرُوا(٧)

حَتَّى أَقَرُّوا، وَهُمْ مِنِّى عَلَى مَضَضٍ، ... وَالقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الإِبَرُ(٨)

---

(١) يستقل : يحتمل . الأضغان : جمع ضغن ، أى حقد — فى عيدانهم أى فى أنفسهم — خور ضعف .

(٢) يبارون الرياح : يسابقونها فى الإسراع الى الكرم . العافون : الذين يطلبون القوت . قتروا : افتقروا ، وقل ما عندهم . يقول : إنهم يسرعون إلى الكرم وقت الإمحال .

(٣) نعماكم : عطاياكم للناس . مجللة : عامة . المنة على الناس : ذكر المعروف الذى أسدى اليهم .

(٤) زفر بن الحارث بن كلاب الكلابى ، وكان زعيم قيس على تغلب وعلى أمية .

(٥) شاهده : ظاهره . دعر : فساد ، أى لا تغتروا بصلحه .

(٦) العر : الجرب . يقول : إن الجرب وإن كمن فى الجسم لا بد أن يظهر ، فكذلك العداوة ، وإن بعد عهدها .

(٧) ناضلت دونكم : دافعت عنكم الأنصار الذين آووا الرسول بعد الهجرة ونصروه . والأخطل هو الذى هجا الأنصار لما دعاه الى ذلك يزيد بن معاوية . واليه ينسب البيت المشهور :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

(٨) أقروا : سكنوا . مضض : وجع . نفذ القول : مضى وجرى ، يشبه الكلام بالإبر فى النفاذ والأثر .

أَفْحَمْتُ عنكُمْ بَنِي النَّجارِ قَـدْ علِمتْ ... عُلْيـا معَـدٍّ، وكانُوا طَالَمَـا هَدَرُوا(١)

وَقَيْس عَيْلانَ حَتَّى أقبلُوا رَقَصًا ... فَبايعُوكَ جِهارًا بعْـدَ مَا كَفَرُوا(٢)

ضَجُّوا مِنَ الحرْبِ إذْ عضَّتْ غوارِبهُمْ ... وَقَيْسُ عَيْـلانَ مِن أخْلاقِهَا الضَّجَرُ(٣)

فَلا هَـدَى اللهُ قَيْسًا مِن ضَلالَتِها ... ولَا لَعًا لِبَنِي ذَكْوَانَ إذْ عَثَرُوا(٤)

مَا إنْ سَعى مِنْهُمُ سَاعٍ لِيُدْرِكَنَا ... إلَّا تَقَـاصَر عَنَّـا وهُـوَ مُنْبَهِـرُ(٥)

وَلم يزَلْ بِسُـلَيم أمرُ جاهِلِـها ... حَتَّى تَعايَا بِهَـا الإيرادُ والصَّـدَرُ(٦)

حَتَّى أَصابَ سُـلَيْمًا من عَداوتِنَا ... إحْدَى الدواهِي التي تُخشَى وتُنْتَظَـر

كَانُوا ذَوِى إِمَّـةٍ حَتَّى إذا علِقتْ ... بِهِـمْ حَبَائِلُ للشَّيطَانِ وابتَهَروا(٧)

صُـكُّوا على شَارِفٍ صَعْبٍ مَرَاكِبُهَا ... حَصَّـاءَ لَيسَ لَهَـا هُلْبٌ وَلَا وَبَرُ(٨)

---

(١) أفحمت : أسكت . بنو النجار : أخوال الرسول من الأنصار، منهم أم عبد المطلب . معد : جد النزارية . هدروا : افتخروا عليكم وهجوكم، يقال هدر البعير إذا ردد صوته فى حنجرته .

(٢) قيس عيلان كانت مع ابن الزبير لما خرج على الأمويين بعد معاوية وقتل فى عهد عبد الملك . رقصا مسرعين . كفروا خرجوا عليك .

(٣) غوارب : جمع غارب وهو للبعير ما بين السنام والعنق (المعنى) أن الحرب آلمتهم .

(٤) لا لعا لهم : لا أقالهم الله . يقال للعاثر دعاء عليه . و يقال لعا له أى أقال الله عثرته دعاء له . بنو ذكوان : قبيلة من سليم رهط عمير بن الحباب والجحاف السلميين ، وكانا قد خرجا على بنى أميـة، وحاربا تغلب قبيلة الأخطل .

(٥) تقاصر : قصر وتأخر . انبهر الرجل : انقطع نفسه من الإعياء .

(٦) سليم قبيلة عمير بن الحباب وهو المقصود هنا بقوله « جاهلها » . تعايا بها : أعجزها . الإيراد : من ورود الماء والصدر عن الماء — يعنى أعجزها تدبير الأمور .

(٧) الإمة : النعمة — علقت بهم الخ : ضلوا . ابتهروا : افتخروا بما ليس فيهم .

(٨) صكوا على شارف ، أى حملوا على خطة . الناقة الشارف : الكبيرة المسنة . حصاء : لا وبر لها . الهلب : شعر الذنب .

فأصبحت منهم سنجارُ خاليةً والمحلبيّات فالخابورُ فالسررُ[١]

كرّوا إلى حرّتيهم يعمرونهما كما تكرّ إلى أوطانها البقرُ[٢]

إذ ينظرون وهم يجنون حنظلهم إلى الفرات . فقلنا : بُعدَ ما نظروا[٣]

ولا يلاقون فرّاصا إلى نسب حتى يلاقي جدى الفرقد القمرُ[٤]

ولا الضّباب إذا اخضرّت عيونهم ولا عُصيّة إلا أنّهم بشرُ[٥]

أمّا كليبُ بنُ يربوعٍ فليس لهم عند التفارط إيرادٌ ولا صدرُ[٦]

وقد نُصِرتَ أميرَ المؤمنين بنا لما أتاك ببطن الغوطة الخبرُ[٧]

يعرفونك رأس ابن الحُباب، وقد أضحى وللسيف فى خيشومه أثرُ[٨]

---

(١) سنجار : قصبة كورة الفرج من تل أعفر . المحلبيات : بلدة صغيرة بين الموصل وسنجار . الخابور : اسم نهر وواد . السرر : أرض بالجزيرة كسائر المواضع المذكورة .

(٢) الحرة : موضع فيه حجارة سود نخرة كأنما أحرقتها النار وحرتهم بعالية نجد . كروا : رجعوا .

(٣) الحنظل : نبت مر . يقول : طمعوا فينا ، و يابعد ما نظروا . وكانت تغلب قبيلة الأخطل تقيم بالجزيرة فى حوض الفرات .

(٤) فراص بن معن بن سعد بن قيس من باهلة و بنو فراص ينتسبون الى تغلب — جدى الفرقد نجم الى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة ، ولا يلتقى مع القمر . يقول إنهم قصروا عن نسب هؤلاء ، ولا يشبهونهم إلا فى أنهم بشر .

(٥) الضباب من قيس عيلان ، عصية بطن من سليم ، اخضرت : اسودت .

(٦) كليب بن يربوع : رهط جرير . التفارط : التقدّم فى طلب الماء . (المعنى) ليس لهم نصيب فى السبق الى المحامد .

(٧) الغوطة : الكورة التى منها دمشق وهى احدى منازه الدنيا الأربع : الصغد والأبلة وشعب بوان والغوطة . وكانت دمشق عاصمة بنى أمية — وكان رهط الأخطل مع الخليفة فى الحروب الداخلية .

(٨) ابن الحباب هو عمير بن الحباب السلمى ، وقد قتل وحمل رأسه إلى قبائل غسان ، وكان يزدريهم . الخيشوم : أقصى الأنف .

وقال يفضل الفرزدق على جرير :

بَكَرَ العواذلُ يَبْتَدِرْنَ مَلامَتى ... والعالِمُون فكلُّهم يلحانى[١]

فى أن سقيت بشربة مَقْذِيَّةٍ ... صِرْفٍ مُشَعْشَعَةٍ بماء شُنَانِ[٢]

فَظَلِلْتُ أَسْقِى صَاحِبِى من بردِهَا ... عَمْدا لِأَرْوِيَه كما أَروانى

وذَكَرْتُ ـ إذجَرَتِ الشمالُ وهيَّجَتْ ... شوقا لنا ـ رَيَّا وأُمَّ أَبَانِ[٣]

والحارثيَّةَ، إننى مُهْدٍ لها ... مِدَحًا يُشَبُّ بِهِنَّ كلَّ مَكَانِ[٤]

لاقَيْتُهُنَّ بمجمَعٍ فأرَيْنَنِى ... صُوَرَ المها بزخارف البُنْيَانِ[٥]

ونُحُورُهُنَّ دَيَاسِقٌ من فضةٍ ... ونواهِدٌ كنواعم الرُّمَّانِ[٦]

ومُرَمَّلُ الحِنَّاءِ يُصبحُ قانئًا ... كدم الذبيح ـ بأَرْوُحٍ وبَنَانِ[٧]

يَنْظُرْنَ من خَلَلِ السُّتُورِ بأَعْيُنٍ ... نُجْلٍ يُمِتْنَ العاشقين حسانِ[٨]

نظرا مخالَسَةً وهنّ صَوائدٌ ... بخدورهن وأحسن الألوانِ[٩]

وإذا رأيْنَ الشَّيْبَ لم يَقْرَبْنَهُ ... والغانياتُ عن الكبير غوانى

يَقْطَعْنَ منه حبلَ كُلِّ مَوَدَّةٍ ... جهلًا، وهن إلى الشَّبَاب رَوَانى[١٠]

---

(١) العواذل : جمع عاذلة ، اللائمة . يبتدرن ملامتى : يسرعن إلى لومى . يلحانى : يعيبنى .

(٢) مقذية : نظيفة ليس فيها قذى . صرف : نقية جيدة . مشعشعة : ممزوجة . شنان : ماء بارد ، وواد بالشام .

(٣) ذكرت : تذكرت . الشمال : ريح تهب بين الشرق وبنات نعش . ريا وأم أبان : علمان لامرأتين أى ذكرت هؤلاء النسوة حين هبت الشمال .

(٤) يشب الخ : يذكرن فى كل مكان .

(٥) المها : جمع مهاة ، البقرة الوحشية ، تشبه بها المرأة فى جمال العينين . الصورة : الشكل . يعنى أنهن يشبهن الصور التى تزين بها الأبنية .

(٦) نحور جمع نحر : أعلى الصدر . دياسق : جمع ديسق ، وهو الصحن من الفضة ، يشبه نحورهن بالفضة صفاء وصقلا .

(٧) مرمل الحناء : يقصد الحناء المرمل أى المزينة به المرأة يديها ورجليها . قانئا : شديد الحمرة . أروح : جمع راحة وهى باطن الكف دون الأصابع . البنان : أطراف الأصابع . المفرد بنانة . والمراد : أروحهن وبنانهن .

(٨) خلل : جمع خلة ، الثقبة . نجل : جمع نجلاء ، الواسعة العين الحسنة .

(٩) مخالسة : مسروقا بسرعة وختل . الخدور : جمع خدر الستر أو البيت .

(١٠) الجهل هنا : الجفاء . روانى : دائمات النظر ، المفرد رانية .

إنى أُديمُ لذى الصفاءِ مَوَدَّتِى ... وإذا تغيّرَ كنتُ ذا أَلْوَانِ (١)

وأصُدُّ عن صَرْمِ الصديق تكرُّمًا ... حِينًا ، وما دهرى له بِهَوانِ (٢)

وأفارقُ الخُلّانَ عن غيرِ القِلَى ... وأُميتُ عندى السِّرَّ بالكِتمانِ (٣)

ولقد غدوتُ على القَنيص بنَهْدَةٍ ... عندَ البَدِيهةِ سَهْوَةِ القَذَفانِ (٤)

تَنْقَضُّ فى أَثَرِ الأوابدِ مِثلَ ما ... تَنْقَضُّ كاسِرةٌ من العِقبانِ (٥)

* * *

مَا بَالُ قومٍ لا تَغِبُّ أذاتُهم ... قُعْسِ الظُّهورِ منَ الحَبين بِطانِ (٦)

هم هيّجوا حَرْبى ومَا لَهُمُ بها ... لو واجَهْتهم باللقاء يَدانِ (٧)

حَرْبَ امرئٍ ما إنْ تَرِثُّ سِلاحُه ... أبدًا ولا يَغْتَرُّ بالحَدَثانِ (٨)

قَبَحَ الإلهُ بنى كُلَيْبٍ إنّهم ... لا يحفظون محارمَ الجيرانِ (٩)

---

(١) كنت ذا ألوان : أى تغيرت له كما تغير .

(٢) صرم : قطيعة وهجر . يقول : ماهى هوانه .

(٣) الخلان : جمع خليل ، الصديق . القلى : البغض . أميت السر : لا أبديه فكأنه ميت .

(٤) غدوت : بكرت . القنيص : المصيد . نهدة : فرس حسن جسيم . عند البديهة للجرى حين تفجؤها به . السهوة : المواتية . القذفان : سرعة الركض . يصف فرس الصيد .

(٥) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . كاسرة : منقضة . العقبان : جمع عقاب بضم العين ، طا من الجوارح .

(٦) ما بالهم : أى ما حالهم وما حصل لهم . لاتغب : لا تنقطع . قعس الظهور : مفرده أقعس ، وهو من خرج صدره ودخل ظهره ، ضدّ الأحدب . الحبين : وجع فى البطن . بطان : عظام البطون ، المفرد بطن وبطين . بطان صفة لقوم (جرير) .

(٧) ما لهم بها يدان : أى ليست لهم عليها قدرة . اللقاء : الحرب .

(٨) ترث : تبلى . الحدثان : النوائب . لا يغتر بالحدثان : لا تأخذه النوائب على غرة لاستعداده لها دائما .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . محارم : جمع محرم ، ما لا يحل انتهاكه .

وإذا تُنُودِبَ للمكارم والعُلا ... لم يُنْدَبُوا لترادف الأعوان (١)

أجرير إنك والذى تسموله ... كأَسيفَةٍ فخرت بحِدْجِ حَصان (٢)

حملت لربَّتها فلمَّا عُولِيَتْ ... نسلت تُعارضها مع الأظعان (٣)

أتَعُدُّ مأثُرَةً لغيرك فخرها ... وسناؤها فى سالف الأزمان (٤)

تاجُ الملوك وفخرهُمْ فى دارمٍ ... أيامَ يَرْبوعٌ مع الرُّعيان (٥)

مُتَلَفِّفٌ فى بُردة حَبَقِيَّةٍ ... بفناء بيتِ مذلَّةٍ وهَوان (٦)

يَغْذُو بنيه بثَلَّةٍ مَذْمُومَةٍ ... ويكون أكبرَ همِّه رِبْقانِ (٧)

سَبَقُوا أَبَاكَ بكلِّ مَجْمَعِ تَلْعَةٍ ... بالمجد عندَ مواقف الركبان (٨)

إخسأ كُليبُ، إليك، إنّ مُجَاشِعًا ... وأبا الفوارس نَهْشَلًا أخوان (٩)

قومٌ إذا خَطَرتْ عليكَ قُرُومُهُمْ ... طرحوك بين كلاكل وجِران (١٠)

---

(١) تنودب : ندب الناس ودعوا . الترادف هنا : التعاون . يقول : لا يصلحون للمكارم والمعالى .

(٢) تسموله : تتعلق به من مفاخر ليست لك . الأسيفة : الأمة . الحدج : مركب النساء على البعير كالهودج . الحصان هنا : الحرّة ضدّ الأمة . يقول ان فخرك بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها .

(٣) أى حملت حدج سيدتها . عوليت : علت الحدج . نسلت : أسرعت . تعارضها أى تعدو حيالها الأظعان : النساء فى الهودج .

(٤) مأثرة : محمدة ومفخرة . السناء : الشرف . سالف الأزمان : ماضيها . يقول له : تفخر بمآثر مضر وأنت من فخذ حقير هو يربوع لا مجد له .

(٥) دارم : رهط الفرزدق ، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر . الرعيان جمع راع : من يقوم على الماشية يخدمها .

(٦) حبقية : نسبة الى صانع أو الى نوع من الغنم .

(٧) الثلة : الصوف أو جماعة الغنم . الربقان مثنى ربق : حبل يشدّ فى عنق البهم .

(٨) التلعة : ما علا من الأرض . عند مواقف الركبان : أى عند المفاخرة والتحاكم .

(٩) اخسأ : ابتعد محتقرا . اليك : تنح وابعد . مجاشع : قبيلة الفرزدق . نهشل : قبيلة من تميم كمجاشع .

(١٠) خطر الجمل بذنبه : رفعه مرة بعد أخرى . القروم : الفحول والأماجد جمع قرم . والكلاكل : جمع كلكل وهو الصدر . والجران : صفحة العنق . يقول : إن رجالهم يعلون عليك مفاخرة .

(١١) وقال الفرزدق[1] يذكر تفضيلَ الاخطل إياه على الشعراء ويمدح بنى تغلب ويهجو جريرا :

يابنَ المراغَةِ والهجاءُ إذا التقتْ ... أعناقُهُ وتماحَك الخَصْمانِ (٢)

يا بن المراغَةِ انَّ تَغلِبَ وَائِلٍ ... رفعوا عَنَانِى فوق كُلِّ عَنانِ (٣)

كان الهُذَيلُ يقود كُلَّ طِمِرَّةٍ ... دهماءَ مُقرَبَةٍ وكلَّ حِصانِ (٤)

يَصْهَلْنَ بالنظرَ البعيدِ كأنّما ... إرْنانُها بِبَوائنِ الأشطانِ (٥)

يَقْطَعْن كُلَّ مدًى بَعيدٍ غَوْلُه ... خَبَبَ السِّباعِ يُقَدْنَ بالأرسَانِ (٦)

---

(١) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمى الدارمى أحد فحول الشعراء الأمويين . نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر و يعالجه حتى نبغ فيه ، واتصل بولاة العراق يمدحهم و يهجوهم ، ورحل الى دمشق يمدح الخلفاء و ينال جوائزهم . وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لعصرهما ولكثير من أيام العرب وأحوالهم فى الجاهلية والإسلام . و يمتاز شعر الفرزدق بخشونة الألفاظ ووعورة المعانى والميل الى الفخر فى هجائه والفحش فى غزله وقد مات سنة ١١٤ هـ .

(٢) ابن المراغة : جرير . خبر الهجاء : متعلق إذا . أى حاصل وذائع إذا ... الخ أعناقه : جماعته أى يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض . تماحك : تخاصم وتمارى .

(٣) تغلب من ربيعة : قوم الأخطل . العنان بالكسر : سير اللجام ، وبالفتح : الجانب وهو الأنسب هنا .

(٤) أى الهذيل بن هبيرة . الطمرة : الفرس الطويلة السريعة . الدهماء : السوداء . مقربة أى قريبة اليهم لكرمها وسرعتها يعمدون اليها حين الفزع .

(٥) الصهيل : صوت الخيل . الإرنان : التصويت . البوائن : الآبار المفرد بيون وهى البئر التى يصيب حبلها نواحيها . الأشطان جمع شطن : الحبل . يقول : كأنها تصهل من آبار بوائن لسعة أجوافها ومعنى يصهلن بالنظر البعيد أنها تصهل إذا رأت شبحا من بعد لحدة نظرها ونشاطها .

(٦) كل مدى : كل غاية بعيدة . غوله : بعده . الخبب للفرس : عدو فيه يقوم على رجليه تارة وعلى يديه أخرى . الأرسان جمع رسن : الحبل ، يشبه الخيل بالسباع فى العدو .

وكأنّ راياتِ الهُـذَيْلِ إذا بَدَتْ ... فوقَ الخَميس كواسِرُ العِقبانِ (١)

وَرَدُوا إرابَ بجحفلٍ من وائلٍ ... لَجِبِ العشىِّ ضُبارِمِ الأركانِ (٢)

وَيبيتُ فيه منَ المخافةِ عائذا ... أَلْفٌ عليهِ قوانسُ الأبدانِ (٣)

تَرَكُوا لِتَغْلِبَ إذ رأوا أرماحَهُم ... بِإرابَ كُلَّ لئيمةٍ مِدرانِ (٤)

تُدْمِي — وتَغْلِب يمنعونَ بَناتِهم — ... أقدامَهُن حِجارةُ الصَّوّانِ (٥)

يَمْشِين فى أَثَرِ الهُذَيْلِ وتارةً ... يُرْدَفْنَ خلفَ أواخرِ الركبانِ (٦)

لولا أناتُهمُ وَفَضْلُ حُلُومِهِمْ ... بَاعُوا أباكَ بِأَوْكَسِ الأثمانِ (٧)

وَالحَوْفَزَانُ أميرُهُمْ مُتَضَائِلٌ ... فى جَمْعِ تَغْلِبَ ضَاربٌ بِجِرَانِ (٨)

(١) الخميس : الجيش الضخم . كواسر العقبان : أى المنقضة من العقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح وهذا وصف لاسراع الخيل .

(٢) إراب : موضع ، وهو يوم بين بنى يربوع و بكر بن وائل يقودهم الهذيل هذا . الجحفل : الجيش الكثير الخيل . لجب العشى : كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعلف فالأصوات كثيرة . الضبارم : الغليظ . الأركان : النواحى ، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة .

(٣) عائذا : محتميا . القوانس : أعالى البيض من الحديد ، المفرد : قونس . الأبدان : الدروع غير السوابغ . يقول : يعتاذ بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون .

(٤) مدران : كثيرة الوسخ . أى خلوا نساءهم وهربوا .

(٥) تدمى : تسيل دمها ، والفاعل حجارة ، وأقدامهن مفعوله . وذلك لأنهن يسقن حفاة .

(٦) يردفن : الردف الراكب خلف الراكب .

(٧) أوكس : أبخس .

(٨) يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد فى تغلب وكذلك غزاها الحوفزان فى بكر ابن وائل فلما التقى الجيشان سار الحوفزان تحت لواء الهذيل . متضائل : متصاغر . الجران : مقدم عنق البعير ، وضرب بجرانه : برك .

أَحبَبْنَ تَغلِبَ إذْ هَبَطْنَ بِلادَهُمْ ... لَمَّا سَمِنَّ وكُنَّ غَيْرَ سِمَانِ

يَمْشِينَ بالفَضلاتِ وسْطَ شُرُوبِهِمْ ... يَتْبَعْنَ كُلَّ عَقِيرَةٍ ودُخَانِ (١)

يَتَبَايَعُونَ إذَا انْتَشَوْا بِبَنَاتِكُمْ ... عِنْدَ الإيابِ بأَوْكَسِ الأثْمَانِ (٢)

واسْأَلْ بِتَغْلِبَ كيفَ كانَ قَديمُهَا ... وقَدِيمُ قَومِكَ أولَ الأزْمَانِ

قَومٌ هُمُو قَتَلُوا ابنَ هِنْدٍ عَنْوَةً ... عَمْراً، وهُمْ قَسَطُوا على النُّعْمَانِ (٣)

قَتَلُوا الصَّنَائِعَ والملوكَ، وأَوْقَدُوا ... نَارَيْنِ قد عَلَتَا على النِّيرَانِ (٤)

لَوْلا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابنةِ وائِلٍ ... نَزَلَ العَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانِ

حَبَسُوا ابنَ قَيْصَرَ وابْتَنَوْا بِرِمَاحِهِمْ ... يَوْمَ الكُلابِ كَأَكْرَمِ البُنْيَانِ (٥)

إنَّ الأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمَهَا ... كلْبٌ عَوَى مُتَهَتِّمُ الأَسْنَانِ (٦)

قومٌ اذا وُزِنُوا بقومٍ فُضِّلُوا ... مِثْلَيْ مُوازِنِهِم على الميزانِ

---

(١) الفضلات: الخمور أي يسقين الرجال و يخدمنهم . الشروب: القوم يشربون الخمر . يتبعن كل عقيرة: يتسمعن الغناء . دخان أي موضع الطبخ والشواء .

(٢) انتشوا: سكروا .

(٣) ابن هند عمرو بن هند: ملك الحيرة . يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتله في قصة مشهورة . قسطوا: جاروا . النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة أيضا .

(٤) صنائع الملوك: أنصارهم، المفرد صنيعة . أوقدوا نارين: اشارة الى يوم خزازى لتغلب على كنانة وعلى بكر بن وائل .

(٥) يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرحبيل بن الحرث الكندي عم امرئ القيس .

(٦) الأراقم: حي من تغلب . متهتم متكسر والمراد بالكلب جرير الذي يهجوهم .

وقال يمدح سعيد بن العاص بالمدينة وقد فر اليه لما طلبه زياد بالعراق بسبب هجوه الشائع :

وَكُومٍ تُنْعِمُ الأَضْيَافَ عَيْنًا	وتُصبِحُ فى مَبَارِكِهَا ثِقَالَا (١)
حُوَاسَاتِ العَشَاءِ خُبَعْثِنَاتٍ	إِذَا النكبَاءُ رَاوَحَتِ الشَّمالا (٢)
كَأَنَّ فِصَالَهَا حَبَشٌ جِعَادٌ	تَخَالُ على مَبَارِكها جُفالا (٣)
لِأَكْلَفَ أُمُّهُ دَهْمَاءُ مِنْهَا	كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ جَلَدٍ جِلَالا (٤)
أَرِقْتُ فَلَمْ أَنَمْ لَيْلًا طَوِيلًا	أُرَاقِبُ هَلْ أرى النَّسْرَيْنِ زَالَا (٥)
فأَرَّقَنِى نوائبُ مِنْ هُمُومٍ	عَلَىَّ، ولم يَكُنْ أَمرِى عِيَالا (٦)
وكان قِرَى الهُمُومِ اِذَا اعترَتْنِى	زَمَاعًا لا أُرِيدُ بِهِ بِدالا (٧)

(١) الكوم : الجمال ذات السنام الضخم ، الواحد أكوم . تنعم : تقر وتسر . المبارك : جمع مبرك موضع البروك . ثقالا : ضخاما . كوم مبتدا بعد واو ربّ ، خبره محذوف أى لهذا الممدوح .

(٢) الحواسات بضم الحاء : الإبل المجتمعة والكثيرة الأكل . خبعثنات : ضخام شديدات ، المفرد خبعثنة . النكباء : ريح انحرفت عن مهاب الرياح . راوحت : عارضت . الشمال : ريح تهب ما بين مطلع الشمس و بنات نعش .

(٣) الفصال ، جمع فصيل : ولد الناقة اذا فصل عنها . الجعاد جمع جعد : عكس المسترسل

(٤) الأكلف : الفحل المائل الى السواد . دهماء : سوداء الجلد : جلد البو . الجلال جمع جل : وهو للدابة كالثوب للإنسان .

(٥) أرقت : سهرت . النسران : كوكبان . يقال لأحدهما النسر الطائر ، وللآخر النسر الواقع يقول : أرى هل زالا فيطلع الصباح ، وذلك بسبب همه .

(٦) أرقنى : أسهرنى . النوائب المصائب المفرد نائبة . عيالا جمع عيل ، أى ليس همى بسبب أبنائى الذين أعولهم .

(٧) قرى : اكرام . الزماع : المضاء والعزم . بدال : عوض .

فعادَلْتُ المَسالكَ نصفَ حَوْلٍ ... وحَوْلًا بعدَهُ حتّى أحالَا (١)

فقالَ لِيَ الّذى يَعْنِيهِ شأنِى ... نَصيحةَ قَولِه سِرًّا وقالَا : (٢)

عَلَيْكَ بَنِى أُمَيَّةَ ، فاستَجِرْهُمْ ... وخُذْ مِنهم لِمَا تَخْشَى حِبالَا (٣)

فإنَّ بَنِى أُمَيَّةَ فى قُرَيْشٍ ... بَنَوْا لِبُيوتِهم عَمَدًا طِوالَا (٤)

فرَوَّحْتُ القَلوصَ إلى سَعِيدٍ ... إذا مَا الشّاءُ فى الأَرْطاةِ قالَا (٥)

تَخَطَّى الحَرَّةَ الرَّجْلاءَ لَيْلًا ... وتَقْطَعُ فى مَخارِمها نِعالَا (٦)

حَلَفْتُ بِمَنْ أتَى كَنَفَى حِراءٍ ... ومَنْ وافَى بِحِجّتِه إلالَا (٧)

اذا رَفَعُوا سَمِعْتَ لهم عَجِيجًا ... عَجِيجَ مُحَلِّئٍ نَعَمًا نِهالَا (٨)

ومَن سَمَكَ السماءَ له فقامَتْ ... وسَخّر لابنِ داودَ الشَّمالَا (٩)

---

(١) عادلت الخ : وازنت بين المسالك لا أدرى لأيها أصير . أحال : انقضى الحول .

(٢) يعنيه : يهمه . شأنى : أمرى وحالى .

(٣) عليك بنى أميـة : اقصدهم ، وسعيد بن العاص أموى . أستجرهم : أستغث بهم . حبال جمع حبل : العهد والذمة .

(٤) العمد : جمع عمود ما يقوم عليه البيت ، والمراد أنهم بنوا مجدا وشرفا .

(٥) روحت : سقت . القلوص من الإبل : الطويلة القوائم . الأرطاة : شجرة مرة تأكلها الإبل غضة . قال : نام فى منتصف النهار . يعنى شدة الحر .

(٦) الحرة : الأرض ذات حجارة نخرة كأنها أحرقت بالنار . الرجلاء الخشنة يترجل فيها أو الكثيرة الحجارة . المخارم : الطرق ، المفرد مخرم . النعل هنا : طبق من جلد يوقى به الخف ، يصف وعورة الطريق .

(٧) الـكنف : الظل أو الجانب . حراء : غار خارج مكة كان يتحنث فيه رسول الله و يتعبد قبل الرسالة ، وفيه نزل عليـه الوحى لأول مرة . إلال : جبل بعرفات حيث يقف الحاج . والمعنى أنه الذى ظهر ظل دينه فى مكة . يحلف بالنبى و بالحجيج .

(٨) أى رفعوا أيديهم وأصواتهم بالتلبية . العجيج : رفع الصوت والصياح . المحلىء هنا : مانع الابل عن المـاء . النعم : الابل . النهال : العطاش ، واحدها : ناهل يشبه صوت الحاج بصوت المحلىء ... الخ .

(٩) سمك : رفع ابن داود : هو سيدنا سليمان . الشمال : الريح . يشير الى معجزة سليمان وتسخير الريح له . والشاعر يقسم بالله كما أقسم قبل بالرسول .

وَمَنْ نَجَّى مِنَ الغَمَرَاتِ نُوحًا　　　وأَرْسَى فى مَوَاضِعها الجِبَالا (١)

لَئِنْ عَافَيْتَنِى ونَظَرتَ حِلْمِى　　　لأَعْتَنَنْ إِنِ الحدثان آلا (٢)

إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنكَ ومن زِيادٍ　　　ولم أَحسبْ دَمِى لَكُمَا حَلالَا (٣)

ولكنِّى هجوتُ، وقد هَجَتْنِى　　　مَعَاشر قد رَضَختُ لهم سِجَالا (٤)

فإِنْ يكن الهجاءُ أَحَلَّ قتْلِى　　　فقد قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وقَالَا (٥)

وان تَكُ فى الهِجاءِ تُرِيد قَتْلِى　　　فَلَمْ تُدْرِكْ لِمنْتَصِرٍ مَقَالا (٦)

نَرَى الشُّمَّ الجَحَاجِحَ من قُرَيْشٍ　　　إذا مَا الأَمرُ فى الحَدَثان عَالَا (٧)

بَنِى عَمِّ النَّبِى ورَهْط عَمْرٍو　　　وعُثمانَ الذينَ عَلَوْا فَعَالَا (٨)

قِيَامًا يَنْظُرون إلى سَعِيدٍ　　　كَأَنَّهم يَرَوْنَ بِهِ هِلالَا (٩)

ضَرُوبٌ لِلقَوانِسِ غيرُ هَدٍّ　　　إذا خَطَرَتْ مُسَوَّمَةً رِعَالَا (١٠)

---

(١) الغمرات: جمع غمرة معظم البحر. نوح الرسول وفى عهده كان الطوفان.

(٢) عافيتنى: دفعت عنى البلاء والسوء وكان الشاعر فارا من زياد حاكم العراق. نظرت حلمى: راعيت عقلى وأناتى. اعتنّ: اشتدّ وقوى. الحدثان النوائب. آل: رجع.

(٣) زياد ابن أبيه: والى العراق، وقد طلب الفرزدق حين رفع أمره اليه لشدة هجائه، ولكن الشاعر فر الى سعيد هذا.

(٤) رضخت لهم: أعطيتهم قليلا من هجائى. السجال جمع سجل: الدلو العظيمة. ويقال الحرب بينهم سجال أى تارة لهم وتارة عليهم.

(٥) قلنا لشاعرهم وقال أى تهاجينا، فلم أقتل أنا دونه؟

(٦) فى الهجاء أى بسببه. ومعنى الشطر الثانى: فلم تسمع مقال المستجير. المنتصر: المستظهر على عدوه.

(٧) الشم جمع أشم وهو السيد العزيز. الجحاجح جمع جحجح: السيد. عال: اشتد وتفاقم.

(٨) الرهط: قوم الرجل. الفعال: الفعل الحسن.

(٩) قياما: حال من مفعول نرى فى البيت الذى قبل السابق ومعنى يرون به يرونه فالباء للتجريد.

(١٠) القوانس: أعالى البيض من الحديد، المفرد قونس. الهد: الرجل الضعيف. المسومة: الخيل المعلمة لكرمها. الرعال: جمع رعلة: القطعة من الخيل. يصفه بالشجاعة والإقدام.

وقال يهجو جريرا :

إنَّ الذى سَمَكَ السماءَ بنَى لنا ... بيْتًا دعائمُه أعزُّ وأطولُ (١)

بيْتًا بناهُ لنا المليكُ ، وما بَنَى ... حَكَمُ السماءِ فإنَّهُ لا يُنْقَلُ (٢)

بيْتًا زُرارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنائِهِ ... ومُجاشِعٌ وأبُو الفوارِسِ نَهْشَلُ (٣)

يَلِجُون بيْتَ مُجاشِعٍ وإذَا احْتَبَوْا ... بَرَزُوا كأنَّهُمُ الجِبالُ المُثَّلُ (٤)

لا يَحْتَبِي بِفِناءِ بيْتِكَ مِثْلُهُمْ ... أبدًا إذا عُدَّ الفَعالُ الأفضلُ (٥)

مِنْ عِزِّهِمْ جُحِرَتْ كُلَيْبٌ بيْتَها ... زَرْبًا كأنَّهُمُ لدَيْهِ القُمَّلُ (٦)

ضَرَبَتْ عليكَ العنكبوتُ بنَسْجِها ، ... وقَضَى عليكَ بهِ الكِتابُ المُنْزَلُ (٧)

أيْنَ الذينَ بِهِمْ تُسامِي دارِمًا ... أمْ مَنْ إلى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تَجْعَلُ (٨)

يَمْشُونَ فى حَلَقِ الحَديدِ كما مشَتْ ... جُرْبُ الجِمالِ بها الكُحَيْلُ المُشْعَلُ (٩)

والمانِعُونَ إذَا النِّساءُ ترادفَتْ ... حَذَرَ السِّباءِ جِمالَها لا تُرْحَلُ (١٠)

---

(١) سمك : رفع . الدعائم : جمع دعامة وهى عمود البيت . أعز : أقوى .

(٢) المليك : الله جل جلاله . حكم السماء : أى القوى المقتدر . لا ينقل : لا يزول . يريد بيت شرف وعز .

(٣) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم جد عشيرة الفرزدق يفخر بهم على جرير .

(٤) يلجون : يدخلون . احتبوا : اشتملوا بالثوب . المثل : الراسيات ، جمع ماثل .

(٥) فناء البيت : الساحة أمامه . الفعال بفتح الفاء : الفعل الحسن والخطاب لجرير ، أى ليس لك رجال أشراف كهؤلاء المعدودين تفاخرنى بهم .

(٦) كليب : قوم جرير . جحرت : دخلت زربا كأنه الجحر . الزرب : حفيرة تتخذ لحبس الجداء . القمل : جمع قملة ، كالجرادة وأقل منها

(٧) يعنى أن بيت جرير فى الوهن والذل كبيت العنكبوت . والشطر الثانى إشارة إلى الآية الكريمة "وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت" .

(٨) تسامى : تفاخر . طهيـة : أم جماعة من قوم الفرزدق يفخر بهم على جرير . تجعل هنا : معناها تقرن بهم وتباهى .

(٩) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع . جرب الجمال : أى الجمال المصابة بداء الجرب . الكحيل : القطران . المشعل : الكثير . يشبه الرجال فى عظمهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران

(١٠) ترادفت : ركب بعضهن خلف بعض . السباء : الأسر فى الغارات . لا ترحل : لا توضع عليها الرحال للعجلة . يقول : إن قومى يمنعون حرمهم إذا كانت الغارات وفزعت النساء فركبت الجمال أعزاء .

يَحمِى إذا اخترِطَ السيوفُ نساءَنا ‏ ‏ ‏ ضَرْبٌ تَخِرُّ له السواعِدُ أَرْعَلُ (١)

ومُعَصَّبٍ بالتاجِ يَخفِقُ فوقَهُ ‏ ‏ ‏ خِرَقُ الملوكِ له خَميسٌ جَحْفَلُ (٢)

مَلِكٌ تَسوقُ له الرماحَ أكفُّنا ‏ ‏ ‏ منه تُعَلُّ صُدورُهُنَّ وتُنْهَلُ (٣)

قَدْ ماتَ فِي أَسَلاتِنا أوْ عَضَّهُ ‏ ‏ ‏ عَضْبٌ برَوْنقِه الملوكُ تُقَتَّلُ (٤)

وَلَنا قُراسِيَةٌ تَظَلُّ خَواضِعًا ‏ ‏ ‏ مِنهُ مَخافَتَهُ القُرومُ البُزَّلُ (٥)

مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ لَهُ عادِيَّةٌ ‏ ‏ ‏ فِيها الفَراقِدُ والسِّماكُ الأعزَلُ (٦)

ضَخْمُ المَناكِبِ تحتَ شَجْرِ شُئُونِهِ ‏ ‏ ‏ نابٌ إذا ضَغَمَ الفُحُولةَ مِقْصَلُ (٧)

وَإذا دَعَوْتُ بَنِى فُقَيْمٍ جاءَنِى ‏ ‏ ‏ مَجْرٌ لَهُ العَدَدُ الذى لا يُعْدَلُ (٨)

---

(١) اخترط : سل . تخر : تسقط . أرعل : مسترخ مائل وهو صفة لضرب . وإنما يريد أنه يميل ما قطع فيسترخى .

(٢) معصب : متوّج ، والواو واو رب . وما بعدها : مبتدأ ، وقد مات : خبره — يعنى حسان وقابوس ابنى المنذر . خرق الملوك : الرايات . الخميس : الجيش الضخم . الجحفل : الكثير الخيل .

(٣) منه : أى من الملك — تعل وتنهل من الدم ، والإنهال : الطعن الأول ، والعلل : الطعن الثانى .

(٤) الأسلات : الرماح ، المفرد أسلة . العضب : السيف القاطع . رونقه : فرنده وجوهره .

(٥) القراسية : الضخم الغليظ من الإبل . يقول : لنا عز قديم شبيه بالفحل وهو القراسية . القروم : جمع قرم ، وهو السيد أو الفحل الكريم . البزل : جمع بازل ، وهو الذى نبت نابه .

(٦) متخمط : متغضب فى كبر . قطم : هائج . عادية أوّلية قديمة ، وأصل الفرقد نجم يهتدى به والسماك الأعزل يكون فى نوء المطر ، أى لنا عز وشرف عال كمكان النجوم التى لا تنال ، بعضنا يقتدى به والبعض كريم يستق منه .

(٧) الشجر : مجتمع الحيين . الشئون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن . ضغم : عض . مقصل : قاطع .

(٨) فقيم من دارم : عشيرة الشاعر . المجر : الجيش الكثير العدد — لا يعدل : ليس له عدل من غيره أى نظير .

وَإذا الرَّبَائــع جَاءَنى دُفّاعُهــا | مَوْجًا كأنهمُ الجــرادُ المُرْسَــلُ (١)
هَــذا وفى عَــدَوِيّتِى جُرثومــةٌ | صَعْبٌ مَنَاكِبُهَا نِيَـافٌ عَيْطَــلُ (٢)
وإذا البَرَاجِمُ بالقُــرومِ تَخَاطَـرُوا | حَــوْلِى بأغلبَ عِزُّهُ لا يُــنْزَلُ (٣)
وإذا بَــذَخْتُ ورَايَتِى يَمْشِى بِهَــا | سُفْيَانُ أو عُدَسُ الفَعَالِ وجَنْـدَلُ (٤)
الأكثَرُونَ إذا يُعَــدُّ حَصَاهُمُ | والأكرمُونَ إذا يُعَــدّ الأوّلُ (٥)
وزَحَلْتَ عن عَتَبِ الطريقِ ولم تجِدْ | قَدَمَاكَ حيثُ تَقُومُ سُدّ المَنْقَــلُ (٦)
إنَّ الزِّحامَ لِغَــيرِكُم فتحيَّنُــوا | وِرْدَ العَشِىِّ؛ إلَيهِ يَخْـلُ المَنْهَــلُ (٧)
حُلَلُ الملوكِ لِبَاسُــنَا فى أهْلِنَــا | والسابغَــاتِ إلى الوغَى نَتَسَرْبَلُ (٨)

---

(١) الربائع : جمع ربيعــة وهى ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى . الدفاع : دفاع الســيل حين يكثر ويمتد . شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع .

(٢) العــدوية : فكيهة بنت مالك من زيد مناة نسب اليها بنوها . الجرثومة . الأصــل والتراب يجتمع فى أصــل الشجرة فيرتفع على ما حوله . صعب مناكبها : يعنى نواحيها . نياف طويلة مشرفة . عيطل : طويلة .

(٣) البراجم فى الأصــل : رءوس الأشاجع التى هى أصول الأصابع ، والمراد هنــا : بنو حنظلة ابن مالك ، وهم خمسة تبرجموا على سائر إخوتهم . القروم : الفحول . تخاطروا كما تخطر الفحول بأذنابها إذا تهدد بعضها بعضا . الأغلب : الغليظ العنق .

(٤) بذخت : فخرت فى كبر . والأسماء المذكورة فى البيت من بنى دارم .

(٥) حصاهم : عددهم . الأوّل يعنى من الآباء والأجداد أو من المساعى والأفعال .

(٦) زحلت : تنحيت ، والخطاب لجرير . العتب : الغلظ فى ارتفاع أى عن وضح الطريق . المنقل : الطريق فى الجبل . يقول اذا سلكنا تنحيت لنا ، وسدّ عليك الطريق ، فلم تدر أين تسير ، وتضع قدميك .

(٧) ورد العشى : ورود الماء ليلا . يقول إنكم لضعفكم ومهانتكم لاقبــل لكم بالزحام بل تشربون من فضل غيركم .

(٨) الحلة : إزار ورداء . السابغات : الدروع . الوغى : الحرب . نتسربل : نتقمص . فهم فى السلم ملوك ، وفى الحرب ليوث .

أَحْلامُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً ... وَتَخَالُنَا جِنًّا إذا مَا نَجْهَلُ (١)

فادْفَعْ بِكَفِّكَ إنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا ... ثَهْلانَ ذَا الهَضَبَاتِ، هَلْ يَتَحَلْحَلُ (٢)

وَأَنَا ابنُ حَنظَلَةَ الأغَرِّ وإنَّنِي ... فِى آلِ ضَبَّةَ لَلْمُعَمُّ المُخْوِلُ (٣)

فَرْعَانِ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا ... وإلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ (٤)

فَلَئِنْ فَخَرْتُ بِهِمْ لِمِثْلِ قَدِيمِهِمْ ... أَعْلُو الحُزُونَ بِهِ، وَلا أَتَسَهَّلُ (٥)

زَيْدُ الفَوَارِسِ، وابنُ زَيْدٍ مِنْهُمُ ... وأَبُو قَبِيصَةَ، والرَّئِيسُ الأَوَّلُ (٦)

أَوْصَى عَشِيَّةَ حِينَ فَارَقَ رهطَهُ ... عِندَ الشَّهادَةِ فِى الصَّحِيفَةِ دَغْفَلُ (٧)

أَنَّ ابنَ ضَبَّةَ كَانَ خَيْرًا وَالِدًا ... وأَتَمَّ فِى حَسَبِ الكِرَامِ وأَفْضَلُ (٨)

مِمَّنْ يَكُونُ بَنُو كُلَيْبٍ رَهْطَهُ ... أو مَنْ يَكُونُ إلَيْهِمُ يَتَخَوَّلُ (٩)

---

(١) الأحلام : جمع حلم الصبر والأناة أو العقل وضدّه الجهل والسفه . رزانة : وقارا .

(٢) ثهلان : جبل عظيم بنجد . الهضبات : جمع هضبة الجبل الصغير . هل يتحلحل : أى هل يزول ويتحرك ؟. فكذلك عزنا .

(٣) حنظلة : هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر وأمه من ضبة . الأغر : المشهور بالعز والشرف . المعم المخول : الكريم الأعمام والأخوال .

(٤) ذروة كل شىء : أعلاه . يعقل : يلجأ . أى يلجأ إليهما الناس عند المخاوف

(٥) الحزون : ماغلظ من الأرض ، مفرده حزن . السهل : ماسهل ولان . إن فخره بهؤلاء يسمو به

(٦) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين سمى بذلك لأنه والى بين سبعة فوارس فى ثأر أبيه حصين . وابنه هو الحصين بن زيد . وأبو قبيصة خوار بن عمرو منهم أيضا . والرئيس الأول محلم بن سويط من سعد بن ضبة .

(٧) رهط الرجل : قومه الأدنون . دغفل : هو ابن حنظلة النسابة من وائل . وهو فاعل أوصى .

(٨) بنو ضبة . رهط الشاعر لأمه . الحسب : مفاخر الآباء .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . يتخول : من الخئولة ، أى يدعيهم أخوالا . فهو فى هذه الأبيات يفضل نفسه نسبا وحسبا على جرير .

وَهُـمْ عَلَى ابنِ مُزَيْقِيَاءَ تَنَـازَلُوا ... والخيـلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا القَسْـطَلُ (١)

وهُمُ الذينَ عَلَى الأَمِيـلِ تداركوا ... نَعَمًا يُشَـلُّ إلَى الرَّئِيس ويُعْكَلُ (٢)

ومُحَرِّقًا صَفَدُوا إليـه يَمِينَـهُ ... بِصِفَادِ مقتَسِرٍ أخـوهُ مُكَبَّلُ (٣)

مَلِكَانِ يـومَ بُزَاخَـةٍ قَتَلُوهُمَـا ... وكِلاهُمَـا تاجٌ عَلَيْـهِ مُكَلَّلُ (٤)

وَهُمُ الذينَ علَوْا عُمَـارَةَ ضَرْبَةً ... فَوْهَاءَ فَـوْقَ شُئُونِهِ لا تُوصَـلُ (٥)

وَهُمْ اذا اقتُسِمَ الأكابِرُ رَدَّهُمْ ... وَافٍ لِضَبَّـةَ ، والرِّكَابُ تُشَـلَّلُ (٦)

جَارٌ إذا غَـدَرَ اللئامُ وفَى بِهِ ... حَسَبٌ ودَعْوَةُ مَاجِدٍ لا يُخْـذَلُ (٧)

وعَشِـيَّةَ الجَمَـلِ المُجَلَّلِ ضَارَبُوا ... ضَرْبًا شُئُونُ فَرَاشِـه تَتَزَيَّلُ (٨)

---

(١) ابن مزيقياء هو الحارث عمرو بن عامر قتله أحد بنى ضبة ، وابناه : محرق وزياد قتلهما زيد الفوارس ، تنازلوا : نزلوا فى ساحة القتال فتضاربوا . العجاجتان : مثنى عجاجة : الدخان والغبار . القسطل : الغبار . والمقصود أن الغبار ثائر بين الجيشين المتحاربين .

(٢) الأميل : رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين ، وهو كذلك اسم يوم لبنى ضبة على بنى شيبان . وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى أغار على بنى ضبة ، فاستاق ألف بعير لمالك بن المنتفق رئيس بنى ضبة ، فتداركت ضبة الخيل وردت النعم . يشل : يطرد . يعكل : يرد ويحبس .

(٣) محرق : سبق ذكره . صفدوا : جمعوا ، أى أسروه ، واستوثقوا منه . الصفاد : القيد أو الحديد الذى قيد فيه . أخوه : صاحبه أى صاحب هذا الصفاد مقتسر ومغتصب .

(٤) بزاخة : وقعة لضبة على غسان . والملكان محرق وزياد كما سبق . مكلل : معقود فوق رأسه .

(٥) عمارة بن زياد العبسى قتله شرحاف الضبي يوم أعيار . فوهاء : واسعة ذات فم واسع . الشئون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن ، ومن الشئون تجرى الدموع . لا توصل : لا تلتئم .

(٦) اقتسم الأكابر : أسروا وتوزعوا . والأكابر شيبان وعامر وجليحة من بنى تيم الله بن ثعلبة ، أجارهم بدر بن حمراء الضبي ، فوفى لهم . تشلل : تطرد .

(٧) جار : يعنى بدر بن حمراء الضبي . الماجد جيرانه من بنى تيم الله الذين التجأ اليهم فى إحدى السنين ، فوفوا له .

(٨) الجمل : وقعة الجمل مع السيدة عائشة وقتل من بنى ضبة كثير . الفراش : جمع فراشة كل رقيق من العظم أو الحديد . تتزيل : تتفرق .

* * *

يَا بنَ المَرَاغَةِ أينَ خالُكَ إنَّنى ... خَالِى حُبَيْشٌ ذو الفَعَالِ الأفضَلُ (١)

خَالِى الذى غَصَبَ الملوكَ نُفُوسَهمْ ... وإليه كانَ حِباءُ جَفْنَةَ يُنقَلُ (٢)

إنَّا لَنَضْرِبُ رأسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ... وأبُوكَ خَلفَ أتَانِهِ يَتَقَمَّلُ (٣)

وشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكِرامِ وما بَنَوْا ... إنَّ اللئيمَ عنِ المَكارِمِ يُشْغَلُ (٤)

إنَّ التِى فُقِئَتْ بِها أَبصارُكُم ... وَهِىَ التى دَمَغَتْ أبَاكَ الفَيْصَلُ (٥)

وقال يصف ذئبا صادفه فى أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وأطلَسَ عَسَّالٍ وما كانَ صَاحِبًا ... دَعَوْتُ بنَارِى مَوْهِنًا فَأتَانِى (٦)

فَلَمَّا دَنَا قُلتُ : ٱدنُ دونَكَ، إنَّنِى ... وإيَّاكَ فِى زَادِى لَمُشْتَرِكَانِ (٧)

---

(١) ابن المراغة : جرير . حبيش : من ضبة أسر عمرو بن الحارث الغسانى ، بجز ناصيته ، واشترط عليه أن يبعث اليه كل سنة بحباء حتى يموت .

(٢) الحباء : العطية ، والمراد هنا الضريبة . جفنة من آباء الغساسنة اليه ينسبون ، ويسمون آل جفنة ملوك الشام فى الجاهلية .

(٣) الرأس : الرئيس . الأتان : الحمارة . يتقمل : يكثر قمله .

(٤) اللئيم : الدنىء الأصل والبخيل .

(٥) دمغت : أى بلغت دماغه . الفيصل : مقطع الحق فيما بيننا و بينكم . وهذه القصيدة كانت تسمى الفيصل .

(٦) الأطلس : أغبر اللون . عسال : مضطرب فى مشيه . موهنا : نحو منتصف الليل .

(٧) أدن : اقترب . دونك : أمامك .

فَبِتُّ أَقُدُّ الزَّادَ بَيْني وَبَيْنَهُ ... عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ (١)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكًا ، ... وَقَائِمُ سَيْفِي من يَدِي بِمَكَانِ : (٢)

تَعَشَّ ، فإنْ وَاثَقْتَنِي لَا تَخُونُنِي ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ (يَاذِئْبُ) يَصْطَحِبَانِ (٣)

وأَنْتَ امْرُؤٌ يا ذئبُ والغَدرُ كنتُما ... أُخَيَّيْنِ كَانَا أُرْضِعَا بِلِبَانِ (٤)

ولو غَيْرَنَا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرَى ... أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَاةِ سِنَانِ (٥)

وكُلُّ رَفِيقَيْ كُلِّ رَحْلٍ — وإنْ هُمَا ... تَعَاطَى القَنَا قَوْمَاهُمَا — أَخَوَانِ (٦)

فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللهُ نَفْسًا تَشَعَّبَتْ ... عَلَى أَثَرِ الغَادِينَ كُلَّ مَكَانِ (٧)

فَأَصْبَحْتُ لا أدرِي أَأَتْبَعُ ظَاعِنًا ... أَمِ الشَّوْقُ مِنِّي لِلْمُقِيمِ دَعَانِي (٨)

وما مِنْهُمَا إلا تَوَلَّى بِشِقَّةٍ ... من القَلْبِ فالعينَانِ تَبْتَدِرانِ (٩)

---

(١) أقد : أقطع .

(٢) تكشر : كشف عن أسنانه ، قائم السيف : مقبضه .

(٣) واثقتني : عاهدتني .

(٤) أخيان : أخوان توءمان .

(٥) شباة سنان : طرف الرمح .

(٦) تعاطى القنا قوماهما : أى تحارب أهلهما . أخوان : خبر كل .

(٧) تشعبت : توزعت فى كل مكان من الهموم . الغادون : الميتون يشير الى بنيه المتوفين .

(٨) ظاعنا : راحلا الى القبر . المقيم : الباقى على قيد الحياة — يصف اضطراب نفسه بين الحزن والجذب .

(٩) تولى بشقة : أخذ ناحية من قلبه ، فشغلها . تبتدران الدمع : تدمعان .

(١٢) وقال جرير يرثي زوجه خالدة بنت سعد[(١)]:

لَوْلا الحَياءُ لهاجَنِي اسْتِعبارُ ... ولَزُرتُ قَبرَكِ، والحبيبُ يُزارُ[(٢)]

ولقد نَظرتُ، وما تَمتُّعُ نظرةٍ ... في اللَّحدِ حيثُ تمكّنَ الأحفارُ[(٣)]

وَلَهِتْ قلبي إذ عَلَتْني كَبْرَةٌ ... وذَوُو التمائِم من بنيكِ صِغارُ[(٤)]

أرعَى النجومَ، وقد مَضتْ غَوْرِيَّةً ... عُصَبُ النُّجومِ كأنّهنَّ صُوارُ[(٥)]

نِعْمَ القَرينُ، وكنتِ عِلْقَ مَضَنَّةٍ ... وَارَى بِنَعْفِ بُلَيَّةَ الأحجارُ[(٦)]

عَمِرتْ مُكرَّمةَ المَساكِ، وفارقتْ ... ما مَسَّها صَلَفٌ ولا إقتارُ[(٧)]

فسقَى صدَى جَدَثٍ بِبُرقَةِ ضاحِكٍ ... هَزِمٌ أجَشُّ وَدِيمَةٌ مِدْرارُ[(٨)]

---

(١) ينتسب أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى الى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق الى دارم من تميم كذلك. وقد ولد باليمامة ونشأ في البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الخلفاء والولاة حتى اشتبك مع الفرزدق في التهاجي والسباب لعوامل سياسية واجتماعية. ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٠ هـ.

(٢) استعبار: حزن ودمع.

(٣) الأحفار: جمع حفر البئر المتسعة، وهو هنا القبر.

(٤) ولهت: حيرت من الحزن. كبرة: كبر وضعف. التمائم: جمع تميمة، وهي العوذة تعلق على الصبي خوف الحسد.

(٥) أرعى النجوم: أراقبها. غورية: غائبة. عصب: جماعات. الصوار: القطيع من بقر الوحش.

(٦) القرين: الزوج والصديق أي أنت. العلق: النفيس أو الجراب. المضنة: ما يضن به. نعف بلية: مكان قبرها.

(٧) عمرت: عاشت. المساك: الإمساك، والمراد البقاء مع زوجها. الصلف: مجاوزة قدر الظرف والادعاء تكبرا. إقتار: بخل.

(٨) الصدى هنا: جثمان الميت. جدث: قبر، برقة ضاحك: موضع. والبرقة في الأصل الأرض الغليظة. هزم سحاب راعد، أجش: غليظ الصوت، ديمة: مطر يدوم في سكون. مدرار:

مُتَراكِمٌ زَجِلٌ يُضيءُ وَميضُهُ كالبُلْقِ تَحتَ بُطونِها الأمْهارُ (١)

كانتْ مكرَّمةَ العَشيرِ ولم يَكن يَخشَى غوائلَ أُمِّ حَزْرَةَ جارُ (٢)

ولقد أراكِ كُسيتِ أجملَ مَنظرٍ ومَعَ الجَمالِ سَكينةٌ ووَقارُ (٣)

والريحُ طيِّبةٌ إذا استقبلتِها والعِرضُ لا دَنِسٌ ولا خَوّارُ (٤)

وإذا سَريتُ رأيتُ نارَكِ نوَّرتْ وَجْهاً أغرَّ يَزينُه الإسفارُ (٥)

صَلَّى الملائكةُ الذين تُخُيِّروا والصالحُونَ عليكِ والأبْرارُ (٦)

وعَليكِ من صَلَواتِ رَبكِ كُلَّما نَصَبَ الحَجيجُ مُلَبِّدينَ وغارُوا (٧)

يا نَظْرةً لكَ يومَ هاجَتْ عَبرةً من أمِّ حَزْرَةَ بالنُّمَيرةِ دارُ (٨)

تُحيي الروامسُ رَبعَها فتُجِدُّه بَعدَ البِلَى، وتُميتُه الأمطارُ (٩)

وكأنّ منزلةً لها بجُلاجِلٍ وَحْيُ الزَّبورِ تُجِدُّه الأحبارُ (١٠)

---

(١) زجل : رفع صوته . البلق : جمع أبلق فرس فى لونه سواد وبياض . أمهار : جمع مهر .

(٢) الغوائل : مفرده غائلة وهى الشر والفساد والداهية .

(٣) الوقار : الرزانة .

(٤) خوار : مريب .

(٥) سريت : سرت ليلا . أغر : حسن له غرة . الإسفار : كشف الوجه .

(٦) الأبرار : جمع بار الصالح أو كثير الإحسان .

(٧) نصب : جد وتعب . الحجيج : جمع حاج . ملبدين : محرمين ومتخذين صمغا ليتلبد شعرهم . غاروا : نزلوا الغور .

(٨) عبرة : دمعة . النميرة : جبل أو هضبة بين نجد والبصرة .

(٩) الروامس : الرياح الدوافع للآثار . الربع : الدار . تجد : تجدد .

(١٠) جلاجل : موضع أو جبل بالدهناء . الوحى : المكتوب أو الرسالة . الزبور : الكتاب، وغلب على مزامير داود . الأحبار : جمع حبر : العالم الصالح والرئيس الدينى .

لا تُكْثِرَنَّ إذا جعلتَ تلومُنى ... لا يَذْهَبَنَّ بِحِلمكَ الإكثار [1]

كانَ الخليطُ هُمُ الخليطَ فأصبحُوا ... مُتَبَدِّلينَ وبالديارِ ديار [2]

لا يُلبِثُ القُرناءَ أن يتفرَّقوا ... ليلٌ يَكُرُّ عليهمُ ونهار [3]

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته السالفة التى مطلعها

إن الذى سمك السماء :

لِمَنِ الديارُ كأنَّها لم تُحلَلِ ... بينَ الكِناسِ وبينَ طَلْحِ الأعْزَلِ [4]

ولقَدْ أرَى بِكِ، والجديدُ إلى بِلًى، ... موتَ الهوَى وشِفاءَ عينِ المجتلِى [5]

نظرتْ إليكَ بِمثلِ عَيْنَى مُغزِلٍ ... قَطَعَتْ حِبالَتَها بأعلى يَلْيَلِ [6]

واذا التَمستَ نَوالَها بَخِلتْ بهِ ... واذا عَرضْتَ بوُدِّها لم تَبْخَلِ

ولقد ذكرتُكِ ، والمَطِيُّ خواضِعٌ ، ... وكأنَّهنَّ قطا فَلاةٍ مَجْهَلِ [7]

---

(١) الحلم : الصبر والأناة والعقل .

(٢) الخليط : الصحاب . متبدلين : متغيرين . وبالديار الخ مسافرين الى ديار أخرى .

(٣) لا يلبث ... لا يمهلهم حتى يفرقهم . القرناء : جمع قرين العشير أو المصاحب .

(٤) الكناس : موضع من بلاد غنى . طلح : شجر . الأعزل : واد لكليب . كأنها لم تحلل : أى قد درست كأنها لم تكن مسكونة .

(٥) المجتلى : الناظر، أى كنا بك فكان الهوى مستترا ، فلما تفرقنا ظهرت آثاره بسبب الفراق .

(٦) المغزل : ظبية ذات غزال . حبالتها : مصيدتها . يليل : موضع قرب وادى الصفراء بين الحرمين .

(٧) خواضع : مجدة فى السير . قطا : طير . فلاة : صحراء واسعة مجهل : مفازة لايهتدى فيها .

يَسقِينَ بالأُدَمَى فِراخَ تَنُوفـةٍ ... زُغْبًا حواجِبهُن حُمـرَ الحَوصَلِ (١)

يا أمَّ ناجِيـةَ ! السلامُ عليكُمُ ! ... قبلَ الرَّواحِ وقبلَ عَذْلِ العُـذَّلِ (٢)

وإذا غـدوْتِ فباكرتْكِ تحِيَّـةٌ ... سبَقَتْ سُروحَ الشاحِجاتِ الحُجَّـلِ (٣)

لو كنتُ أعلَمُ أن آخرَ عهـدِكمْ ... يومَ الرَّحيـلِ فعلتُ ما لم أفعَـلِ (٤)

أو كنتُ أرهَبُ وَشْكَ بَينٍ عاجلٍ ... لَقنِعتُ أو لَسألتُ ما لم يُسألِ (٥)

أعْددتُ للشُّـعَراء سَمًّا ناقِعًا ... فَسَقَيْتُ آخرَهُـمْ بِكأْسِ الأوَّلِ (٦)

لمَّا وضَعْتُ على الفرزْدقِ مِيسَمِي ، ... وضَغَا البَعيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأخطَلِ (٧)

أخزَى الذي سَمَكَ السماءَ مُجاشِعًا ... وبنَى بِناءَكَ في الحضيضِ الأسفَلِ (٨)

بيتًا يُحَمِّمُ قَينُكم بِفنائِه ... دَنِسًا مقاعدُه خَبيثَ المدْخَلِ (٩)

ولقـد بنيتَ أخَسَّ بيتٍ يُبتَنَى ... فهَدمتُ بيتَكُمُ بِمِثْلَيْ يذبُـلِ (١٠)

---

(١) الأدمى : موضع . تنوفة : برية لا ماء فيها ولا أنيس . زغبا : قليلة الريش . والزغب أول ما يبدو من الشعر أو الريش .

(٢) الرواح : الذهاب عشية . وربما كان الأولى يا آل ناجية .

(٣) الشاحجات : الغربان تشحج في صياحها . الحجل : تحجل في مشيها .

(٤) عهدكم : لقائكم .

(٥) وشك : قرب . قنعت بالقليل من الود دون الطمع وبعد الأمل الذى قضى عليه الفراق .

(٦) ناقعا : قاتلا (هجاء مرا) .

(٧) الميسم : المكوى ، يريد الشعر . ضغا : تذلل . جدع الأنف : قطعه .

(٨) سمك : رفع . مجاشع : قوم الفرزدق . الحضيض : أسفل الجبل .

(٩) يحمم : يدخن فيه فيسوده . القين : الحداد ، يرمى الفرزدق بأن قومه حدادون .

(١٠) يذبل : جبل مشهور بنجد يشبه به مجده .

أنى بنى لى فى المكارم أوّلى ... ونفخت كيرك فى الزمان الأول (١)

أعيتك مأثرة القيون مجاشع ... فانظر لعلك تدعى من نهشل (٢)

وامدح سراة بنى فقيم إنهم ... قتلوا أباك وثأره لم يقتل (٣)

ودع البراجم إن شربك فيهم ... مُرٌّ مذاقته كطعم الحنظل (٤)

إنى انصببت من السماء عليكم ... حتى اختطفتك يا فرزدق من علِ (٥)

من بعد صكتى البعيث كأنه ... خرب تنفج من حذار الأجدل (٦)

ولقد وسمتك يا بعيث بميسمى ... وضغا الفرزدق تحت حد الكلكل (٧)

أنى إلى جبلى تميم معقلى ... ومحل بيتى فى اليفاع الأطول (٨)

أحلامنا تزن الجبال رزانة ... ويفوق جاهلنا فعال الجهل (٩)

فارجع إلى حكمى قريش ، إنهم ... أهل النبوة والكتاب المنزل (١٠)

---

(١) أوّلى : آبائى . (٢) مأثرة : مكرمة ، أى لا نخرك فى مجاشع . تدعى : تنتسب . نهشل ومجاشع : أخوان من تميم .

(٣) سراة : جمع سرى وهو الشريف . بنو فقيم : من دارم ، الثأر : القاتل ، وكان ذكوان الفقيمى سبب موت أبى الفرزدق ، وقد عقر بعيرى أمه وأخته جعثن فى قصة طويلة .

(٤) البراجم : قوم من أولاد حنظلة بن مالك كما سبق . الشرب : هنا الحظ والنصيب .

(٥) عل : أعلى .

(٦) الصك : الضرب الشديد . الخرب : ذكر الحبارى طائر كالديك . تنفج : نفش ريشه خوفا . الأجدل : الصقر .

(٧) الكلكل : الصدر . الحد : الصلابة .

(٨) المعقل : الملجأ أو الجبل المرتفع ، والمراد الشرف . اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٩) الجاهل : السفيه .

(١٠) حكما قريش : هاشم وعبد مناف .

فَاسْأَلْ إذا خرج الخِدامُ وأُحمِشَتْ … حربٌ تُضَرَّم كالحريق المُشْعَلِ (١)

والخيل تَحْطُ بالكُماة ، وقد رأَوْا … لمَعَ الرَّبيئةِ في النِّيافِ العَيْطَلِ (٢)

أَبَنو طُهَيَّةَ يَعْدِلُون فوارسى … وبنو خَضاف ، وذاك ما لم يُعْدَلِ (٣)

وإذا غَضِبتُ رمى وَرائِي بالحَصى … أبناءُ جَنْدَلَتِي كَخَيْرِ الجندلِ (٤)

عَمْروٌ وسعدٌ يا فرزدقُ فيهمُ … زُهْرُ النجومِ وبَاذِخاتُ الأَجْبُلِ (٥)

كانَ الفرزدقُ إذ يَعُوذُ بخالِه … مِثْلَ الذليلِ يَعُوذُ تحت القَرْمَلِ (٦)

وافْخَرْ بِضَبَّةَ إنَّ أُمَّك منهمُ … ليس ابنُ ضَبَّةَ بالمُعِمِّ المُخْوِلِ (٧)

وقَضَتْ لنا مُضَرٌ عليك بِفَضْلِنا … وقَضَتْ رَبيعةُ بالقَضاءِ الفَيْصَلِ (٨)

إن الذى سَمَكَ السَّماءَ بنَى لنا … عِزًّا عَلاكَ فما لَه من مَنْقَلِ (٩)

أَبْلِغْ بنى وَقْبانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ … خَفَّتْ ، فَلا يَزِنُونَ حَبَّةَ خَرْدَلِ (١٠)

---

(١) الخدام : الفرس المحجل ، يعنى فى الغارة . أحمشت : أوقدت . تضرم : تشتعل .

(٢) تحط : تصوت من الإعياء والتعب . الكماة : جمع كمى : المدجج بالسلاح . الربيئة : طليعة الجيش . النياف : الطويل من الإبل . العيطل : الطويل العنق .

(٣) طهية : أم جماعة من تميم منهم مجاشع ونهشل ودارم . خضاف : هم بنو مجاشع .

(٤) الحصى : العدد الكثير . جندلة : بنت تيم الأدرم ، وهى أم يربوع قوم جرير .

(٥) عمرو وسعد : حليفا عشيرة جرير . زهر النجوم : النابهون . باذخ : عظيم . الأجبل : جمع جبل ، والمراد عظماء الرجال .

(٦) يعوذ : يحتمى . القرمل : شجر ضعيف بلا شوك ، ومنه المثل ذليل عاذ بقرملة .

(٧) ضبة : من طابخة أخوال الفرزدق . المعم : الكريم الأعمام ، والمخول : كريم الأخوال .

(٨) ربيعة ومضر : شعبا عدنان العظيمان . الفيصل : الفاصل بين الحق والباطل .

(٩) منقل : متحول وانتقال .

(١٠) وقبان : لقب مجاشع ، معناه الحمق . حلوم : جمع حلم : العقل والرزانة .

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

أَتَصْحُو ، أَمْ فُؤَادُكَ غيرُ صَاحِ ... عَشِيَّةَ هَمَّ صحبُكَ بالرَّواحِ (١)

تَقولُ الْعَاذِلَاتُ : عَلَاكَ شَيْبٌ ! ... أَهَذَا الشيبُ يَمنعنى مِراحِى ؟ (٢)

يُكَلِّفنى فؤادى من هَواهُ ... ظعائنَ يجترعن على رِماحِ (٣)

ظعائنَ لم يَدِنَّ مع النَّصارى ... ولا يدرين ما سَمَكُ القُراحِ (٤)

فبعضُ الماء مَاءُ رَبابِ مُزْنٍ ... و بعضُ الماءِ من سَبَخٍ مِلاحِ (٥)

سَيَكفيك العواذلَ أرحَبِيٌّ ... هِجانُ اللون كالفَرد اللَّياحِ (٦)

يَعِزُّ عَلَى الطريق بِمَنْكِبَيهِ ... كما ابترك الخليعُ على القِداحِ (٧)

---

(١) تصحو : تترك الباطل . الرواح : الذهاب عشية . و يصح أن تكون أم بمعنى بل أى للإضراب .

(٢) المراح : الاختيال والتبختر .

(٣) الظعائن جمع ظعينة : المرأة فى الهودج ، يجتزعن بقدود كالرماح .

(٤) القراح : قرية بين النهر، وربما كانت للنصارى .

(٥) الرباب جمع ربابة : السحابة البيضاء . المزن البرد أو السحاب ذو الماء . السبخ مفرده سبخة : أرض ذات نز وملح . ملاح : مالحة .

(٦) يكفيك : يكف عنك . أرحبي : جمل منسوب الى أرحب بطن من همدان . هجان : أبيض كريم . الفرد : الثور المنفرد ، واللياح : الأبيض ، أى سأستريح من العواذل بهذا الجمل أركبه الى الخليفة .

(٧) يعز : يشتد . ابترك : حنا للركب . الخليع : المقامر . القداح جمع قدح : سهم الميسر .

تعـــزَّت أُمُّ حَزْرَةَ ثم قالتْ : رأيتُ الواردينَ ذوِى امتناح (١)

تُعـــلِّلُ وهْى ســـاغِبةٌ بَنيها بأنفـاسٍ من الشَّبِمِ القَـراحِ (٢)

سَأَمْتـاحُ البحـــورَ فجنِّبيني أذاةَ اللـومِ وانتـــظِرى امتياحِى (٣)

ثِقِى بِاللهِ ليسَ لـــهُ شَـرِيكٌ ومن عنـــدِ الخليفـــةِ بِالنجاحِ

أغِثْني — يا فِداكَ أبى وأُمى — بِسَيْبٍ منكَ ؛ إنكَ ذُو ارتيـاحِ (٤)

فإنِّى قـــد رأيتُ علىَّ حَقًّـا زِيارَتِىَ الخليفـــةَ وامتِـــداحِى

سَأشكُرُ انْ رَدَدتَ علىَّ رِيشى وأنبَتَّ القـــوادِمَ فى جَناحِى (٥)

أَلَسْتُمْ خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا وأندَى العـالمَينَ بُطونَ رَاحِ (٦)

وقَومٍ قـد سَمَوتَ لهم فـدانُوا بِدُهْـــمٍ فى مُلَمْلَمَـــةٍ رَداحِ (٧)

أبَحتَ حِمى تِهامَةَ بعـد نَجــد وما شىءٌ حَمَيْتَ بِمُستَباحِ (٨)

---

(١) أم حزرة : زوج جرير . امتناح : عطاء .

(٢) تعلل : تشغل وتلهى . ساغبة : جائعة . الشبم : البارد من المـاء . القراح الصافى .

(٣) امتاح المـاء : استقاه واستخرجه من البئر ، والمراد العطاء الذى يناله من عبد الملك بن مروان المشبه بالبحر عطاء .

(٤) السيب : العطاء . ذو ارتياح أى الى الكرم .

(٥) القوادم جمع قادمة : الريش فى مقدم الجناح وهى كبار الريش وضـدها الخوافى . والمراد إن أعززتنى .

(٦) المطايا : جمع مطية . الراح جمع راحة : بطن الكف .

(٧) سموت لهم : خرجت اليهـم محاربا . دانوا : خضعوا . دهم : خيل سود ، الواحد أدهم . الململة : الكثيرة المجتمعة . رداح : كتيبة ثقيلة .

(٨) أبحت : حللت . الحمى : ما يحميه الإنسان ويمنعه إشارة الى حروبه فى بلاد العرب .

لَكُمْ شُمُّ الجبالِ من الرواسى ... وأعظمُ سَيلٍ مُعْتلجِ البِطاحِ (١)

دعوتَ الملحدينَ أبَا خُبَيب ... جِمَاحًا هل شُفيتَ من الجِماحِ (٢)

فقد وَجدوا الخليفةَ هِبْرِزِيًّا ... أَلَفَّ العِيصِ ليسَ من النواحِي (٣)

فما شَجراتُ عِيصِكَ فى قُريشٍ ... بِعَشَّاتِ الفُروعِ ولا ضَواحِى (٤)

رأى الناسُ البَصِيرة فاستقامُوا ... وَبيَّنَت المِراضُ من الصِحاحِ (٥)

(١٣) وقال عُبيد الله بن قَيس الرُّقَيَّات (٦) يمدح عبد العزيز بن مروان :

لم يَصْحُ هذا الفؤادُ من طَرَبِهْ ... ومَيلِهِ فى الهوى وفى لَعِبِهْ (٧)

أهلًا وسهلًا بمن أتاكَ من الرَّ ... قّةِ يسرى اليكَ فى سُخُبِه (٨)

(١) شم الجبال : أعاليها . اعتلجت الأرض : طال نبتها ، والأمواج : التطمت . البطاح : جمع بطحاء مسيل واسع فيه حصى دقيق . يشير الى عظم سلطانه .

(٢) الملحد : المائل عن الدين الطاعن فيه . أبو خبيب عبد الله بن الزبير الخارج على بنى أمية . جماحا : نافرين . والاستفهام تقريرى .

(٣) هبرزيا : أسدا . والهبرزى : الأسوار من أساورة الفرس . ألف : كثير ملتف . العيص : الشجر الكثير أو الأصل . النواحى : البعداء . والمعنى أنهم وجدوك ذا بأس كريم الأصل .

(٤) عشات الفروع : لثيات أصول نبتها . ضواح : بمات ظلها لعدم الورق .

(٥) البصيرة أيضا : العبرة والفطنة . وبينت : تبينت المراض جمع مريض : الباطل والمعوج ، ضده الصحيح .

(٦) عبيد الله بن قيس الرقيات القرشى من شعراء الغزل والسياسة نشأ فى قريش حريصا على سيادتهم ناقما على بنى أمية اعتزازهم باليمن متنصرا لابن الزبير ، حتى اذا قتل واستقر الحكم للأمويين اطمأن اليهم وكان أول أمره مطاردا من الخلفاء يتنقل مختفيا بين الكوفة والمدينة حتى نال الأمان ولزم عبد العزيز ابن مروان والى مصر إلى أن مات سنة ٧٥ هـ . وابن الرقيات سهل الشعر رقيق المعانى ولا سيا فى الغزل والرثاء وقد يرجع ذلك الى مزاجه الصافى والى الموضوعات التى يعالجها .

(٧) يصحو : يفيق . الطرب : الاهتزاز فرحا . يصف فؤاده بالعشق والهيام

(٨) الرقة : بلدة على الفرات . وأخرى غربى بغداد وغيرهما . السخب : جمع سخاب قلادة من قرنفل وغيره . والخطاب فى البيت لنفسه او لفؤاده ملتفتا إليه . ومن أتاه من الرقة هو طيف الحبيب .

بَاتَتْ بحُلوانَ تَبْتَغيكَ كما — أرسل أهلُ الوليدِ فى طَلَبه (١)

فَدَلَّها الحُبُ فَاشْتَفيتَ كما — تَشفى دماءُ الملوكِ من كَلَبِه (٢)

سَقْيًا لحُلوانَ ذِى الكُرومِ وما — صُنِّفَ من تينهِ ومن عِنَبِه

نخلِ مواقيرُ بالفِناءِ من الـ — ـبَرْنِىّ غُلْبٌ يهتَزُّ فى شَرَبِه (٣)

أَسْوَدُ سُكّانه الحَمامُ فما — تَنْفَكُّ غِربانُه على رُطَبِه

لِتَهْنِه مصرُ والعراقُ وما — بالشأم من بَزِّه ومن ذَهَبِه (٤)

فيهمْ بَهاءٌ اذا أتيتَهُمُ — ونائلٌ لا يَغيضُ من حَلَبِه (٥)

أَثْنِ على الطيِّبِ ابنِ ليلى اذا — أَثْنَيْتَ فى دينِه وفى حَسَبِه (٦)

من يَصدُقُ الوعدَ والقتالَ ويخـ — ـشى اللهَ فى حِلْمِه وفى غَضَبِه (٧)

ومَن تُفيضُ الندى يداه ومَن — يَنْتَهِبُ الحمدَ عندَ مُنْتَهَبِه (٨)

أُمُّكَ بيضاءُ من قُضاعةَ فى الـ — ـبيتِ الذى يُستظَلُّ فى طُنُبِه (٩)

---

(١) حلوان مصر هى المرادة هنا . تبتغيك : تطلبك . الوليد : الصبى .

(٢) الكلب : داء عضة الكلب يشفى بدماء الملوك فى زعمهم .

(٣) مواقير : جمع موقر . النخلة الثقيلة الحمل . البرنى : التمر . غلب جمع غلباء : الحديقة المتكاثفة . الشرب حوض صغير حول النخلة يسع ريها .

(٤) تهنه : تسره . البز : الثياب ؛ من الكتان والقطن .

(٥) بهاء : حسن وظرف . نائل : عطاء . يغيض : ينقص . حلب : لبن محلوب أو استخراج ما فى الضرع . والمراد العطاء الدائم .

(٦) ابن ليلى : الممدوح . الحسب : الشرف .

(٧) يصدق القتال : يظهر بسالة فيه . (٨) ينتهب الحمد : يسبق اليه .

(٩) قبيلة عظيمة تنسب الى قحطان أحيانا والى عدنان أخرى . الطنب : حبل يشد به سرادق البيت والمراد يحتمى به .

وأنتَ فى الجوهرِ المهذَّب من ... عَبـدِ منافٍ، يداكَ فى سَبَبه (١)

يَخْلُفُك البيضُ من بَنِيـكَ كما ... يُخلَف عودُ النُّضارِ فى شُـعَبِه (٢)

لَيسُوا من الخروع الضَّعيف كما ... جَلَّت صُقُور الصُّلَيب من حَدَبِه (٣)

نحنُ على بَيعـةِ الرسولِ وَمَا ... أُعطِىَ مِن عُجمِـه ومِن عَرَبِه (٤)

بهـا نُصِرنَا على العـدُو ونَرْ ... عَى الغَيبَ فى نأيِه وفى قُربِه (٥)

نأتِى اذا ما دَعوتَ فى الحَلَقِ الـ ... ـماذِى أبـدانه وفى جَببِـه (٦)

نُهدى رِعالًا أمامَ أرعَنَ لا ... يُعرف وجهُ البَلْقاءِ فى لَجَبِـه (٧)

فيهـم كُرَيبٌ يقـود حمـيرَ لا ... يَعدِل أهلُ القضاء عن خُطَبِه (٨)

وعارضٌ كالجبال من مُضرَ الـ ... ـحمراء يَشفِى ذَا العُرِّ من جَرَبِه (٩)

وابنـا نِزارٍ اذا هُمـا اجتمعا ... لم يَتركـا هارباً على هَرَبِه (١٠)

---

(١) الجوهر : الطبيعة والجبلة • عبد مناف أصل بنى أمية • السبب : الحبل •

(٢) النضار : الأثل أو الطويل المستقيم الغصون • الشعب : الغصون •

(٣) الخروع : نبت معروف يعظم قرب المياه • الصليب : جبل • حدبه : أعلاه •
نظرت : أى ليسوا مستضعفين فيستذلهم قوى • بل هم كالجبل تنظر من قمته الطيور •

(٤) ما أعطى : أى على العهد الذى عاهده جميع الناس عليه •

(٥) نرعى الغيب : نحفظ العهد •

(٦) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع • الماذى : الدرع اللينة أو السلاح كله • الجبب جمع جبة : وهى من السنان ما دخل فيه الرمح •

(٧) رعال جمع رعلة : القطعة من الخيل أو البقر • الأرعن : الجيش الكثيف • البلقاء : بلد بالشام • والمراد أننا نجيب دعوتك لنا بجيش ضخم يساعدك •

(٨) كريب : يطلق على جماعة من الأشراف والعلماء والمقصود واحد بعينه •

(٩) العارض : الجيش • مضر الحمراء : هو مضر بن نزار أبو قبيلة عدنانية تعرف به. العر: الجرب والمراد الزيغ • (١٠) ابنا نزار ربيعة ومضر •

وقال من قصيدة يمدح مصعب بن الزبير ويفتخر بقريش :

حبَّذا العَيشُ حين قَومى جميعٌ ... لم تُفرِّقْ أمورَها الأَهْــواءُ

قبل أن تطمع القبائل فى ملـ ... ـك قُريش وتَشمَتَ الأعداء

أيُّهـا المشتهى فَنـاءَ قُـريش ... بِيَـد اللهِ عُمـرُها والفَنـاءُ

إن تُوَدِّع من البِـلادِ قُريشٌ ... لا يَكُنْ بعـدَهمْ لِحَىٍّ بَقاء (١)

لو تقفّى وتَتْرُكُ النـاسَ كانوا ... غنمَ الذئبِ غابَ عنهـا الرِّعاء (٢)

هـل تَرى مِن مُخَلَّدٍ غيرِ أَنَّ الـ ... ـلهَ يَبقَى وتذهبُ الأشـياء

يأمُلُ الناسُ فى غدٍ رُغَبَ الدهـ ... ـر، ألا فى غَدٍ يكون القضاء (٣)

لم نَزَلْ آمنينَ يحسُدنا النـا ... سُ ويجرى لنـا بذاك الثَّراءُ (٤)

فَرَضينا ، فَمُتْ بِدائك غَمًّـا ... لا تُميتَنَّ غـيرَكَ الأدواءُ

لَو بَكتْ هـذه السماءُ على قو ... مٍ كِرامٍ بكت علينـا السماء

* * *

إنمـا مُصعبٌ شهاب من اللـ ... ـهِ تجلّتْ عن وجهِهِ الظَّلْمـاء (٥)

مُلكه مُلكُ قُوّة ليس فيــهِ ... جَـبَروتٌ ولَا بِهِ كِبرياء

يتّقى اللهَ فى الأمور وقــد أفـ ... ـلَحَ مَن كان هَمَّه الاتِّقاء

* * *

عينُ فابكى على قريش وهل يَر ... جِعُ ما فات إن بكيتِ البكاءُ

---

(١) تودع : تهلك . البلاء : الغم والوهن .

(٢) تقفى : تذهب . الرعاء : جمع راع . يقول لو ذهبت قريش كان الناس كالغنم تكون طعمة الذئاب اذا تركها الرعاة .

(٣) رغب الدهر : رغائبه . (٤) الثراء : الخير .

(٥) الشهاب : الكوكب . تجلت : انكشفت .

مَعْشَرٌ حَتْفُهُـمْ سيوفُ بَنِي العَـ … ـلاتِ يخشون أن يضيعَ اللّواء (١)

تركَ الرأسَ كالثَّغَامَة مِنِّي … نَكَبَاتٌ تَسرى بها الأَنْباء (٢)

مِثلُ وقْعِ القَدُوم حَلَّ بِنَا فالنـ … ـاسُ مما أصابَنَا أَخْـلاءُ (٣)

ليسَ لِلّهِ حُرمةٌ مثـلُ بَيتٍ … نحن حُجّابُه عليـه المُلاء (٤)

خَصّـهُ اللهُ بالكرامةِ فالبا … دُون والعاكِفُونَ فيـه سواءُ (٥)

حَرقتـهُ رِجَالُ لَخْمٍ وعَـكٌّ … وجُذامٌ وحِميرٌ وصُـداءُ (٦)

فَبَنَيْنَاهُ بعـدَ ما حَرَّقـوهُ … فاستوَى السَّمكُ واستقلَّ البناء (٧)

كَيفَ نَرمِي على الفِراشِ ولَمَّا … يَشْـمل الشأمَ غارةٌ شَعْوَاءُ (٨)

تُذهِلُ الشيخَ عنْ بَنيـهِ وتُبدِي … عن بُراها العقيلةُ العَذْراء (٩)

---

(١) الحتف : الموت . بنو العلات : الأقارب . والأصل فيهم بنو أمهات شتّى من أب واحد . يقول : إن قريشا منقسمة على أنفسها فى سبيل الملك ، فمن هلك منها فبيد بنيها .

(٢) الثغامة : شجرة بيضاء الزهر ، أى أشيب . تسرى : تسير ليلا .

(٣) أخلاء جمع خلو : أى خالٍ أى ليس عليهم وزر فيما نحن فيه من شقاق .

(٤) الحرمة : المهابة والذمة وما لا يحل انتهاكه . الملاء جمع ملاءة : الريطة والثوب يلبس على الأنخاذ .

(٥) العاكف : المقيم فى المسجد . البادى : من هو خارجه ، والمراد من فى مكة وخارجها .

(٦) لخم وجذام وصداء وحمير من اليمن وعك من نزار .

(٧) السمك : السقف والقامة من كل شىء طويل ثخين . استقل : ارتفع .

(٨) غارة شعواء : حملة متفرقة ، يقصد حرب الأمويين وكانت دمشق الشام حاضرتهم .

(٩) تذهل : تنسى . البرى : حلقات السوار والقرط والخلخال ، المفرد برة . العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء . العذراء : البكر . ولا تسفر البكر إلا وقت الهول والفزع .

أَنَا عنكمْ بَنِي أُميَّةَ مُزْوَرٌّ، وأنتمْ في نفسيَ الأعداء (١)
إنّ قتلَى بالطَّفِ قد أوجعتْني كان منكمْ لئن قُتِلْتُمْ شفاء (٢)

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

عَادَ لَهُ مِن كَثيرَةَ الطَّرَبُ فَعَيْنُه بالدُّموعِ تَنْسَكِبُ (٣)
كُوفِيَّةٌ نازِحٌ مَحَلَّتُها لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ (٤)
واللهِ ما إنْ صَبَتْ إليَّ، ولا يُعْلَمُ بيْنِي وبيْنَها سَبَبُ (٥)
إلّا الذي أوْرثَتْ كَثيرَةُ في الْـ قلبِ، ولِلْحُبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ (٦)
لا بارَكَ اللهُ في الْغَوانِي فَمَا يُصْبِحْنَ إلا لَهُنَّ مُطَّلَبُ (٧)
أَبْصَرْنَ شَيْبًا عَلَا الذُّؤابَةَ في الرَّ أسِ حديثًا كأنه الْعَطَبُ (٨)
فَهُنَّ يُنْكِرْنَ ما رأيْنَ، ولَا يُعْرَفُ لِي في لِدَاتِيَ اللَّعِبُ (٩)
ما ضَرَّهَا لو غدا بحاجتنا غادٍ كريمٌ أو زائرٌ جُنُبُ (١٠)

(١) مزور : مائل وكاره .

(٢) الطف : موضع قرب مكة دار فيه القتال بين بني أمية والزبيريين . وترى في الأبيات حدبه على قريش عامة وكرهه بني أمية وذلك قبل استقرار الحكومة فيهم .

(٣) كثيرة : امرأة آوت الشاعر بالكوفة حين أهدر الخليفة دمه . تنسكب : تسيل .

(٤) نازح محلتها : بعيد منزلها . أمم : قريبة . صقب : مجاورة .

(٥) صبت : حنت . سبب : صلة .

(٦) سورة : حدة . (٧) مطلب : مطلب وحاجة .

(٨) الذؤابة : الناصية : شعر مقدم الرأس . العطب : الهلاك .

(٩) ينكرن : يعبن . لداتي : أقراني، جمع لدة .

(١٠) غاد : مبكر . جنب : غريب أو صاحب سفر — يريد ما يضرها لو زرتها .

لم يأتِ عن ريبــةٍ وأجْشَمَه الْـ ـحبُّ فأمسى وقلبــه وَصِبُ (١)
يا حبَّــذا يــثْرِبٌ ولذَّتُهــا من قبــلِ أنْ يَهْلِكوا ويحترِبوا (٢)
وقبْـل أنْ يخـرُجَ الذين لَهُمْ فيهـا السَّــنَاءُ العظيمُ والْحَسَب (٣)
بَغَتْ عَلَيهــمْ بِهـا عَشــيرَتُهمْ فَعُوجِلُوا بالجَــزَاء واطُّلِبُــوا (٤)

(١٤) قَطرىّ بن الفُجاءة (٥)

قال فى الحماسة :

لا يركَنَنْ أحدٌ إلى الإحْجَام يوم الْوَغَى مُتَخوِّفا لِحِمَامِ (٦)
فلقَــد أرانى للرِّماح دَرِيئَــةً مِنْ عَنْ يَمينى مَرَّةً وَأَمَامِى (٧)
حتى خَضَبْتُ بمـا تَحدَّرَ مِنْ دَمِى أكنافَ سَرْجى أو عِنَانَ لِجَامِى (٨)

---

(١) ريبة : تهمة . أجشمه : كلفه النصب . وصب : مريض .

(٢) يثرب : المدينــة . يحتربوا : يتحاربوا ، والضمير يعود على حزب ابن الزبير والذين حاربوهم من الأمويين ، وكان الشاعر زبيريا أكثر حياته .

(٣) السناء : الرفعة . الحسب : الشرف .

(٤) بغت : عدت . اطلبوا : أخذوا .

(٥) هو قطرى بن الفجاءة المازنى من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء ، قضى مدة طويلة فى حروب مع الأمويين حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ .

(٦) الإحجام : التراجع . الوغى : الحرب . الحمام : الموت .

(٧) الدريئة : الحلقة يتعلم الطعن والرمى عليها .

(٨) تحدر : سال . أكناف ، جمع كنف : الجانب . العنان : سير اللجام .

ثم ٱنْصَرفتُ، وقد أَصَبْتُ ولم أُصَبْ ‏ جَذَعَ البَصــيرةِ قارِحَ الإقــدامِ (١)

وقال :

أقولُ لهَــا وقــد طارَتْ شَــعاعًا ‏ من الأبطَالِ : وَيْحَــكِ ! لَن تُراعِى (٢)

فإنــكِ لو سألتِ بَقَــاءَ يَــومٍ ‏ على الأَجَــلِ الذى لكِ لم تُطاعِى (٣)

فصَــبْرًا فى مَجالِ المــوت صَبْرًا ‏ فمَــا نيــلُ الخــلودِ بمُســتَطَاعِ (٤)

ولا ثــوْبُ البقــاءِ بثَــوْب عِزٍّ ‏ فيُطْوَى عنْ أخى الخَنْــع اليَــرَاعِ (٥)

ســـبيلُ المــوت غايةُ كلِّ حىٍّ ‏ فَداعيــهِ لأهــلِ الأرضِ داعِ (٦)

ومن لا يُعتَبَطْ يَسأمْ ويهــرمْ ‏ وتُســلِمْه المَنُــونُ الى انقطاعِ (٧)

وما للمــرْءِ خــيرٌ فى حَيــاةٍ ‏ إذا ما عُدَّ من سَــقَطِ المتَــاعِ (٨)

---

(١) جذع : شاب . البصيرة : العقل والفطنة والحجة . القارح من ذى الحافر : ماشق نابه وطلع، والمراد القوى .

(٢) لها : لنفسه . طارت شعاعا : تبددت من الخوف . ويحك ! : رحمة لك منصوبة بإضمار فعل . تراعى : تفزعى .

(٣) الأجل : غاية العمر .

(٤) مجال الموت : ميدانه .

(٥) الخنع : اللين، وبالضم الذل . اليراع : الجبان .

(٦) داعى الموت : سببه من فناء العمر .

(٧) يعتبط : يموت شابا . تسلم : تترك .

(٨) سقط المتاع : رديئه .

(١٥) وقال عمران بن حطان(١) أحد شعراء الخوارج يخاطب روح بن زنباع لما دعاه لمقاتلة عبدالملك بن مروان، فارتحل تاركا له هذه الأبيات.

يا رَوحُ كم مِن أخى مَثْوًى نزلتُ به ... قد ظَن ظَنَّك من لَخْمٍ وغَسَّانِ(٢)

حتى إذا خِفتُه فارقتُ منزلَه ... من بعدِ ما قيلَ : عِمرانُ بن حِطَّان!(٣)

قد كنتُ جارَك حولًا ما تُرَوِّعُنِي ... فيه رَوائعُ من إنسٍ ومن جَان(٤)

حتى أردتَ بىَ العُظمى فأدركنِي ... ما أدْرَكَ الناسَ من خَوفِ ابنِ مَرْوان(٥)

فاعذِر أخاكَ (ابنَ زِنباع) فإنّ لَه ... فى النَّائبات خُطوبا ذاتَ أَلوانِ(٦)

يومًا يَمانٍ إذا لَاقيتُ ذا يَمَنٍ ... وإن لَقِيتُ مَعَدِّيًا فَعَدْنَانى(٧)

لو كنت مستغفِرًا يوما لطَاغِيةٍ ... كنتَ المقدَّمَ فى سِرِّى وإِعلانى(٨)

لكنْ أَبتْ لِىَ آياتٌ مُطَهَّرةٌ ... عندَ الوِلاية فى طَهَ وعِمرانِ(٩)

---

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسى بالبصرة حيث تعلم وتأدب، وأصبح شاعرا مجيدا صادقا فى شعره دينا وورعا . ثم اعتنق مذهب الشراة من الخوارج فطارده الحكام . وأخذ يتنقل بين العراق والشام وعمان متخفيا حتى مات بالكوفة سنة ٨٩هـ . ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الأداء وقوة العقيدة.

(٢) المثوى : منزل الضيافة . أخو : صاحب . ظن ظنك : رأى فى رأيك من أنى رجل هين . لخم وغسان من اليمن من كهلان .

(٣) أى من بعد ما عرفته حقيقتى تركته . (٤) تروعنى : تفزعنى .

(٥) العظمى : لقاء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى . وكان حربا على الخوارج .

(٦) الخطوب : جمع خطب ، الأمر العظيم .

(٧) يمان : أى أنا يمان أنتسب الى اليمن . وكان عمران أثناء هربه ينتسب لمن ينزل به بما يلائمه فهو عند ابن زنباع أزدى، وعند زفر بن الحارث أوزاعى . (٨) الطاغية : الجبار .

(٩) أبت : منعتنى الاستغفار لك . آيات جمع آية : كلام من القرآن منفصل بفاصل لفظى . الولاية : السياسة . طه وعمران : سورتان فى القرآن . وكان الخوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال .

وقال يخاطِب زُفَر بن الحارث الكلابى ، وكان قد نزل به بعد روح بن زِنباع مُخفيا نسبه ؛ فلما حاول زفر معرفته هرب وخلَّف له رُقعة فيها :

إنّ التى أصبحتْ يَعيَا بها زُفَرُ ... أَعْيَتْ عَيـاءً على رَوح بنِ زِنبـاعِ(١)

ما زالَ يَسألُنى حَـولًا لِأُخـبرَه ... والناسُ من بَينِ مخدُوعٍ وَخَدّاع(٢)

حـتى إذا انقَطعَتْ عَـنِّى وسائلُهُ ... كَفَّ السؤالَ ولم يُولَع بإهلاع(٣)

فاكفُف كما كفَّ عنى إنّنى رَجُل : ... إمّا صَميمٌ ، وإما فَقْعَـةُ القَـاعِ(٤)

واكفُف لسانَك عَنْ لَومى ومسألَتى ... ماذا تُريد إلى شَـيخ لأَوْزَاع !(٥)

أما الصـلاةُ فإنى غيرُ تارِكـها ... كُلُّ امرئ للذى يُعـنَى به ساعِ(٦)

أَكرِم بروح بن زِنبـاعٍ وأُسرتِه ... قـومٌ دعا أَوَّلِيهِـم للعُـلا دَاعِ(٧)

جَاوَرتُهـمْ سَـنةً فيما أُسَرُّ به ... عِرضى صحيحٌ ونَومى غيرُ تَهْجَاع(٨)

فاعمَـل ؛ فإنك مَنْعِىٌّ بِواحـدةٍ ... حَسبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِ(٩)

---

(١) يعيا بها : يعجز عنها . أعيت عليه : أعجزته . والمراد معرفة ذاته .

(٢) مخدوع : مصدق ما أقول . خداع : ماكر محتال .

(٣) الوسائل جمع وسيلة : السبب . يولع بالشىء : يحبه ويتعلق به جدا . إهلاعى : إفزاعى .

(٤) صميم : خالص النسب الى قومه . الفقعة : الكمأة البيضاء لاعروق لها ولا أغصان . القاع : أرض سهلة . فقعة القاع : لا أصل له .

(٥) الأوزاع : الجماعات . وبطن من همدان

(٦) يعنى به : يهتم به .

(٧) أوليهم جمع أول : أى آباءهم ، فهم أمجاد .

(٨) فيما أسر به : من الأنس والكرم . تهجاع : نوم خفيف .

(٩) منعى : مخبر بوفاتك . حسب : يكفى . ناع : مخبر . هذا : فاعل . الشيب : بدل .

وقال يرثى أبا بلال مِرداس بن أدَيَّة من الخوارج :

لقد زادَ الحياةَ إلىّ بُغْضًا وحُبًّا للخُروج أبُو بِلال (١)

أحاذِرُ أن أَموتَ على فِراشى وأرجُو الموتَ تحت ذَرَا العَوالى (٢)

ولو أنّى علِمتُ بأنّ حَتْفِى كحَتفِ أبى بلالٍ لم أُبالِ (٣)

فمَن يَكُ همُّهُ الدنيا فإنّى لها واللهِ ربِّ البيت قالِى (٤)

وقال فيه أيضا :

ياعينُ بكّى لِمِرْداسٍ ومَصرَعِهِ يارَبَّ مِرداسٍ آجعلنِى كمِرداسِ (٥)

تركْتَنِى هائما أبكى لِمَرزئَتى فى مَنزِلٍ مُوحِشٍ من بَعدِ إيناسِ (٦)

أنكرتُ بعدَك ما قد كنتُ أعرِفُهُ ما الناسُ بعدكَ يامِرداسُ بِالناسِ (٧)

---

(١) الخروج : الانضمام الى الخوارج فى القتال .

(٢) ذرا : ظل . العوالى : جمع عالية ، أعلى القناة .

(٣) الحتف : الموت .

(٤) قال : كاره .

(٥) المصرع : الطرح على الأرض ، يقصد قتله .

(٦) هائما : حائرا . المرزئة : المصيبة العظيمة .

(٧) أنكرت الشىء : أبغضته لأنه تغير الى حال سيئة .

إمّا شربْتَ بكأسِ دارَ أوّلُها ، على القُرون فذاقُوا جُرْعةَ الكاسِ [١]
فَكُلُّ من لم يَذُقْها شارِبٌ عجِلًا منها بأنفاسِ وِرْدٍ بعدَ أنْفَاسِ [٢]

(١٦) قال الطِّرِمّاح بن حَكيم من الخوارج : [٣]

وإنى لَمُقتادٌ جوادى وقاذِفٌ به وبنفسى العامَ إحدَى المقاذِفِ [٤]
لأكسِبَ مالًا أو أؤُولَ إلى غِنًى من الله يكفينى عُداةَ الخلائف [٥]
فيارَبِّ إن حانتْ وفاتِى فلا تكُنْ على شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْرِ المطارِف [٦]
ولكنّ قبْرِى بطنُ نَسْرٍ مَقِيلُه بجوِّ السماءِ فى نُسورٍ عواكف [٧]
وأُمسِى شهيدا ثاوِيًا فى عِصابةٍ يُصابُون فى فجٍّ من الأرض خائف [٨]

---

(١) جرعة : بلعة . إما مركبة من أن الشرطيسة وما الزائدة، والبيت التالى دليل الجواب أى فلا تحزن .

(٢) أنفاس : جمع نفس . الورد : الماء الذى يورد والمقصود الموت .

(٣) الطرماح بن حكيم الطائى شامى النشأة يجيد الفخر والمديح ، ورد الكوفة فى جيوش الشام ، واتصل بأحد الشراة من الخوارج ، فدعاه هذا الى مذهبه حتى اعتقده أشد اعتقاد وأصحه ومات خارجيا سنة ١٠٠ هـ .

(٤) مقتاد : قائد . قاذف : رام . المقاذف : الأماكن البعيدة .

(٥) أؤول : أصير . عداة : جمع عاد وهو العدو . الخلائف : جمع خليفة . وكان خلفاء بنى أمية حربا على الخوارج .

(٦) حانت : قربت . الشرجع : السرير أو النعش . المطارف : جمع مطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام .

(٧) مقيله : موضع قيلولته . عكفت الطير حول القتيل : استدارت .

(٨) ثاويا : مقيا . العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . الفج : الطريق الواسع بين جبلين . خائف : واق أو مخوف .

(١٧) قال الكُميت فى بَنى هَاشم : (١)

طَرِبتُ وما شوقًا الى البيضِ أطرَبُ ... ولا لَعِبًا منّى وذو الشَّيب يَلْعَبُ ؟ (٢)

ولم يُلهِنِى دارٌ ولا رَسمُ مَنزلٍ ... ولم يَتَطرّبْنِى بنانٌ مُخَضَّبُ (٣)

ولا أنا مِمّن يَزجُرُ الطيرَ همُّه : ... أَصاحَ غُرابٌ أم تَعرّض ثَعلبُ (٤)

ولا السانحاتُ البارِحاتُ عَشيّةً ... أَمَرَّ سَليمُ القَرنِ أم مَرَّ أَعْضَبُ (٥)

ولكن إلى أهلِ الفَضائِلِ والنُّهى ... وخيرِ بَنِى حَوّاءَ، والخيرُ يُطلَبُ (٦)

إلى النَّفَرِ البيضِ الذين بِحُبِّهم ... إلى اللهِ فيما نالَنِى أَتقرَّبُ (٧)

بَنِى هَاشِم رهطِ النبى ؛ فإنّنى ... بِهِم وَلَهُم أَرضَى مِرارًا وأَغضَبُ (٨)

---

(١) كان الكميت بن زيد الأسدى شاعرا خطيبا نشأ فى الكوفة وتأدب على علمائها وأخذ عن الأعراب وعالج الشعر حتى نبه شأنه واتصل بالولاة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم . وقد لقى فى سبيل مذهبه الشيعى والعدنانى بلاء كثيرا وتوفى سنة ١٢٦ هـ . وتلمح فى شعر الكميت آثار الحفظ الكثير لأشعار سابقيه مع سبك حسن وإخلاص لرأيه حتى أثار الفتنة بين عدنان وقحطان وفتح للشيعة طريق مناظرة خصومهم بالشعر كما ترى ذلك فى هذه القصيدة التى نشرحها .

(٢) البيض : جمع بيضاء يريد النساء . اللعب : العبث .

(٣) رسم : أثر . يتطربنى : يحملنى على الطرب .

(٤) الزجر : الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وأحواله على الحوادث المستقبلة .

(٥) السانحات جمع سانح : الطير يمر من اليسار الى اليمين وهذا فأل حسن عند العرب . البارحات : عكس السانحات . الأعضب : المكسور القرن . يقول فما سبق : ليست تعنينى هذه الأمور التى تشغل الناس والشعراء وإنما همى أهل الفضائل الخ .

(٦) النهى جمع نهية : العقل .

(٧) البيض : المشهورون من الأشراف .

(٨) الرهط : القوم والقبيله .

خفضتُ لهم منّى جناحَىْ مودّةٍ ... إلى كَنَفٍ عِطفاهُ أهلٌ ومرحبُ[١]

وكنتُ لهمْ مِن هؤلاءِ وهؤلَا ... مِجَنّا على أنّى أُذَمُّ وأُقصَبُ[٢]

وأُرْمى وأَرْمِى بِالعَداوةِ أهلَها ... وإنى لأُوذَى فيهمُ وأُؤَنَّبُ

فما ساءنى قول آمرئٍ ذى عَداوةٍ ... بِعَوراءَ فيهمْ يَجتَدينى فأَجذَبُ[٣]

فقُل للذى فى ظِل عمياءَ جَونةٍ: ... تَرَى الجَور عدلا أين (لا أين) تَذهَبُ!؟[٤]

بأىِّ كتاب أم بأية سُنّةٍ ... تَرَى حُبَّهُمْ عاراً علىّ وتحسب؟[٥]

* * *

يُشيرون بالأيدى إلىّ وقولُهم: ... ألا خابَ هذا، والمشيرون أخيَبُ

فطائفةٌ قد كفّرتْنى بِحُبِّكُمْ ... وطائفةٌ قالوا: مُسِيءٌ ومُذنب

فما ساءَنِى تكفيرُ هاتيكَ مِنهم ... ولا عيبُ هاتيكَ التى هىَ أعيَبُ

يَعيبوننى مِن خُبّهم وضلالهم ... على حُبّكُمْ بل يَسخَرون وأَعجَبُ[٦]

وقالوا: تُرابىٌّ هَواهُ ورأيه، ... بِذلِك أُدعى فيهمُ وأُلَقَّبُ[٧]

على ذَاكَ إجرِيّاىَ، فيكم ضَريبتى ... ولو جَمعوا طُرًّا علىّ وأجلَبوا[٨]

(١) الكنف: الجانب والظل. عطفاه: جانباه، أى أهل لى مرحبون بى.

(٢) المجن: الترس وما يتقى به. أقصب: أشتم.

(٣) العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة. يجتدينى: يطلب منى اتباعه.

(٤) عمياء: ضلالة. جونة: سوداء.

(٥) كتاب: قرآن. سنة: كلام الرسول، والمراد بأى حق.

(٦) الخب: الخبث.

(٧) ترابى نسبة الى على بن أبى طالب الملقب بأبى تراب

(٨) اجرياى: خلق. طبيعتى: سنتى. ضريبتى: طبيعتى. أجلبوا: جمعوا الجموع أو توعدوا بالشر.

وأحمِلُ أحقادَ الأقارب فيكمُ ويُنصَبُ لِي فى الأبعدين فأنصَبُ(١)

بخاتَمكم غصبًا تجوزُ أمورُهم فلم أر غصبًا مثلَه يتغصّبُ(٢)

بحقكمُ أمست قُريشٌ تقودنا وبالفَذِّ منها والرديفَين تركبُ(٣)

إذا اتَّضعونا كارهينَ لبَيعةٍ أناخُوا لأخرى والأزمَّةُ تُجذَبُ(٤)

رِدافًا علينا لم يُسيمُوا رَعيّةً وهَمُّهمُ أن يَمْترُوها فيَحلُبوا(٥)

لِيَنْتِجوها فِتنةً بعد فِتنةٍ فيَفْتَعلُوا أفلاءَها ثم يَركبوا(٦)

أقارِبُنا الأدنَون منكم لعِلّة وساسَتُنا منهم ضِباع وأذؤُبُ(٧)

لنا قائدٌ منهم عَنيفٌ وسائقٌ يُقَحِّمنا تلكَ الجرائمَ مُتعبُ(٨)

---

(١) نصب له : عاداه وحاربه .

(٢) الخاتم : مايختم به الملك أو سواه . تجوز : تسير وتنفذ يتغصب : يغتصب . يقول : إنهم يحكمون الناس بحكم الذى استلبوه .

(٣) الفذ : الفرد وأول سهام الميسر . الرديفان : مثنى رديف وهو كل ما تبع شيئا أو الراكب خلف الراكب . والمعنى أنها تحكم مطمئنة وإن كانت دخيلة فى الحكم بلا حق .

(٤) اتضعونا : حكمونا وأصله اتضع البعير خفض رأسه ليضع قدمه على عنقه فيركب . أناخوا لأخرى : دبروا لمسألة أخرى . الأزمة : جمع زمام . والمعنى والأمور تسير .

(٥) ردافا : متتابعين . يسيم الماشية : يخرجها إلى المرعى . يمترى الناقة : يمسح ضرعها لتدر . والمعنى أنهم (بنى أمية) يحكمون الناس لينعموا بخيرات الملك دون أن يعنوا بصالح الرعية .

(٦) نتج الفرس : عنى بها حتى تضع . افلاء جمع فلو : الجحش أو المهر الصغير . افتعل : اختلق . والمعنى أنهم يدبرون الفتن ليحكموا .

(٧) أذؤب جمع ذئب .

(٨) يقحم الفرس راكبه : يرميه على وجهه . وقحمه فى الأمر : أدخله فيه من غير روية . الجرائيم جمع جرثومة . وهى الأصل أو قرية النمل . متعب : صفة سائق (الخليفة) .

وقالُوا : ورِثنَـاها أبانا وأمَّنـا ، ومَا ورثَتهُــمْ ذاكَ أُمٌّ ولا أبُ!(١)

يَرون لهُم حَقًّا على النـاسِ واجبـا سَـفاهًا ، وحقُّ الهاشِميِّين أوجَبُ(٢)

(١٨) قال جَميل بنُ مَعْمَر(٣) :

ألا ليْت أيامَ الصـفاءِ جَـديدُ ودَهْرًا تُولى يا بُثَيْنَ يعـود

فنغنَى كما كُنّا نكونُ وأنتُمُ صـديقٌ وإذ ما تبذُلين زهيـدُ (٤)

وما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ قولَها وقـد قرَّبتْ نِضوى أمِصْرَ تُريدُ؟ (٥)

ولا قولَهـا : لولا العُيون التي ترَى أتيتُك ، فاعذِرْنى . فَدَتْك جُدودُ! (٦)

خليلَيَّ ما أُخْفِي من الوجْدِ ظاهِرٌ ودَمعى بمـا أُخفِي الغَداةَ شَهيـدُ (٧)

ألا قد أرَى واللهِ أنْ رُبَّ عَبْرةٍ إذَا الدَّارُ شَـطَّتْ بيْنَنـا سَتَزيدُ (٨)

---

(١) ورثناها : أى الخلافة . (٢) سفاها : جهلا وباطلا

(٣) يعد جميل بن عبد الله بن معمر العذرى مثال الغزل البدوى العفيف ، نشأ فى البادية وأحب ابنة عمه بثينة ، وعرف بها ، وقال فيها شعرا كثيرا يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر . وقد لقى فى سبيل حبه العنت والنفى حتى لجأ إلى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان حيث مات سنة ٨٢ هـ وشعره جميل حسن الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة ويعده النقاد فى البادية نظير عمر بن أبى ربيعة فى الحاضرة وكلاهما حجازى خضعا لعوامل متقاربة .

(٤) نغنى : نقيم . نكون : نوجد . ما تبذلين : أى ما تنيلين من الوصل .

(٥) م الأشياء : من الأشياء . النضو : المهزول من الحيوان : يريد ناقته . يقول مهما أنس من شىء فلست أنسى قولها لى وقد قربت ناقتى أتريد مصر .

(٦) الجدود جمع جد بالفتح : وهو أبو الأب تدعو له بالسلامة وتفتديه بالأهل .

(٧) الوجد : الحب الشديد . الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٨) العبرة : الدمعة أو الحزن من غير بكاء . شطت : بعدت . أى سيكثر بكائى إذا افترقنا . ستزيد خبر عبرة والجملة خبر أن المخففة .

إذا قلتُ : مَابِي يا بُثَيْنَـــةُ قاتِلِي ... من الحُبِّ ! قالتْ : ثابِتٌ ويَزِيدُ ! (١)

وإن قُلْتُ : رُدِّي بعضَ عقْلِي أَعِشْ بِهِ ... مع الناس ، قالت : ذاكَ منك بَعِيدُ

فلا أنا مرْدُودٌ بمـا جِئتُ طالِبًا ... ولا حُبُّهـا فِيمَا يَبِيـدُ يَبِيـدُ (٢)

جزَتْكِ الجَوازِي يا بُثَيْنَ مَلامَةً ... إذا ما خليـلٌ بَانَ وهُوَ حَمِيـدُ ! (٣)

وقُلتُ لهـا : بَيْنِي وبينَكِ فاعْلَمِي ... من الله ميثاق لَهُ وعُهُـودُ

وقـد كان حبيكُمْ طَرِيفًـا وتالدًا ... وما الحُبُّ إلا طارِف وتلِيدُ (٤)

وإنَّ عَروضَ الوصل بيني وبَيْنَهَا ... وإنْ سهَّلَتْه بالمُنَى لصَعُودُ (٥)

فأَفْنيْتُ عَيْشِي بانتظاري نَوَالهـا ... وأَبْليْتُ ذاك الدَّهرَ وهْوَ جَدِيدُ

⁂

أَلا لَيْتَ شِـعْري هل أَبِيتَنَّ ليلةً ... بوادي القُـرَى إنِّي إذًا لَسَـعِيدُ (٦)

وهل أَهْبِطَنْ أَرْضًا تَظَلُّ رِياحُهَا ... لهـا بالثَّنَايا القَاوِيات وئيـدُ (٧)

---

(١) أي إذا قلت لها إن الحب سيقتلني قالت : إنه باق ، وسيزيد أيضا

(٢) أي فلم أنل ما طلبت من بعض عقلي ولا الحب يفنى لأستريح .

(٣) الجوازي : جمع جازية وهي المكافئة . يقول : اذا جوزي الأحبة بالثناء عليهم وقت الفراق فليس لك في نفسي الا العتب واللوم والبيت في الأصل جملة دعائية

(٤) الطريف : الجديد ، وضده التليد .

(٥) العروض : الطريق في عرض الجبل . صعود : مرتفع . والمعنى أن الوصل صعب المنال مهما تسهله بالوعود .

(٦) وادي القرى : بالحجاز شمالي المدينة . ليت شعري : أي ليتني أعرف ، جواب هذا الاستفهام المذكور بعد . يتمنى المبيت بهذا الوادي حيث كان يقيم الأحبة .

(٧) الثنايا جمع ثنية : وهي طريق في الجبل أو الجبل نفسه . القاويات : الخاليات . وئيد : صوت شديد . أي هل أحيا ثانية في تلك الأرض الخالية التي تعزف فيها الرياح حيث كنت أعيش ناعما بالهوى العذري .

وهل أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدَّهرِ مرَّةً ... وما رَثَّ من حبل الصَّفاءِ جَدِيد (١)

وقد تَلْتَقِي الأهواءُ من بعـدِ يأسَةٍ ... وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهى بَعِيدُ

وهـل أزجُرَنْ حَرْفًا عَلاةً شِمِـلَّةً ... بخَرْقٍ تُبارِيهـا سَـوَاهِمُ سُـودُ (٢)

على ظَهْرِ مَرْهوبٍ كأن نُشُـوزَهُ ... إذا جازَ هُـلَّاكُ الطريق رُقُـودُ (٣)

سَبَتْنِي بِعَيْنَيْ جُؤْذُرٍ وسْطَ رَبْرَبٍ ... وصَـدْرٍ كفاثُور اللُّجَيْن وجِيـدُ (٤)

فَمَن يُعْطَ فى الدُّنيا قَرِينا كَمِثْلِها ... فذلك فى عَيْشِ الحياةِ رَشِـيدُ (٥)

يموت الهَوَى مِنِّى إذا ما لَقِيتهـا ... ويحيـا إذا فارقتُهـا فيَعُـودُ

يقُولون: جاهِـدْ يا جميلُ بِغَزْوَةٍ ... وأىَّ جِهـادٍ غيرهُنَّ أُرِيدُ؟

لِكُلِّ حديثٍ بَيْنَهنَّ بَشَاشَـةٌ ... وكُلُّ قتيـلٍ بينهُنَّ شَهِيـدُ (٦)

ومن كان فى حُبِّى بُثَيْنَةَ يَمْـتَرِى ... فبَرْقاءُ ذِى ضَـالٍ علَىَّ شَهِيدُ (٧)

ألم تَعْلَمِى يا أُمَّ ذِى الوَدْعِ أنَّنِى ... أُضاحِكُ ذِكراكُمْ وأنتِ صَـلُودُ (٨)

---

(١) رث: بلى. ما مبتدأ خبره جديد.

(٢) أزجر الناقة: أصيح بها لتسرع. الحرف: الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة. العلاة: الناقة الطويلة. والشملة: السريعة. الخرق: القفر والأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح. تباريها: تسابقها. سواهم: جمع ساهمة وهى الناقة الضامرة.

(٣) مرهوب: طريق مخوف. نشوز جمع نشز: المكان المرتفع. رقود: نيام. هلاك الطريق: الذين ضلوه. رقود خبر كأن. (٤) سبتنى: أسرتنى. الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. الربرب: القطيع من بقر الوحش. الفاثور: الطست والجفنة. اللجين: الفضة. الجيد: العنق وهو بالرفع على أنه مبتدأ خبره (لها) محذوف.

(٥) القرين: الصاحب، والزوج. رشيد: موفق. (٦) بشاشة: سرور وبهجة.

(٧) يمترى، يشك. البرقاء: أرض غليظة ذات حجارة ورمل وطين أو كل شىء فيه سواد وبياض. وبرقاء ذى ضال إحدى برق بلاد العرب، يتخذ من مواقفه فيها شاهدا على حبه الشديد.

(٨) ذو الودع: طفلها يعلق عليه الودع وقاية، وهو محار صغير أبيض معروف. صلود: بخيلة.

(١٩) وقال عمر بن أبي ربيعة : [١]

قال لى صاحبي ليعْــلمَ مابى: أتُحبُّ القَتُولَ أُختَ الرَّبَاب؟[٢]

قلتُ : وجْدِى بها كَوجدِك بالعذْ ب إذا ما مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّراب [٣]

مَنْ رَسُولى الى الثُّرَيَّا بأنّى ضِقْتُ ذَرْعا بهجرها ؟ والكتّاب ![٤]

أزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَــل إذْ دَعَتْهَــا مُهْجتى ، ما لِقاتِلى من مَتَاب [٥]

حين قالت لها : أجيبى ! فقالَتْ : مَنْ دعانى ؟ قالت : أبو الخطَّاب [٦]

فأجابت عنــد الدُّعَاءِ كما لَبَّ ى رجالٌ يرجون حُسْنَ الثَّواب [٧]

أبْرَزُوهَا مِثْــلَ المَهَاةِ تَهَــادَى بَيْنَ خَمْس كَوَاعِبٍ أَتْرَاب [٨]

---

(١) ولد أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة القرشي بالمدينة فى بيت ترف ومجد متأثرا بالطبيعة الحجازية الرقيقة و بعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز . فكان عمر غزلا زعيم الغزلين جميعا . يمتاز شعره بسلاسة الأسلوب والافتنان فى الغــزل ولا سيما نوعه القصصى الذى تناول به نساء الأشراف فى مواسم الحج وغيره حتى تأذى به الناس ونفاه عمر بن عبد العزيز لذلك وكانت وفاته سنة ٩٣ ﻫ .

(٢) القتول : القاتلة . الرباب : جمع ربابة : وهى السحابة البيضاء ، وبها سميت المرأة .

(٣) كوجدك بالعذب الخ : أى كشوقك الى المـاء العذب حين تعطش جدا .

(٤) الثريا بنت على : إحدى صواحبات الشاعر . ضقت ذرعا بهجرها : لا أحتمله . والكتّاب : أيقسم به .

(٥) أزهقت : أهلكت . مهجتى : روحى . (٦) أبو الخطاب : كنية الشاعر .

(٧) أى أجابت إجابة الحاج يبغى الجزاء الجميل .

(٨) المهاة : البقرة الوحشية . تهادى : تمشى متمايلة . الكواعب جمع كاعب : وهى الفتاة الناهدة الثدى . أتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معك ، فهو فى سنك .

وهى مَكنونةٌ تحيّر منها في أَديم الخدّين ماءُ الشباب (١)

دُميةٌ عندَ راهب ذِي اجتهادٍ صَوّروها في جانب المحراب (٢)

ثم قالُوا : تُحبُّها؟ قلتُ بَهْرًا ! عَددَ النجمِ والحَصى والتُّراب ! (٣)

حين شَبَّ القتولَ والجيد منها حُسنُ لونٍ يرِفُّ كالزِّرْيَاب (٤)

أذكَرَتني من بهجةِ الشَّمسِ لما طَلعتْ مِن دُجُنَّةٍ وسَحاب (٥)

فارْجَحَنَّتْ في حُسنِ خَلقٍ عَميمٍ تتهادى في مَشيها كالحُباب (٦)

غَصَبتْني مَجاجةُ المِسك عقلِي فسلُوها ماذا أحلَّ اغتصابي (٧)

قلّدوها من القَرنفُل والدر رِ سِخاباً واهاً لَه مِن سِخَاب (٨)

وقال :

أَلم تَسأل الأطلال والمُتَربَّعا ببَطنِ حُلَيَّات دَوارسَ بَلقعا (٩)

إلى الشَّرْيِ من وادِي المغمَّس بُدِّلَتْ معالمُه وَبْلا ونكباءَ زعزعا (١٠)

---

(١) مكنونة : مصونة مستورة . تحير : اجتمع وتردد . أديم الخدين : بياضهما أو صفحتهما . ماء الشباب : رونقه وبهجته . (٢) الدمية : الصورة البديعة . الراهب : المنقطع للعبادة المحراب : القبلة أو صدر البيت . (٣) بهرا : حبا قويا . (٤) شبها : زادفي حسنها ، وأظهر جمالها . يرف : يلمع . الزرياب : الذهب . (٥) البهجة : الحسن . الدجنة : الظلمة .

(٦) ارجحنت : مالت واهتزت : عميم : تام . الحباب : الحية . تهادى : تمايل .

(٧) مجاجة المسك : ينتشر منها أريجه . (٨) السخاب : قلادة من قرنفل وغيره . القرنفل : نبات طيب الرائحة . واها له : عجبا من حسنه على جيدها .

(٩) الاطلال جمع طلل : وهو الشاخص من آثار الديار . المتربع : مكان إقامة الربيع . بطن حليات : موضع يظهر أنه قرب مكة . دوارس جمع دارس : أى زائل . بلقعا : قفرا . دوارس بلقعا حالان من الأطلال والمتربع . (١٠) الشرى : النخيل . المغمس : موضع بطريق الطائف . معالمه : معاهده جمع معلم . الوبل : المطر الشديد . النكباء : ريح انحرفت عن مهب الرياح . زعزعا : شديدة . يقول : تلك الأطلال بناحية هذا الوادى الذى بدلت بمعالمه أمطار ورياح .

فيبخَلْن أو يُخبِرنَ بالعلمِ بعد ما ... نكأْنَ فؤادًا كان قِدمًا مُفجَعا(١)

بهندٍ وأتراب لهند إذِ الهوَى ... جَميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يتصدَّعا(٢)

وإذ نحن مثلُ الماءِ كان مزاجُه ... كما صفّق الساقى الرحيقَ المشَعشَعا(٣)

وإذ لَا نُطيعُ العاذلينَ ولا نَرى ... لواشٍ لدينا يطلبُ الصَّرمَ مَطمعا(٤)

تنُوعتنَ حتى عاودَ القلبَ سُقمُه ... وحتّى تذكرتُ الحديثَ المودَّعا(٥)

فقلتُ لمطريهنَّ بالحُسنِ: إنما ... ضَرَرْتَ، فهلْ تَسْطيعُ نَفْعًا فتَنفعا؟(٦)

وأَشْريتَ فاستَشْرى وإن كان قد صحا ... فُؤادٌ بأمثالِ المهَا كانَ مُوزَعا(٧)

وهيّجتَ قلبًا كان قد ودَّع الصِّبا ... وأشياعَهُ، فاشفعْ عسَى أن تُشَفَّعا(٨)

لئن كانَ ماحدَّثتَ حقًّا فما أرى ... كمثلِ الأُلَى أَطريتَ فى الناسِ أربعا(٩)

فقالَ: تعالَ انظر. فقلتُ: وكيفَ بِى ... أخافُ مُقاما أن يَشيعَ فَيَشْنُعا؟(١٠)

---

(١) نكأ الجرح: قشره قبل برئه فندى. مفجعا: موجعا بهند وأترابها.

(٢) جميع: مجتمع. يتصدّع: يتفرّق.

(٣) مزاجه: ما يمزج به. صفق: حول الشراب ممزوجا من إناء الى آخر ليصفو. الرحيق: الخمر أو أفضلها. المشعشع: الممزوج. يقول: كنا ممتزجين امتزاج الماء بالخمر فى الشدّة والصفاء.

(٤) العاذلون جمع عاذل: وهو اللائم. الواشى: النمام. الصرم: القطيعة.

(٥) تنوعتن: تووصفن. أى أن كلا وصفت لصاحبتها ما تراه فيها من المحاسن. سقم القلب: مرضه من الحب. المودّع: الماضى.

(٦) المطرى: المادح المبالغ. ضررت: باذكاء الغرام فى نفسى. النفع هنا: صلته بهنّ.

(٧) أشريت فؤادى: حركته الى الهوى فتحرّك. صحا: ترك الباطل. موزعا: مولعا.

(٨) الصبا: جهلة الفتوة. الأشياع: جمع شيعة بالكسر وهى الفرقة. تشفع: تقبل شفاعتك فيصلنى.

(٩) أربع نسوة: أى لا أجد فى الناس أربع نسوة كاللواتى وصفت جمالا.

(١٠) مقاما: إقامة معهن. يشنع: يقبح.

فقالَ : اكتفِلْ، ثم التثِم، فأْتِ باغيا فسلِّم، ولا تُكثر بأن تتورَّعا(١)

فإنى سأُخفى العينَ عنكَ فلا ترَى مخافةَ أن يَفْشو الحديثُ فيُسمَعا

فأقبَلْتُ أهوِى مثلَ ما قالَ صاحبِي لِموعِدِه أُزْجى قَعُودًا مُوقَّعا(٢)

فلمَّا تَواقفْنا، وسلَّمتُ أشرقتْ وُجوهٌ زهاهَا الحسنُ أن تتقنَّعا(٣)

تبالَهْنَ بالعِرفانِ لمَّا عرفنَني وقُلنَ : امرُؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوضَعا(٤)

وقرَّبْنَ أسبابَ الهَوى لمُتيَّمٍ يَقِيس ذِراعا كُلَّما قِسنَ إصبَعَا(٥)

فلمَّا تنازعْنَا الأحاديثَ قُلنَ لي : أخِفتَ علينا أن نُغَرَّ ونُخدعا؟(٦)

فبالأمسِ أرسلنَا بذلك خالِدًا إليكَ، وبيَّنَّا لهُ الشأنَ أجمعَا(٧)

فما جئتَنا إلا علَى وَفقِ مَوعِدٍ علَى ملإٍ منَّا خرجْنَا له معَا(٨)

---

(١) اكتفل : استتر بالكفل وهو فى الأصل كساء يدار حول سنام البعير. التثم : اتخذ اللثام : وهو ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب . باغيا : طالبا . تتورّع : تحشم .

(٢) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق . القعود من الإبل : ما يقتعده الراعى فى كل حاجة . الموقع : الذى ظهرت به آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه .

(٣) تواقفنا : تقابلنا . زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقنع : عن أن تلبس القناع فأسفرت معجبة بجمالها .

(٤) تبالهن : ادّعين البله، وهو الغفلة . العرفان : المعرفة . باغ : طالب . أكل : أعيا وتعب . أوضع : حمل ناقته على السير السريع .

(٥) المتيم : الذى دلّهه الحب .

(٦) تنازعنا : تبادلنا .

(٧) الشأن أجمع : الأمر جميعه أى رسمنا له الخطة

(٨) الوفق : المطابقة . الملأ : الجماعة .

رأينا خَلاء من عُيونٍ ومجلسًا ... دَميث الرُّبا سهلَ المحَلَّةِ مُمرِعا[1]
وقُلنَ : كريمٌ نالَ وصلَ كرائمٍ ... فحُقَّ لهُ في اليومِ أن يتمتَّعا

وقال :

لَيْتَ هِنْدًا أنجزَتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفُسَنا مِمّا نَجِدْ[2]
واسْتبدَّتْ مَرَّةً واحِدةً ... إنَّما العاجِزُ من لا يَستَبِدْ
زَعَمُوهَا سألتْ جاراتِها ، ... وتعرَّتْ ذاتَ يومٍ تبْترِدْ :[3]
أَكَمَا ينعَتُني تُبصِرْنَني ؟ ... عَمْرَكُنَّ اللهَ ! أم لا يَقْتَصِدْ ![4]
فتضاحَكْنَ ، وقد قُلنَ لها : ... حسنٌ في كُلِّ عينٍ مَنْ تَوَدّ ![5]
حَسَدًا حُمِّلْنَهُ من شأنِها ... وقديمًا كانَ في النّاسِ الحَسَدْ

---

(١) الدميث : اللين ذو الرمل . الربا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض . ممرع : مخصب .

(٢) أنجزتنا ما تعد : وفت بوعدها . مما نجد : أي من الوجد .

(٣) تبترد : قصب الماء البارد على رأسها .

(٤) ينعتني : يصفني . عمركن الله : أي أذكركن الله . يقتصد : يعتدل ، فلا يبالغ .

(٥) أي أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

غادةٌ تَفْــتَرُّ عن أشنبِهـا | حين تجــلوه أقاحٍ أو بَرَد [(١)]
ولهـا عينانِ فى طرفَيْهـما | حَوَرٌ منها، وفى الجيـد غَيَد [(٢)]
قلتُ: مَن أنتِ؟ فقالتْ: أنا مَنْ | شفَّهُ الوجْدُ، وأبلاهُ الكَمَد [(٣)]
نحنُ أهلُ الخَيْفِ من أهل مِنًى | ما لِمقتُـولٍ قتلنـاهُ قَوَد [(٤)]
قلتُ: أهـلًا! أنتمُ بُغْيَتُنـا، | فتسمَّيْنَ! فقالَتْ: أنا هِنـد! [(٥)]
إنّمـا ضَـلَّل قلْبِي فاحتـوى | صَـعْدةً فى سَابِرِيٍّ تطَّـرِد [(٦)]
إنمـا أهـلُكِ جيرانٌ لنَـا | إنمـا نحنُ وهُمْ شيءٌ أَحَد [(٧)]
حَـدَّثُونا أنَّهـا لِى نفَثَتْ | عُقَدًا، يا حبَّـذا تلك العُقَد! [(٨)]
كُلَّمـا قلتُ: متَى ميعَادُنا؟ | ضحِكتْ هندٌ، وقالتْ: بَعدَ غد!

---

(١) الغادة: المرأة اللينة. تفتر: تظهر. الأشنب: الفم فى أسنانه ماء ورقة وعذوبة. تجلوه تكشفه. الأقاح: جمع أقحوان وهو البابونج البرى من نبات الربيع له نور أبيض. البرد: ماء الغمام يسقط جامدا.

(٢) الحور: شدة سواد العين مع شدة بياضها. الجيد: العنق. غيد: نعومة.

(٣) شفه الوجد: أهزله الحب. الكمد: الحزن الشديد.

(٤) الخيف: ناحية من منى عند مكة. القود: القصاص.

(٥) بغيتنا: مطلبنا.

(٦) ضلل: صار ضالا لا يهتدى. احتوى: اشتمل. الصعدة: القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج الى مثقف، شبه بها محبوبته فى اعتدال قدها. السابرى: الثوب الرقيق الجيد. تطرد: تمشى مستقيمة.

(٧) شيء أحد: أى شيء واحد.

(٨) نفثت عقدا: سحرتنى، والنفث: النفخ، والعقد تكون من خيوط وينفث فيها قصد السحر.

(٢٠) قال كُثَيِّر عزة [1] :

خليليَّ هــذا رَبعُ عَزةَ فاعقِـلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيثُ حلَّتِ [2]

وما كنتُ أدري قبلَ عزَّةَ ما الهوى ... ولا مُوجعاتِ الحزنِ حتى تولَّتِ

فقد حلفَتْ جَهدا بمـا نَحرتْ لَهُ ... قُرَيشٌ غداةَ المأزِمَــينِ وصلَّتِ [3]

أُناديـكِ ما حجَّ الحجيـجُ وكبَّرت ... بِفَيْفَا غــزالٍ رُفقــةٌ وأَهلَّتِ [4]

وكانَتْ بقطعِ الحَبلِ بيني وبينَهـا ... كَناذِرةٍ نَــذْرا فأوْفت وحَلَّتِ [5]

(١) لم يكن لكثير بن عبد الرحمن من المكانة فى الشرف والشعر الغزلى ما كان لجميل أو عمر أو سواهما من الغزلين ؛ فقد كان فيما يظهر دعيا فى الحب غير مرغوب فيه لقبح صورته وهوان شخصيته فوق تفاقه السياسى وتردده بين الشيعة و بنى أمية ، أخذ يشهر بعزة بنت حميد الضمرى حتى عرف بها وكانت وفاته سنة ١٠٥ هـ . وما بقى من شعر كثير يدل على أسلوب جيد وصنعة حسنة وان كان لا يبلغ فى صدق الشعور مبلغ أضرابه الغزلين .

(٢) الربع : الدار . عقل البعير : شدّ وظيفه الى ذراعه (قيده) . القلوص : الناقة الشابة أو الطويلة القوائم . يدعو صاحبيه المزعومين الى المكث عند ربع صاحبته والبكاء عنده وفاء لها .

(٣) الجهد : الطاقة . حلفت جهدا : بالغت فى اليمين . نحرت : ذبحت الضحايا . المأزم ، و يقال المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة وآخر بين مكة ومنى . والمعنى أقسمت بالله لتقطعنى .

(٤) أناديك : أجالسك من النادى والندىّ وهما المجلس كما فى الأمالى . الحجيج : جمع حاج وهو قاصد مكة للنسك . فيفاء الغزال : مكان بمكة لا ماء فيـه . الرفقة : مثلثة الراء : الأصحاب . أهلت : رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء .

(٥) الحبل : الوصل . أوفت النذر : أدّته ولم تغدر . حلت : خرجت من عهدته لما أوفته .

فقُلتُ لها : يا عَزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّت (١)

ولم يَلقَ إنسان من الحُب ميْعةً تعُمُّ ولا غمَّاءَ إلا تجلَّت (٢)

كأنى أنادى صَخْرةً حين أعرضَت من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصم زَلَّت (٣)

صَفوحاً فما تلقاكَ إلا بَخِيلةً فمن مَلَّ منها ذلكَ الوصلَ ملّت (٤)

أباحتْ حِمًى لم يَرعَه الناسُ قبلَها وحلَّتْ تِلاعاً لم تكنْ قبلُ حُلَّت (٥)

فليتَ قَلوصِي عندَ عَزةَ قُيِّدت بحبْلٍ ضعيفٍ غُرَّ منها فضَلَّت (٦)

وغُودِرَ فى الحيِّ المقيمينَ رَحلُها وكانَ لها باغٍ سِوَاى فبَلَّت (٧)

وكنتُ كذى رِجلَينِ رجلٍ صَحيحةٍ ورجلٍ رَمَى فيهَا الزمان فشَلَّت (٨)

وكنتُ كذاتِ الظَّلع لما تحامَلت على ظَلعِها بعدَ العثار استَقلَّت (٩)

---

(١) وطنت : مهدت وأعدّت . ذلت : سهلت ولانت .

(٢) الميعة : الشدّة وأوّل الشيء وأصله . الغماء : الكرب تجلت : انكشفت وزالت .

(٣) الصم : جمع أصم : الصلب . العصم : جمع أعصم وهو الوعل فى ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . زلت : زلقت يقول : لما أعرضت عنى لا تجيب ندائى كأنى أدعو صخرة صلبة عظيمة ملساء لا تستقر عليها الوعول .

(٤) الصفوح : المرأة المعرضة الهاجرة . بخيلة بالوصل : لا تبذله .

(٥) الحمى : ما يحمى ويدفع عنه والمراد قلب الشاعر الذى احتلته . يرعاه الناس يدخلون اليه . التلاع . جمع تلعة وهى الأرض المرتفعة أو المنخفضة ، ويريد أنها ملكت عليه نفسه بالحب حين لم يستطع ذلك سواها

(٦) غر منها : قطع .

(٧) رحل الناقة : ما يوضع على ظهرها كالسرج . باغ : طالب . بلت : نجت وذهبت .

(٨) رمى فيها الزمان : أصابها بالتلف . شلت : قطعت أو يبست

(٩) الظلع : العيب والغمز فى المشى . تحاملت على ظلعها . تكلفت الناقة السير على رغمها . استقلت : استقام مشيها . يتمنى لو أتيح له ما يعطل سفره فيبقى مع عزة .

أُرِيدُ الثواءَ عِنـدها ، وأظنُّها ... إذا ما أطلْنا عندها المكثَ مَلَّت (١)

فمـا أنصفتْ : أما النساء فَبَغَّضت ... إلَيَّ ، وأمّا بالنـوالِ فَضَنَّت (٢)

فإن تَكن العُتْبَى فأهلًا ومرحبًا ! ... وحَقَّت لهـا العُتبَى لدينَـا وقلّت (٣)

وان تكُن الأخرى فإنَّ وراءَنا ... مَنَادِحَ لو سَارت بها العيسُ كَلَّت (٤)

خليليّ إن الحـاجبيّةَ طَلَّحت ... قلوصيكما ونَاقتي قـد أكلّت (٥)

فوالله ثم اللهِ ما حَـلَّ قبلَهـا ... ولا بعدَها مِن خُلةٍ حيث حَلَّتِ

وما مرَّ مِن يومٍ علَىَّ كيومِها ... وإن عظُمت أيامُ أخرَى وجَلَّت

وأضحتْ بأعلَى شاهقٍ من فؤادِه ... فلا القلب يسلاها ولا العينُ ملَّتِ (٦)

فَيَاعجبًا للقلبِ كيفَ اعترافُه ... وللنفس لمّـا وُطِّنت كيفَ ذلَّت (٧)

وإني وتَهيامي بِعـزةَ بعـد مَا ... تخلّيتُ ممـا بينَنـا وتخلَّت (٨)

لكا لمرتجِى ظِـلَّ الغَمامَةِ كلّمـا ... تبـوّأ منهـا للَمقِيـل اضمحلّتِ (٩)

---

(١) الثواء : الاقامة . (٢) ضنت : بخلت .

(٣) العتبى : الإعتاب ، يقال عاتبنى فلان فأعتبته إذا نزعت عمـا عاتبنى عليه . أى إذا عدلت عن القطيعة والصد سررنا وأعتبناها كذلك . قلت : أى هى شىء قليل محتمل .

(٤) الأخرى : يقصد القطيعة والهجر . المنادح : الواسعة البعيدة من الأرض . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . كلت : أعيت من السير .

(٥) طلحت : أكلت وأتعبت . والحاجبية : لعله لقب عزة .

(٦) الشاهق : المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها .

(٧) اعترافه : صبره . يريد قوة صبره على أهوال الحب . وخضوع نفسه لو بلائه .

(٨) التهيام : كالجنون من العشق . تخلى من الشىء : تركه .

(٩) الغمامة : السحابة أو البيضاء خاصة . تبوأ المكان : نزل فيه . المقيل : النوم نصف النهار . اضمحلت : انقشعت . يشبه تعلقه بعزة بعد القطيعة باللاجئ الى ظل سحابة ، ووجه الشبه الطمع فى غير مطمع .

كأنّي وإياها سَحَابةُ مُمحِلٍ رجَاها فلمّا جَاوزته استهلّت (١)

فإن سَأل الواشون : فيم هجرتَها فقل : نفسُ حُرٍّ سُلِّيَت فتسلّت!

(ج) النثر

(١) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب الى هرقل ملك الروم :

من محمد رسولِ الله الى هِرَقْل عظيم الروم ، سلام على مَن اتَّبَعَ الهُدى . أما بعدُ فإنّي أَدعوك بدِعايةِ الإسلامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤتِك الله أَجْرَك مرّتين . فإنْ تولّيتَ فإنّ عليك إثمَ الأَرِيسِيِّين (٢) . ويا أَهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألّا نعبُدَ إلا الله ولا نُشرِكَ به شيئاً ولا يَتّخذَ بعضُنا بعضًا أرْبابًا مِن دُونِ اللهِ فإنْ تولّوْا فقولُوا اشهدُوا بأنّا مُسلمون .

وكُتِبَ فى صلح الحُدَيْبِيَةِ (٣) بينه وبين قريش :

باسمِكَ اللّهمَّ ، هذا ما صالحَ عليهِ محمدُ بنُ عبدالله ، سُهيلَ بنَ عمرٍو ، اصطلحا على وَضعِ الحربِ عَنِ الناسِ عَشرَ سِنِينَ ، يأمَنُ فيهنّ النّاسُ ويَكُفُّ بعضُهم عن بعض على أنّ مَنْ أتى محمدًا مِن قُريش بغيرِ إذنِ وَلِيّه رَدّهُ عليهم ، ومن جاء قريشًا مِمّن مع

(١) المحل : المجدب يعوزه المطر . جاوزته : بعدت عنه . استهلت : أمطرت .

(٢) الأريسيون : الفلاحون والعمال لأنهم تبع لساداتهم وكبرائهم .

(٣) الحديبية : قرية صغيرة بينها وبين مكة مرحلة نزل بها النبي عليه السلام سنة ست للهجرة قاصدا مكة لزيارة الكعبة معتمرا فأرادت قريش منعه الدخول مخافة العار وبعد تراسل بينهما تصالحا على ما فى هذه الصحيفة .

محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة[(١)] ، وأنه لا إسلال ولا إغلال[(٢)] ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، وإنّ معك سلاح الراكب والسيوف فى الركب ، فلا تدخلها بغير هذا .

خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق الله وعده[(٣)] ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كلُّ مأثرة أو دم أو مال يُدّعى فهو تحت قدميّ هاتين[(٤)] : إلا سدانة البيت وسقاية الحاج[(٥)] ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا فيه الدية مغلظة فيها أربعون خلفة[(٦)] ، فى بطونها أولادها . يا معشر قريش إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية[(٧)] وتعظّمها بالآباء . الناس من آدم وآدم خُلق من تراب . ثم تلا هذه الآية : ﴿ يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير ﴾ .

---

(١) العيبة : موضع السر أو الخريطة للابس والمراد الأمن .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية والرشوة . الإغلال : الخيانة .

(٣) ماوعدهم به من فتح مكة وهزيمة الأحزاب أعدائه .

(٤) المأثرة : الجميل . الدم : القتل .

(٥) سدانة الكعبة : خدمتها . سقاية الحاج وسدانة الكعبة : كانا من عمل الهاشميين منذ الجاهلية .

(٦) الخلفة : الناقة الحامل .

(٧) نخوة الجاهلية : جهالتها وسفهها .

يا معشرَ قريش ! ما تَرَوْن أنى فاعلٌ بكم ؟

قالوا : خيراً، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ .

قال : اذهَبُوا فانتم الطُّلَقاءُ (١) .

ومن خطبته فى حجة الوداع (٢)

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا . من يَهدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له . وأشهدُ أن لَا إلَهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أوصيكم عبادَ اللهِ بتقوى اللهِ، وأَحُثُّكُمْ على طاعَتِه، وأَسْتَفْتِحُ بالذى هو خيرٌ «أما بعدُ» أيها النّاس اسمعوا مِنّى أُبَيّنْ لَكُمْ، فإِنّى لا أَدْرِى لَعلّى لَا أَلْقاكُمْ بعدَ عامِى هذا، فى موقفِى هذا . أَيُّهَا النّاسُ إنَّ دماءَكم وأموالَكم حَرَامٌ عليكُمْ (٣) الى أن تلقَوا رَبَّكم، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا فى شَهرِكُمْ هذا فى بَلَدِكم هذا، أَلَا هلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ! فمن كانتْ عندَهُ أمانةٌ فليُؤدِّها إلى من ائْتَمَنَهُ عليها . و إن رِبَا الجاهليةِ مَوضُوعٌ (٤)، و إن أول رِبًا أبدأ به ربا عَمّى العباسِ بن عبد المطلب . و إن دماءَ الجاهليَّةِ موضوعة، و إن أولَ دمٍ أبدأُ به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، و إن مآثِرَ الجاهلية موضُوعَةٌ

---

(١) الطلقاء : جمع طليق، وهو الرجل الذى يؤسر ثم يخلى عنه .

(٢) آخر حجة له .

(٣) حرام سفك الدماء واغتصاب الأموال .

(٤) موضوع : ساقط لا حساب عليه .

غير السِّدَانَةِ والسِّقَايَةِ . والعَمْدُ قَوَدٌ[1]، وشِبْهُ العمد ما قُتِلَ بالعصا والحجر، وفيه مائةُ بَعيرٍ، فمن زادَ فهو مِنْ أهل الجاهليَّة . أيها النَّاسُ : إن الشيطان قد يَئِسَ أن يُعْبَدَ فى أرضِكُم هذه، ولكنَّهُ قد رَضِى أن يُطَاعَ فيما سِوَى ذلك مما تَحْقِرُون من أعمالكم .

أيها الناس إن لِنسائكم عليكم حَقًّا ولكم عليهن حقٌّ . لكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ غيرَكُمْ، ولا يُدْخِلْنَ أحدًا تكرهونه بيُوتَكُمْ إلا بإذنكم، ولا يأتِينَ بِفاحِشةٍ، فإن فَعَلْنَ فإن الله قد أذِنَ لكم أن تَعْضُلُوهُنَّ[2] وتَهْجُرُوهُنَّ فى المضاجع وتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ[3]، فإن انتهين وأطعنكُمْ فعليكم رِزْقُهُنَّ وكسوتُهُنَّ بالمعروفِ، فاتَّقُوا اللهَ فى النساءِ، واستَوْصُوا بِهِنَّ خيرا ، ألا هل بلَّغتُ؟ اللهُمَّ اشهد ! أيها الناسُ إنما المؤمنون إخوة، فلا يَحِلُّ لامرئٍ مالُ أخيه إلا عَنْ طِيبِ نفس منه ، ألا هل بلَّغتُ ؟ اللهمَّ اشهَد ! فلا تَرْجِعُنَّ بعدِى كُفَّارًا يَضرِبُ بعضُكم رِقَابَ بعض، فإنى قد تركتُ فيكم ما إِنْ أخذتُمْ به لم تَضِلُّوا بعده : كتابَ الله . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! أيها الناس إن ربكم واحد و إن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمُكم عند الله أتقاكُمْ، وليس لعربى على عجمى فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بلغتُ ؟ اللهم اشهد ! قالوا : نعم ! قال فَلْيبلِّغِ الشاهِدُ الغائبَ . والسلام عليكم ورحمة الله !

---

(١) القود : القصاص . والمراد بالعمد : القتل عمدا .

(٢) العضل : التضييق .

(٣) الضرب المبرح : الشديد الأذى .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إن مَثَلَ ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكان منها طائفةٌ طيبةٌ قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب (١) أمسكت الماء، فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعانٌ (٢) لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً (٣)، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعلم وعلّم، ومثل من (٤) لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به .

إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد (٥) نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار تقع فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن (٦) فيها، فأنا آخذ بحجزكم (٧) عن النار، وأنتم تقتحمون فيها .

أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك .

إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمّهم الله تعالى بعقاب (٨) .

مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى (٩) له سائر الجسد بالسهر والحمّى .

(١) أجادب : قيل جمع أجدب، جمع جدب : القفر الصماء . (٢) القيعان جمع قاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال . (٣) ذلك اشارة الى المثل الاول : الطائفة الطيبة . (٤) اشارة الى المثل الأخير . (٥) استوقد : أشعل . (٦) اقتحم في الشيء : دخل فيه من غير روية . (٧) الحجز : جمع حجزة : معقد الازار . (٨) يدل هذا الحديث على قيمة التناهي عن الشر في الجماعات والشعوب . (٩) دعا بعضها بعضا لمشاركته في الألم .

انْصُر أخاك ظَالمـًا أو مَظْلُومًا : قيل : أَنْصُرُه إذا كان مظلومًا، فكيف أنْصُره ظالمـًا ؟ قال : تَحْجزُهُ عن الظُّلم ؛ فان ذلك نَصْرُه .

ما أَكْرَمَ شابٌّ شيخًا لِسنّه إلا قَيَّض الله تعـالى له مَنْ يُكْرِمهُ عِنْدَ سِنِّهِ .

مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرا يُفقّهْهُ فى الدين .

نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع مِنّـا شيئًا فبلّغهُ كما سمعـه ؛ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى مِنْ سَامع .

وَيْلٌ[1] للّذِى يُحَدِّثُ بالحديث ليَضْحَكَ منه القوم فيَكذبَ ويلٌ له، ويلٌ له !

لايكن أحدُكمْ إِمَّعَةً[2] : يَقُولُ : أنَا معَ الناسِ، إنْ أحسنَ الناسُ أحسنتُ، وإنْ أَساءوا أَسأْتُ، ولكنْ وَطِّنُوا أنفُسَكُمْ إنْ أحسن النَّاسُ أن تُحْسِنُوا، وإن أساءوا أن تَجْتَنِبُوا إسَاءَتَهُمْ .

لا يؤمن أحدكم[3] حتى يحب لِأخِيهِ ما يحب لِنفسه .

الْمسلمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانه وَيده[4] ، والمؤمن من أمنَهُ النَّـاسُ عَلى دمائِهِم وأَمْوالِهم .

مَن لا يَشْكُرُ النَّـاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ[5] .

---

(١) ويل له : أى شر أو هلاك يحل به ، تستعمل فى التهويل والإنذار .

(٢) الإمعة : المتردد لا يثبت على رأى، كما يفسر ذلك سائر الحديث .

(٣) أي لا يكمل إيمان الشخص إلا بذلك .

(٤) أي من شر قوله وعمله .

(٥) أى من لايشكر الناس على المعروف فكأنه لم يشكر الله تعالى عليه لأن الناس وسيلة الخير اليه .

لاحَسدَ إلّا فى اثنتين : رجلٍ آتاه اللهُ الحكمةَ ، فهُو يَقضِى بهـا ويُعلِّمها ، ورجلٍ آتاه الله مالا ، فسلَّطه على هلَكته فى الحقِّ .

يَهرَم ابنُ آدمَ ويشُبُّ فيه اثنَتان : الحِرصُ علَى المـال والحِرصُ على العُمُر .

إنَّ مِن أحبكم إلىَّ وأقربكُم مِنِّى مجالِسًا يومَ القيامَةِ أحاسِـنكم أخلاقا ، وإن أبغضَكم إلىّ وأبعدَكم مِنى مجلِسًا يوم القِيامةِ الثرثارون والمتشدقون [١] والمتفيهقون قالوا : يارسولَ الله : ماالمُتَفَيهِقُون ؟ قالَ : المتكبِّرونَ .

كُلُّـكُمْ رَاعٍ وكُلُّـكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه : فالإمَامُ رَاعٍ وَمسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والرَّجُل رَاعٍ فى أَهْلِه ، وَهوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . والمرأة فى بَيْت زَوْجها راعيةٌ ، وهِيَ مَسْئُولَةٌ عن رعيَّتها ، والخادِمُ فى مَالِ سيّده رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته .

بينما رجلٌ يَمْشِى بِطريقٍ اشتَدَّ عَلَيْـهِ العَطَشُ ، فَوَجَد بئرًا فَنَزل فِيها فَشرِبَ ثمَّ خَرَجَ ، وإذا كَلْبٌ يَلْهَثُ [٢] يأْكُلُ الثَّرى مِن العَطَش ! فقَال الرَّجُلُ : لَقَدْ بلَغَ هَذا الْكَلْبُ مِن العَطَشِ مِثلَ الذى كان بَلَغ مِنى . فَنَزل البِئْرَ ، فملأَ خُفَّه ماءً ثم أمْسَكه بِفيهِ حتى يَرْقى ، فَسقَى الْكَلْبَ ، فَشكَرالله تعالى لَه ، فَغفَرَ لَه !

من يُحرَمِ الرِّفْقَ يُحْرمِ الخيْرَ كُلَّه .

خَيْرُ الصَّدَقَة ماكان عَن ظَهْرِ غِنًى . وابدا بمن تَعُولُ .

إذَا كَانوا ثَلاثَة [٣] فلا يَتَناجَى [٤] اثْنانِ دُون الثَّالِث ، فإنَّ ذَلِك يُحْزِنُه .

---

(١) الثرثار : الذى يكثر الكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحق ، المتشدق : الذى يلوى شدقه تعظما .

(٢) يلهث : يخرج لسانه من التنفس الشديد عطشا أو إعياء .

(٣) أى الجمع أو الجلوس . (٤) يتناجى : يتسار .

القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة ، واثنانِ فى النارِ ، فأما الذى فى الجنة فرجل عَرَفَ الحق فقضى به ، ورجلٌ عَرَفَ الحق وجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للنَّاسِ على جَهْلٍ فهو فى النار .

لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَه ، ثم يأتِى الجبل ، فيأتِى بحُزمة على ظهرِه فيبيعها خيرٌ له مِن أن يَسأل النَّاس : أَعْطَوه أو مَنَعُوه .

(٢) نموذج من كلام أبى بكر الصديق [١]

لما تُوفى الرسول عليه السلامُ واضْطَرَبَ النَّاسُ خَطَبَهم فقال :

أيُّها النَّاسُ : من كَانَ يَعْبُد محمدًا فإنَّ محمدا قد ماتَ ، ومن كان يَعْبد الله فإن الله حَىٌّ لا يموت ، وإن الله قد تقدم إليكم فِى أمرِهِ [٢] فلا تدعوه جزعا ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عِنده على ما عِندكم وقبضه إلى ثوابه ، وخلَّف فيكم كتابه وسنَّة نبيِّه ، فمن أخَذَ بهما عَرَف ، ومَن فرَّق بينهما أنكر . يأيُّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقِسطِ [٣] ولا يشغلنكم الشيطان بموتِ نبيكم ، ولا يفتننكم عن دينكم فعاجلوه بالذى تعجِزُونَه ولا تَستَنظِرُوه [٤] فيَلْحَقَ بكُمْ .

---

(١) هو عبد الله بن أبى قحافة القرشى نشأ عالما كريما حليما ، وكان أسبق الرجال إسلاما وأشدهم بلاء فى نصرة رسول الله . ولى شئون المسلمين بعد رسول الله فساسهم بحكمة ولين حتى توفى سنة ١٢ هـ .

(٢) أظهركم على نهايته بوفاته فلا تعرضوا عن قضاء الله جزعا .

(٣) القسط : العدل .

(٤) لا تستنظروه : أى لا تتأنوا عليه بل عاجلوه باعتزام الخير وإنفاذه .

خطبـــة له أخرى

وقد جاء مال من البَحْرَيْنِ ساوَى فيه بين الناس فغضب الأنصار [١] .

فحمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

يامَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، إنْ شِئْتُم أن تَقُولُوا : إنَّا آوَيْنَاكم فى ظِلَالنا ، وشَاطرْنَاكُم فى أمْوالِنا ، ونصرناكم بأنفُسنا — قلتم ، وإنَّ لَكُمْ منَ الفَضْل مالا يُحصِيه العَدّ وإنْ طَالَ به الأمدُ ، فنحنُ وأنتُم كما قال طُفيل الغَنَوِىُّ [٢] :

جَزَى الله عنَّا جَعْفرا حِينَ أَزْلَقَتْ ... بنا نعلُنا فى الواطِئين فزلَّتِ [٣]

أَبَوْا أن يَمَلُّونا ، ولَوْ أنَّ أُمَّنا ... تُلَاقِى الَّذِى يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

هُمُ أسكَنونَا فِى ظِلَالِ بُيوتِهِمْ ... ظِلَالِ بُيُوتٍ أَدْفأتْ وَأَظَلَّتِ

خُطبتُه يومَ السقيفَة [٤]

حَمِد اللهَ وأثْنَى عليه ثمَّ قال :

أيُّها النَّاسُ : نَحْنُ المُهاجِرُون، أولُ النَّاس إسْلامًا ، وأكْرَمُهم أحْسَابًا [٥] وأوْسَطُهُمْ دَارًا ، وأَحْسَنُهم وُجُوهًا ، وأكثرُ النَّاس ولادةً فى العَرب ، وأمسُّهم رَحِمًا برسُولِ اللهِ

(١) الأنصار : الذين نصروا الرسول بعد الهجرة الى المدينة وأكثرهم من الأوس والخزرج ، فقابلهم المهاجرون الذين يتحدث أبو بكر بلسانهم .

(٢) شاعر جاهلى من قيس .

(٣) كناية عن الحاجة وسوء الحال .

(٤) يوم السقيفة : يوم اجتماع العرب فى سقيفة بنى ساعدة عقب وفاة الرسول عليه السلام للنظر فيمن يخلفه ، وتنافس فى ذلك المهاجرون والأنصار .

(٥) الحسب : مفاخر الآباء .

صلى الله عليه وسلَّمَ . أَسْلَمْنَا قبلكم ، وقُدِّمْنا فى القرآن عليكُمْ ، فقال تبارك وتعالى ﴿والسابقُون الأولونَ من المهاجرين والأنصارِ والذين اتَّبعوهُم بإحسانٍ﴾ فنحنُ المهاجرُون ، وأنتم الأنصارُ ، إخوانُنا فى الدِّينِ وشُركاؤنا فى الفَيْءِ (١) وأنصارُنا على العَدُوِّ . آوَيْتُمْ وواسَيْتُمْ . فجزاكم اللهُ خيرا ! فنحنُ الأمراءُ وأنتم الوزراءُ . لاتَدِين العربُ إلا لهذا الحَىِّ من قريش ؛ فلا تَنْفَسُوا (٢) على إخوانِكُمْ المهاجرينَ ما منَحهم اللهُ من فضله .

وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب

إنى مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بعدِى ومُوصِيكَ بتَقْوى الله . إن لِلهِ عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبلُه بالليل . وإِنَّه لا تُقْبَلُ نافلةٌ (٣) حتى تُؤَدَّى الفريضةُ ؛ فإنما ثَقُلَت موازينُ من ثَقُلَتْ موازينه يوم القيامة باتِّباعِهِمْ الحق فى الدُّنيا وثِقله عليهِمْ ، وحُقَّ لِميزَانٍ لا يُوضَع فيه إلا الحقُّ أن يكونَ ثقيلًا ، وإنما خَفَّتْ موازينُ مَنْ خَفَّتْ موازينه يومَ القِيامَةِ باتباعهم الباطلَ وخِفَّتِهِ عليهم ، وحُقَّ لِميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطلُ أن يكون خفيفا . إن الله ذَكَرَ أهلَ الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوزَ عن سيئاتهم ؛ فإذا ذكرتهم قُلْتَ : إنى أخاف أَلَّا أكونَ من هؤلاءِ ، وذَكَرَ أهل النار فذكَرُهْم بأسوإِ أعمالهم ولم يذكر حَسَنَاتِهِمْ ، فإذا ذَكَرْتَهُمْ قلت : إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذَكَرَ آيةَ الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ،

---

(١) الفيء : الغنيمة والخراج .

(٢) لا تنفسوا عليهم : لا تحسدوهم .

(٣) النافلة : السنة التى لا يلزم أداؤها بل يستحب . والفريضة : ما يلزم أداؤها من أمور الدين .

ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يُلْقِ بيده إلى التَّهْلُكَةِ(١) ، فإذا حفظت وصيتى فلا يَكُنْ غائبٌ أَحبَّ اليكَ من الموت وهو آتيكَ(٢) ، و إن ضيَّعْتَ وَصِيَّتِي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموتِ ولست بِمُعْجِزِ الله .

ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف فى علته التى مات فيها فقال له أراك بارئا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أَمَا إنِّى على ذلِكَ(٣) لشديدُ الوجعِ ، ولَمَّا(٤) لَقِيتُ منكم يا معشر المهاجرينَ أَشَدُّ عَلَيَّ من وجعى . إنى وَلَّيتُ أموركم خيرَكُمْ فى نفسى ، فكلكم وَرِمَ أنفُه(٥) أن يكونَ له الأمرُ من دُونه . والله لتتخذُنَّ نَضائِدَ الدِّيباج(٦) وسُتُورَ الحرير ، ولتألَمُنَّ النومَ على الصُّوفِ الأَذْرِبِيِّ(٧) كما يَأْلَمُ أحدُكم النومَ على حَسَكِ السَّعْدَانِ(٨) . والذى نفسى بيده لأن يُقَدَّمَ أحدُكم فتُضْرَبَ عنقُه فى غير حَدٍّ خيرٌ له من أن يَخُوضَ غمراتِ الدنيا(٩) . يا هَادِيَ الطريقِ جُرْتَ(١٠) . إنما هو والله الفَجْرُ أو البَجْرُ(١١) .

---

(١) التهلكة : الهلاك .

(٢) يريد أن العمل بالوصية يجعل الموت أحب اليه كما أن تضييعها يبغضه فى الموت مع أنه حتم .

(٣) ذلك اشارة الى البرء من المرض . (٤) اللام للتوكيد وما موصولة مبتدأ خبره أشد .

(٥) ورم أنفه : أى امتلأ غيظا ، وذكر الأنف . لتأثره بالغضب ، كما يقال شمخ بأنفه للتكبر ، أى رفع رأسه . (٦) النضائد : الوسائد ، المفرد نضيدة ، والمراد ما نضد فى البيت من أثاث . الديباج : الثوب سداه ولحمته من حرير ، والمراد الحرير . (٧) الأذربى : نسبة الى أذربيجان .

(٨) الحسك : الشوك . السعدان : نبت كثير الحسك . (٩) غمرات الدنيا : شئونها التى تحير الناس . (١٠) جرت : حدت عن جادة الصواب .

(١١) يقول : ان انتظرت حتى يضىء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وان سلكت الظلماء وقعت فى المكروه . وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا . البجر : الشر والداهية .

(٣) نبذة من كلام عائشة[١]

قالت على قبر أبيها :

نَضَّر اللهُ يا أبتِ وَجْهَكَ[٢] وشكرَ لكَ صالحَ سعيكَ ، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلا بإدبارك عنها ، وللآخرةِ مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أعظمَ المصائبِ بعدَ رسول الله[٣] صلى اللهُ عليه وسلَّم رزؤُك ، وأكبرَ الأحداث بعده فقدُك — إنّ كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ لَيَعِدُنا بالصَّبرِ عَنْكَ حُسْنَ العِوَضِ منكَ ، وأنَا مُسْتَنجِزَةٌ[٤] منَ اللهِ مَوْعِدَه منكَ بالصبرِ عنْكَ ، ومستَعِينةٌ كثرةَ الاستغفارِ لكَ . فَسَلامُ اللهُ عليكَ توديعَ غيْرِ قاليةٍ[٥] لِحَيَاتِكَ ، ولا زاريةٍ على القضاءِ فيكَ .

(٤) من آثار عمر بن الخطاب[٦]

رسالته فى القضاء الى أبى موسى الأشعرى[٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ عبدِ اللهِ عُمَرَ بنِ الخطَّاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيسٍ : سلامٌ عليك ، أما بعدُ فإنَّ القضاءَ فريضةٌ مُحكَمَةٌ وسُنَّةٌ متَّبعةٌ . فافْهمْ إذا أُدْلِىَ[٨] اليكَ ؛ فإنَّه

---

(١) هى السيدة عائشة بنت أبى بكر وزوج الرسول عليه السلام تزوّجها صغيرة ، فنشأت راوية للحديث عالمة بالدين متأدّبة بالأدب العالى . وقد كان لها فى الأحداث السياسية بعد وفاة الرسول مواقف مشهورة . (٢) نضر وجهك . جعله ناضرا ، أى حسنا جميلا ، كناية عن حسن المثوبة .

(٣) إن : شرطية . أى إن عظم رزؤك وفقدك فان كتاب الله الخ .

(٤) مستنجزة : طالبة الانجاز والوفاء . (٥) قالية : كارهة . زارية : عاتبة أو عائبة .

(٦) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشى ولد فى الجاهلية وربى فيها وعرف بالشجاعة والحزم والسيادة وقد هداه الله الى الاسلام بعد عداوة قوية ، فكان من أعظم أنصاره . فلما ولى الخلافة بعد أبى بكر قام بأعبائها خير قيام حتى قتل غيلة سنة ٢٣ هـ . ويعدّ عمر بن الخطاب من أبلغ الناس وأقواهم أسلوبا وأنقدهم للشعر وأرواهم له .

(٧) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله معروف فى مسألة التحكيم بين على ومعاوية . (٨) أى تقدّم اليه المتقاضون بحجتهم .

لا ينفع تكلم بحق لا نَفاذَ له . آسِ بَيْنَ الناسِ فى وَجهِـكَ وعدلِكَ ومجلسِك، حتى لا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فى حَيْفك، ولا ييأس ضعيفٌ من عدلك (١) (٢). البيّنةُ على مَن ادّعى، واليَمِينُ على من أنكَرَ. والصُّلحُ جائزٌ بين المسلمين إلّا صلحًا أحلّ حرامًا أو حرّم حلالًا . لا يَمْنعنّك قضاءٌ قَضَيْتَه اليومَ، فراجَعْتَ فيه عَقْلَك، وهُدِيتَ فيه لِرُشْدِك أَنْ ترجع الى الحقّ؛ فإن الحقّ قديمٌ، ومراجعةُ الحق خيرٌ من التّمادى فى الباطِلِ . الفهمَ الفهمَ فيما تَلَجْلج فى صدرِك (٣) مِمّا ليس فى كِتَابٍ ولا سُنة (٤) . ثم اعرف الأَشْبَاهَ والأمثالَ ، فقِس الأمورَ عندَ ذلك ، واعمِدْ الى أقربِها الى الله، وأشبهِها بالحقّ . واجْعل لمن ادّعى حقًّا غائبًا أو بَيِّنَةً أمدًا ينتهى اليـه، فاذا أحضر بيّنَتَه أَخَذْتَ له بحقّه، وإلا اسْتَحْلَلْتَ عليه القَضيةَ، فإنه أنْفَى لِلشّك وأجْلَى للعمى . المُسلمونَ عُدُولٌ بعضُهمْ على بَعضٍ إلا مجْـلُودًا فى حَدٍّ أو مُجَرَّبًا عليـه شهادةُ زُورٍ أو ظَنِينًا فى وَلَاءٍ أو نَسَبٍ (٥)، فانّ الله تولّى منكم السَّرائرَ ودرأ (٦) بالبيّنات والأَيمانِ . وإياكَ والقَلَقَ والضجرَ (٧) والتّأذّى بالخُصوم والتنكّر عنـد الخصومات ؛ فإن الحقّ فى مواطن الحق يُعْظِمُ الله به الأجرَ ويُحْسِنُ به الذخر؛ فمن صحّت نيته وأقبَلَ على نفسه كفاهُ اللهُ ما بينه

---

(١) آس بين الناس : سو بينهم .

(٢) الحيف : الميل أى ميلك معه لشرفه .

(٣) تلجلج : تردّد حتى كان موضع حيرة .

(٤) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

(٥) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة .

(٦) درأ : دفع يريد منع الحدود .

(٧) القلق والضجر : ضيق الصدر وقلة الصبر .

وبينَ الناسِ . ومن تَخَلَّق(١) للناس بما يعلم الله أنه ليسَ من نفسه شَانَهُ(٢) الله ، فما ظنُّكَ بثوابٍ عند الله عزّ وجلَّ فى عَاجِلِ رِزْقِه وخزائن رحمته(٣) ، والسلام .

وكتب الى أبى عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما اليه ينصحانه :

بِسم الله الرَّحمن الرَّحيم

من عُمر بنِ الخطاب الى أبى عُبيدَة عامر بن الجراح ومُعاذِ بن جَبل ، سلام عليكما فانى أحمد الله الذى لا إلهَ إلّا هُوَ (أما بعد) فقد جَاءنى كتابكما تزعُمانِ أنه بَلَغكما أنى وَلِيتُ أمرَ هذه الأمة أحمرِها وأسودِها(٤) يجلِسُ بين يَدَىَّ الصديقُ والعدُو والشريفُ والوضيعُ ، وكتبتُما أنِ انظُرْ كيفَ أنت يا عُمرُ عند ذلِكَ ، وإنّهُ لا حول ولا قُوّةَ لِعُمر عندَ ذلك إلا بالله . وكتبتُما تُحَذِّرَانى ما حُذِّرَتْ به الأممُ قبلَنا ، وقديما كان اختلافُ الليلِ والنهار بآجالِ الناس(٥) يُقرِّبَانِ كُلَّ بعيد ويُبْليان كُلَّ جديد ، ويأتيان بكل مَوعُود ، حتى يصير الناسُ الى منازِلهم من الجنةِ أو النار ، ثم تُوَفَّى كلُّ نفس بما كسَبت إن الله سريع الحساب . كتبتُما تزعُمان أن أمرَ هذِه الأمة ، يرجع فى آخر زمانها أن يكونَ إخوانُ العَلَانيــة أعْدَاءَ السريرة ولستم بذلك . وليس هــذا ذَلك الزمان ، ولكنَّ زَمَان ذلك حينَ تظهر الرغبــة والرهبة ؛ فتكون رغبةُ بعضِ الناس الى بعض

(١) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته .

(٢) شانه : ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا ورحمته فى الآخرة .

(٤) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود كناية عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٥) اختلافهما بآجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

إصلاح دينهم ورَهبةُ بعض الناسِ إصلاح دُنياهم . وكَتبْتُما تُعوِّذانني بالله أن أُنْزِل كتابكما مِنّي سِوَى المنزل الذى نَزَل من قُلُوبكما . وإنما كتبتما نصيحةً لى . وقد صدقتما . فتعهَّدانى منكما بكتاب ، فلا غِنًى بى عنكما . والسلام عليكما !

(٥) من خطب عثمان بن عفّان [١] :

إنّ لكل شيء آفة . وإن لكلّ نعمة عاهةً . وإن آفة هـذه الأمة وعاهة هذه النعمة عَيّابُون طَعّانُون ، يُظهرون لكم ما تحبون ، ويُسِرُّون ما تَكْرهُونَ ، يقولون لكُم وتَقُولون ، طَغَامٌ [٢] مثلُ النَّعام ، يتبَعُون أوّلَ ناعق ، أحبُّ مواردهم اليهم النازح [٣] . لقد أقررتم لابنِ الخطّاب بأكثرَ مِمّا نَقَمْتُم علىَّ ، ولكنه وقَمَكُمْ [٤] وقمعَكُمْ وزجركم زجر النعامِ المُخَزَّمةِ ، والله إنى لأقربُ ناصرا وأعز نفرا ، وأقْمَنُ إن قلتُ هَلُمَّ ! أن تجاب دَعْوتِى من عُمَر . هل تَفقِدُون من حُقوقكم شيئا ؟ فما لى لا أفعلُ فى الحق ما أشاء ؟ إذًا فلِمَ كنتُ إماما ؟

---

(١) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموى القرشى ، ولد فى الجاهلية وسبق الى الاسلام ، وأبلى فى نصرته . ثم ولى الخلافة بعد عمر بطريق الانتخاب الشورى . وبعد مدة ثار عليه أعراب من مصر والعراق بحجة إيثاره أقاربه . وحاصروه فى داره بالمدينة وقتلوه سنة ٣٥ هـ . وكان من أبلغ الناس وأوجزهم لفظا وأسلسهم أسلوبا بحكم نشأته القرشية ودراسته القرآن الكريم .

(٢) الطغام : أراذل الناس للواحد والجمع .

(٣) النازح : الناضب من نزحت البئر قل ماؤها أو نفد ومن معانيها البعيد جدا .

(٤) وقمكم : قهركم .

كتابه الى علىّ يستنجده حين أحيط به :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ فقد بلغ السيلُ الزُّبى[(١)]، وجاوز الحزامُ الطُّبْيَيْنِ[(٢)]، وطمع فىّ من لا يدفعُ عن نفسه، ولم يغْلِبْكَ مثلُ مُغَلَّب[(٣)] . فأَقْبِلْ إلىَّ صديقًا كنتَ أو عدُوا .

فإن كُنْتُ مأكُولًا فكُنْ خيرَ آكِلٍ ... وإلَّا فأدْرِكْنِى ولمَّا أُمَزَّقِ

(٦) بلغ علىَّ بن أبى طالب[(٤)] أن خَيلا لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان ، فخرج مُغْضَبا وخطب الناس:

أما بعدُ، فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة، فتحه اللهُ لخاصَّةِ أوليائه وهو لباسُ التقوى ودِرْعُ اللهِ الحَصينةُ وجُنَّتُهُ[(٥)] الوثيقَةُ ؛ فمن تركَهُ رغبةً عنه ألْبَسه اللهُ ثوبَ الذُّلّ، وشَمِلَهُ البلاءُ، ودُيِّثَ بالصَّغار والقَماءة[(٦)]، وضُرِبَ على قلبه بالأسداد ، وأُديلَ

---

(١) الزبى : جمع زبية : مصيدة الأسد وتكون فى قلة أو رابية أو هضبة . والتركيب كناية عن بلوغ الشدة أقصاها كما يصل السيل الزبية .

(٢) الطبيان مثنى طبى والجمع أطباء : مواضع الاخلاف (حلمات الضرع) ومجاوزة الحزام الطبيين كناية عن الإشراف على الهلاك . (٣) المغلب : الضعيف الذى يغلب كثيرا ، فاذا قدر عليك لا يرجع عنك . وهذا معنى ولم يغلبك مثل مغلب .

(٤) ولد على بن أبى طالب قبيل الاسلام ونشأ فى بيت مجد وشرف وكان أوّل من أسلم من الصبيان ثم صاحب الدولة الاسلامية فى أوّليتها مجاهدا وناصرها بعد وفاة الرسول حتى اذا قتل عثمان و بايعه أهل الحجاز قام فى وجهه معاوية ينازعه الخلافة وكانت بينهما فتن وحروب ومكاتبات الى أن قتل على غيلة سنة ٤٠ هـ بمسجد الكوفة وكانت هذه الحياة العنيفة سبب نبوغه فى الخطابة وتملكه زمام البلاغة التى تنطق بها آثاره الصحيحة . (٥) الجنة : الوقاية . (٦) ديث : ذلل . والقماءة : الذل والمهانة .

الحقُّ مِنهُ بتضييع الجهاد(١)، وسِيمَ الخسفَ، ومُنِعَ النَّصَفَ(٢) . ألا وَإنِّى قد دعوتُكم إلى قتالِ هؤلاء القومِ ليلاً ونهارا ، وسرا و إعلانا ، وقلت لكم : اغْزُوهُمْ قبل أن يَغْزُوكُمْ ، فوالله ماغُزِىَ قومٌ قط فى عُقْرِ(٣) دارهم إلا ذَلُّوا . فتواكلتم وتخاذلتم(٤) حتى شُنَّتْ الغَارَاتُ عَلَيْكُم، ومُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأوطانُ . وهذا أخو غَامِدٍ(٥) قد وردت خيلُه الأنْبَار(٦) ، وقد قَتَل حَسَّانَ بن حَسَّانٍ البَكرِىَّ ، وأزال خَيْلَكُمْ عن مَسَالِحِها(٧) . ولقد بلَغَنى أن الرجلَ منهم كان يَدخُل على المرأةِ المسلمةِ والأخرى المُعَاهِدَة ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا(٨) وقُلْبَهَا(٩) وقلائدها ورِعَاثَها(١٠) ، ما تمنع عنه إلا بالاسْتِرْجَاع(١١) والاسترحام . ثم انصرَفوا وافِرين(١٢) ، ما نال رجُلا منهم كَلْمٌ(١٣) ، ولا أُريقَ لهم دم ، فلو أن امرءًا مُسْلِمًا مات من بعد هذا أسَفًا ما كان به مَلُومًا ، بل كان به عندى

---

(١) أى صارت الدولة للحق بدله .

(٢) النصف : العدل .

(٣) عقر الدار : وسطها وأصلها .

(٤) تواكلتم : اتكل كل على الآخر . وتخاذلتم : خذل كل صاحبه .

(٥) هو سفيان بن عوف بعثه معاوية مغيرا على العراق .

(٦) الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقى للفرات .

(٧) المسالح : جمع مسلحة ، وهى الثغر حيث طروق الأعداء .

(٨) الحجل : الخلخال .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الرعاث : جمع رعثة بالفتح وتحرك : القرط .

(١١) الاسترجاع : قول (إنا لله و إنا اليه راجعون) .

(١٢) أى لم ينل أحد منهم فى مال أو بدن .

(١٣) الكلم : الجرح .

جَديرا . فياعَجبا والله يُميت القلب ويَجْلِبُ الهم : اجتماعُ هؤلاء القوم على باطلهم وتفرُّقُكُمْ عن حَقِّكم ، فقُبْحا لكم وتَرَحا(١) حين صرتم غَرضًا يُرْمَى ، يُغَار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُون . ويُعْصَى اللهُ وتَرْضَوْن ، فإذا أمرتكم بالسير اليهم فى أيام الحرّ قلتم : هذه حَمَارَّةُ القيظ(٢) ، أَمهلنا ينسلخ(٣) عنا الحَرُّ . وإذا أمرتكم بالسيرِ اليهم فى الشتاء قُلتم : هــذه صَبَارَّةُ القُرِّ(٤) ، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عنا البردُ . كلّ هــذا فرارًا من الحر والقُرّ فأنتم والله من السيف أفرّ . يا أشباهَ الرجالِ ، ولا رِجَال ! حُلُومُ الأطفال ، وعُقُولُ رَبَّات الحِجَالِ(٥) . لوددت أنّى لم أرَكُمْ ولم أعرفْكم ! معرفةٌ والله جَرَّتْ نَدمًا ، وأعْقَبتْ سَدَمًا(٦) . قاتلكم الله ! لقد ملأتُم قلبي قَيْحًا ، وشَحَنْتُمْ صدرى غَيْظًا ، وجرعتمونى نُغَبُ التَّهْمام(٧) أنفاسًا ، وأفسدتُم علىّ رأيِي بالعصيان والخذْلان ، حتى لقد قالتْ قُرَيش : إن ابنَ أبى طالب رجل شجاع ، ولكن لا علْمَ له بالحرب ، لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لهــا مِرَاسًا وأَقْدمُ فيها مَقامًا منّى ؟ لقد نَهَضتُ فيها وما بلَغْتُ العِشْرين وهأنذا قد ذَرَّفْتُ(٨) على الستين ، ولكن لا رَأْىَ لمن لا يطاع(٩) .

---

(١) الترح بالتحريك : الهم أو الفقر .

(٢) حمارة القيظ : شدّة الحرّ .

(٣) ينسلخ : يخف ويسكن .

(٤) أى شدّة البرد .

(٥) ربات الحجال : النساء . والحجال جمع حجلة : القبة ، وموضع يزين بالستور للعروس .

(٦) السدم : الهم أو مع أسف وغيظ .

(٧) النغب : جمع نغبة : الجرعة . التهمام : الهم .

(٨) ذرفت : زدت .

(٩) أى لا ينفع رأى للذى لا يسمع له .

وخطب فى استنفار الناس إلى أهل الشام فقال :

أفٍّ لكم ! لقد سئمتُ عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا ، و بالذُّل من العزّ خلفا . و إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم كأنكم من الموت فى غمرة ، ومن الذهول فى سكرة . يرتج عليكم حوارى فتعمهون [١] ، فكأنّ قلوبكم مألوسة [٢] فأنتم لا تعقلون ما أنتم لى بثقة سجيس [٣] الليالى ولا زوافرُ [٤] عزٍّ يُفتقرُ إليكمُ ، وما أنتم إلا كإبلٍ ضلّ رعاتُها ، فكلما جمعت من جانبٍ انتشرت من آخر ، لبئس لعمرالله سعرُ [٥] نارِ الحرب أنتم . تُكادون ولا تَكيدون وتُنتقَص أطرافكم فلا تمتعضون ، لا يُنام عنكم وأنتم فى غفلةٍ ساهون . غلب والله المتخاذلون . وأيم الله إنى لأظنّ بكم أن لو حمس الوغى [٦] واستحرّ الموت قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج الرأس [٧] . والله إن امرءا يمكّن عدوه من نفسه ، يعرُقُ لحمَه [٨] ويهشم عظمَه ، ويفرى جلدَه — لعظيم عجزُه ، ضعيف ما ضُمّتْ عليه جوانحُ صدرِه [٩] . أنتَ فكُن ذاك إنْ شئتَ ، فأمّا أنا فوالله دُون أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفيةِ يطير منه فراش الهام [١٠] ، وتطيح السواعد والأقدام ، ويفعل الله بعد ذلك مايشاء . أيها الناس إن لى عليكم حقا ، ولكم على حق ، فأمّا حقكم علىّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئكم [١١] عليكم ، وتعليمكم كى لا تجهلوا وتأديبكم كيما تعملوا ، وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة فى المشهد ، والمغيب والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم .

---

(١) يرتج عليكم : يغلق فلا تهتدون لفهمه . حوارى : محاورتى .
(٢) مألوسة : مخلوطة . (٣) سجيس الليالى : طول الليالى ، أى أبدا .
(٤) الزوافر : جمع زافرة : عشيرة الرجل أو ركن البناء .
(٥) السعر هنا : الوقود من سعر النار أوقدها .
(٦) حمس الوغى : اشتدت الحرب . استحر : بلغ غاية شدته .
(٧) أى انفراجا لا يلتئم . (٨) أى يأكل لحمه لا يبقى منه شيئا على العظم : و يفرى : يمزق .
(٩) جوانح الصدر : ضلوعه ، والمراد القلب .
(١٠) المشرفية : السيوف تنسب إلى قرى تدنو من الريف مشارف الشام . الهام : الرءوس ، جمع هامة . وفراشها : عظامها الرقيقة . (١١) الفىء : الخراج ومايحويه بيت المال .

وكتب الى مُعاوية جوابا عن كتاب منه[١] :

أمَّا طلبُكَ إليَّ الشامَ فإني لم أكُنْ لأعطِيَكَ اليوم مامَنَعْتُكَ أمسِ . وأما قولُكَ إنَّ الحربَ قد أكَلَتِ العربَ إلا حُشَاشَاتِ[٢] أنفُسٍ بَقِيَت، ألَا ومَنْ أكَلَهُ الحقُّ فإلى الجنة، ومن أكَلَهُ الباطلُ فإلى النار . وأما اسْتِواؤُنا فى الحرب والرجال فلستَ بأمضى على الشكِّ مِنِّى على اليقين ، وليس أهْلُ الشام بأحرصَ على الدُّنيا من أهل العِراقِ على الآخرة . وأما قولُكَ إنَّا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أُمَيَّةُ كهاشم، ولا حَرْبٌ[٣] كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبى طالب . ولا المهاجر كالطليق[٤]، ولا الصريح كاللَّصِيقِ[٥]، ولا المُحقّ كالمُبطِلِ، ولا المؤمن كالمُدْغِلِ[٦]، ولبئس الخَلَفُ يتبع سَلَفًا هوَى فى نَارِ جهنَّم . وفى أيدينا بعدُ فَضْلُ النُّبوَّةِ التى أذللنا بها العزيز ونَعَشْنَا بها الذليلَ . ولمَّا أدخل الله العرب فى دينه أفْوَاجًا أسْلَمَتْ له هذه الأُمَّةُ طوعًا وكَرْها،وكنتم مِمَّن دخل فى الدِّينِ إما رغبة و إما رهْبَةً[٧]،على حين فازَ أهلُ السَّبقِ بسبقِهم وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم ، فلا تَجْعَلْ للشيطان فيك نصيبًا ولا على نفسك سبيلا .

---

(١) كتب معاوية الى على يطلب منه أن يترك له الشام و يدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحروب و يخوّفه و يذكر له أنهما من شجرة واحدة فأجابه على بهذا الكتاب .

(٢) حشاشات : جمع حشاشة : بقية الروح .

(٣) حرب : جدّ معاوية، وعبد المطلب : جدّ على .

(٤) الطليق : من أسر فأطلق بالمن عليه أو الفدية . ومن ذلك معاوية وأبوه .

(٥) الصريح : صحيح النسب فى ذوى الحسب . واللصيق : من ينتمى اليهم وهو أجنبى .

(٦) المدغل : المفسد .

(٧) أى رغبة فى خير أو خوفا من شر ، أى غير مخلصين

(٧) خطبة معاوية حين قدم المدينة عام الجماعة [(١)]

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فإني والله ما وَلِيتُها [(٢)] بمحبة علمتُها منكم ، ولا مسرةٍ بولايتي ، ولكن جَالَدْتُكُم [(٣)] بسيفي هذا مُجالَدَةً . ولقد رُضْتُ [(٤)] لكم نفسي على عمل ابن أبي قُحَافة [(٥)] ، وأردتُها على عمل عُمَرَ فنفرت من ذلك نِفارًا شديدًا ، وأردتها على سُنَيَّات عثمان فأَبَتْ عليَّ . فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعةٌ ، مؤاكلةٌ حسنة ومشاربة جميلة . فإن لم تجدوني خيرَكم فإني خيرٌ لكم ولاية . والله لا أحمل السيف على من لا سيف له . وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشْفِي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبرَ أذني [(٦)] وتحت قدمي . وإن لم تجدوني أقومُ بحقكم كلّه فاقبلوا مني بعضَه . فإن أتاكم مني خيرٌ فاقبلوه ، فإن السيل إذا جاء أَثْرَى ، وإن قَلَّ أغنى [(٧)] . وإياكم والفتنَة فإنها تُفسِدُ المعيشة وتكدّر النعمة .

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي القرشي ولد إبان ظهور الاسلام وورث من أهله حصافة وحسن حيلة . كان يتطلع الى الملك فلما مات عثمان ، وكان هو على الشام نازع عليا الخلافة . وكانت بينهما أحداث وفتن استعان معاوية فيها بدهائه حتى اذا قتل علي وخلفه الحسن وشغب عليه جنده صالح الحسن ابن علي معاوية عام ٤١ هـ . وقد سمي عام الجماعة ، وبذلك قامت الدولة الأموية على يد معاوية وكان معاوية بليغا وان كان لا يبلغ شأو علي ومات سنة ٦٠ هـ .

(٢) أي الخلافة .

(٣) جالدتكم : ضاربتكم .

(٤) ذللتها ومرنتها .

(٥) هو أبو بكر أول الخلفاء .

(٦) دبر أذني : خلفها ، أي أتركه .

(٧) أثرى الناس : جعلهم أثرياء . وأغناهم جعلهم مكتفين لا يحتاجون

(٨) خطبة زياد[1] البتراء بالبصرة حين قدم واليا عليها من قبل معاوية

أما بعدُ، فإن الجهالةَ الجَهْلاءَ[2]. والضلالةَ العمياء[3]، والغيَّ المُوفِي بأهله على النار، ما فيه سُفهاؤكم ويشتملُ عليه حُلَماؤكم[4]، من الأمور العظام، ينبُت فيها الصغيرُ، ولا يتحاشى عنها الكبيرُ، كأنكم لم تقرءوا كتابَ الله، ولم تسمَعُوا ما أعد الله من الثَّواب الكريم لأَهلِ طاعتِه، والعذابِ العظيمِ لأهلِ معصيته، فى الزمن السَّرْمدى[5] الذى لا يزول. أتكونون كمن طرفَتْ عينيْه الدنيا، وسدَّتْ مسامعه الشهواتُ[6]، واختارَ الفانيةَ على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتُمْ فى الإسلام الحدَثَ الذى لم تُسبَقوا اليه، من تركِكم الضعيفَ يُقهر ويؤخذُ مالُه. ما هذه المواخيرُ[7] المنصوبة، والضعيفةُ المسلوبة فى النهار المبصر، والعددُ غيرُ قليل؟ ألم يكن منكم نُهاةٌ تمنعُ الغُواةَ عن

---

(١) ينتسب زياد ابن أبيه الى أبى سفيان. ولد فى السنة الأولى للهجرة. وكان منذ صغره ذكيا هماما سديد الرأى ولى بعض الأعمال فكان مثال الصرامة والكياسة. ثم استلحقه معاوية أخا له بعد مقتل على. وبقى من رجال الدولة المعدودين حتى مات سنة ٥٣ هـ. وتدل خطبة زياد على شخصية عنيفة فى الدين والسياسة، تعدّ حلقة الاتصال بين عمر بن الخطاب والحجاج ويعتمد فى تأثيره الخطابى على الارهاب والوعيد فى أسلوب جزل. وقالوا: انما سميت خطبته هذه البتراء لعدم بدئها بحمد الله وقيل غير ذلك.

(٢) جهالة جهلاء: شديدة مثل ليلة ليلاء

(٣) الضلالة العمياء: التى لا هدى معها.

(٤) السفيه: سيئ الخلق وضدّه الحليم.

(٥) السرمدى: الدائم.

(٦) كناية عن تمكن الشهوات من نفوسهم وانصرافهم الى متاع الدنيا.

(٧) المواخير: جمع ماخور: بيت الريبة والفحش.

دَلَجِ الليل وغارةِ النهار[١]، قربتم القرابة، وباعدتم الدينَ، تعتذرون بغير العُذر، وتغُضُّون على المختلس، كلُّ امرئ منكم يذُبُّ عن سفيهه، صنيعَ مَن لا يخاف عاقبةً، ولا يرجو معادًا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزَل بكم ما ترَون من قيامكم دُونهم[٢] حتى انتهكوا حُرَم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كُنوسا فى مَكانس الرِّيَب[٣]. حرامٌ علىَّ الطعامُ والشَّرابُ حتى أُسَوِّيَها بالأرض هَدْمًا وإحراقًا. إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يَصلُح إلا بما صَلَح به أوَّلُه: لين فى غَيرِ ضعف، وشِدَّةٌ فى غير عنف. وإنى أُقسِمُ بالله لآخُذَنَّ الوَلِىَّ بالمَوْلَى[٤]، والمُقيمَ بالظَّاعِن، والمُقْبِلَ بالمُدبِر، والمطيعَ بالعاصى، والصحيحَ بالسقيم، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول: انْجُ سَعْدُ فقد هلك سُعيد[٥] أو تستقيمَ قَنَاتُكُم[٦]! إنَّ كِذْبَة الأميرِ بلقاءُ مشهورة، فإذا تعلَّقتم علىَّ بكذبةٍ فقد حَلَّتْ لكم معصيتى، فإذا سمعتُموها منى فاغتمزوها فىَّ[٧]، واعلموا أنَّ عندى أمثالَها. مَن نُقِبَ منكم عليه فأنا ضَامِنٌ لما ذهب من مَالِه. فإياىَ ودَلَجَ الليل، فإنى لا أُوتَى بمُدلِجٍ إلا سَفكْتُ دمه، وقد أجّلتُكُم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبرُ الكوفةَ ويرجع اليكم. وإياى ودَعْوَى الجاهلية[٨]، فإنى لا أجد أحدًا دعا بها إلا قَطَعْتُ لسانَهُ. وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن،

---

(١) دلج الليل: السير فيه. والمراد التلصص والفتك.

(٢) قيامكم دونهم: دفاعكم عنهم.

(٣) الكنوس: جمع كانس، وهو الظبي يدخل فى كناسه أى مأواه. والمراد أنهم عكفوا على المعاصى.

(٤) الولى: السيد. والمولى: العبد. والمراد أنه يأخذ السيد بذنب عبده. وكذا الباقى.

(٥) مثل يضرب لتتابع الشر. وأصله أن أخوين خرجا فى طلب إبل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد.

(٦) المراد حتى تستقيموا. وشبههم بالقناة وهى عود الرمح.

(٧) اغتمزوها فى: عدوّها من عيوبى.

(٨) دعوى الجاهلية: كناية عن التناصر بتأثير العصبية سفها وجهالة، وأصلها يا لفلان استغاثة.

وقد أحدثنا لكلِ ذنب عقوبةً ؛ فمن غرّق قومًا أغرقناه ، ومن أحرق قومًا أحرقناه ، ومَن نقبَ بيتًا نقبنا عن قلبه ، ومَن نبش قبراً دفنّاه فيــه حياً . فكُفُّوا عنّى أيديكم وألسنتكم أكْفُفْ عنكم يدى ولسانِى . ولا تظهرْ من أحدكم ريبةٌ بخلاف ما عليـه عامّتُكم إلا ضربتُ عنقَه . وقد كانت بَينِى وبَيْنَ أقوامٍ إحَنٌ (١) ، فجعلتُ ذلك دَبْرَ (٢) أُذُنِى وتحت قَدَمِى . فمَن كان منكم محسنًا فليزدَدْ إحسانًا ، ومَنْ كان منكم مُسيئا فلينزِعْ عن إساءته . إنّى لو علمتُ أنَّ أحدَكم قد قتَلَه السلُّ من بُغْضِى لم أكشِف له قِناعا ، ولم أهْتِك له سِتْرًا حتى يُبْدِىَ لى صفحته (٣) ، فإذا فَعَلَ ذلك لم أُناظِرْهُ . فاستأنفوا أموركم ، وأعِينُوا على أنفُسِكُم ، فرُبَّ مُبتئِسٍ بِقُدومنا سيُسَرُّ ومسرورٍ بقدومنا سيَبْتَئِس . أيُّها الناس ! أنَّا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادةً (٤) : نَسُوسُكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونَذُود عنكم بِفَىْءِ (٥) الله الذى خَوَّلَنا ، فلنا عليكم السمعُ والطاعةُ فيما أحْبَبْنا ، ولكم علينا العدلُ فيما وَلِينا ، فاستوجِبوا عدلنا وفيأنا بمُناصحتِكُم لنا . واعلموا أنى مهما قَصَّرت عنـه فلن أقصِّر عن ثلاث : لستُ محتجبًا عن طالِب حاجةٍ منكم ، ولو أتانى طارقًا بليل ، ولا حابِسًا عطاءً ولا رزقًا عن إبّانِه (٦) ، ولا مُجَمِّرًا (٧) لكم بعثًا . فادعُوا الله بالصلاح لأئمّتكم ، فإنهم ساسَتُكم المؤدِّبون لكم ، وكَهْفُكُم الذى اليــه تأوون ، ومتى يصلُحُوا

(١) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

(٢) أى خلفها : والمراد أنى طرحت ذلك .

(٣) صفحة الرجل : عرض وجهه . والمراد حتى يجهر بالعداوة .

(٤) ذادة : حماة ، جمع ذائد أى مدافع .

(٥) الفىء : مال الخراج أو الغنيمة و يطلق على الظل كناية عن الحمى .

(٦) إبان الشىء : أوانه .

(٧) تجمير الجند أو البعث حبسهم فى أرض العدوّ .

تَصلُحُوا . ولا تُشرِبُوا قلوبَكم بُغضَهم فيشتد لذلك غيظُكم، ويطول له حُزنُكم، ولا تُدرِكُوا حاجتكم، مع أنه لو استُجيبَ لكم فيهم لكان شرًّا لكم [(١)] . أسأل الله أن يُعين كُلًّا على كُلٍّ . وإذا رأيتُمونى أُنفِذُ فيكم الأمر فأنفذوه على أَذْلالِه [(٢)] . وايمُ الله إن لى فيكم لَصرعَى كثيرةً، فليحذَرْ كل امرئ منكم أن يكون من صَرْعاى .

(٩) خطبة عبد الله بن الزُّبير بعدَ أن قُتِل أخُوهُ مُصْعَب [(٣)]

الحمد لله الذى لَهُ الخَلْقُ والأمر ومُلْكُ الدنيا والآخرة يُعِزُّ مَن يشاء ويذِلُّ مَن يشاء . ألا إنه لم يَذِلَّ والله مَنْ كانَ الحقُّ مَعَهُ، وإن كانَ مُفْرَدًا ضَعيفًا، ولم يَعِزَّ مَن كانَ الباطلُ مَعَهُ، وإن كانَ فى العُدَّةِ والعَدد والكَثْرة . إنه قد أتانا خبرٌ منَ العراق بلدِ الغَدْرِ والشِّقاقِ، فساءنا وسرنا : أتانا أنَّ مُصعبًا قُتِلَ، رحمةُ الله عليه ومغفرتُه، فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لَذْعَةً يجدها حَميمُه عند المصيبة، ثم يَرْعَوِى [(٤)] بعدُ ذُو الرأى والدين الى جَميل الصبر، وأما الذى سرَّنا منه فإنا قد علمنا أن قَتْلَهُ شهادةٌ لَهُ وأنه عز وجل جاعلٌ ذلك لنا وله ذخيرة إن شاء اللهُ تعالى . إن أهلَ

---

(١) أى لو دعوتم عليهم فهلكوا لا تجدون عوضا عنهم .

(٢) أى على طرقه ووجوهه .

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام يكنى أبا بكر وأبا خبيب . ولد بعد الهجرة بقليل، وكان شجاعا باسلا خرج على بنى أمية وطلب لنفسه الخلافة . واستمر تسع سنين استولى فيها على الحجاز والعراق واليمن ومصر واستمر يناجز جيوش الدولة حتى أرسل اليه عبد الملك بن مروان الحجاج فحاصره بمكة مدة حتى قتل ابن الزبير سنة ٧٤ هـ . وكان مصعب أخوه واليا على العراق من قبله حتى دهمته جيوش عبد الملك وقتلته نحو السنة الثانية والسبعين للهجرة .

(٤) يرعوى : يرجع .

العِراقِ أَسلَمُوه ، وباعوه بأقل ثمن . لقد قُتِلَ أبوهُ وعمُّه وأخُوه وكانوا خِيار الصالحين . إنَّا والله ما نموت حَتْفَ أُنُوفِنَا (١) ، ما نَموتُ إلا قتلا ، قَعْصًا بالرِّماح (٢) وتحت ظِلَال السُّيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِل منهم رجل فى جاهلية ولا إسلامٍ قَطُّ . وإنما الدنيا عَارِيَةٌ (٣) من المَلِكِ القهار الذى لا يزول سلطانه ، ولا يَبِيدُ مُلْكُه ، فإن تُقْبِلِ الدنيا علىَّ لا آخُذهَا أخذ الأَشِر البَطِر (٤) ، وإن تُدْبِر عنى لا أبك عليها بكاءَ الخرِف المهين (٥) .

(١٠) خطبة لِقَطَرِىِّ بن الفُجَاءة (٦)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمَّا بعدُ ، فإنى أُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا فإنها حُلْوَةٌ خَضِرةٌ ، حُفَّتْ بالشهوات ، ورَاقَتْ بالقَليل (٧) وتَحَبَّبتْ بالعاجلة ، وحَلِيَتْ بالآمال ، وتَزَيَّنَتْ بالغرور . لا تَدُوم حَبْرَتُها (٨) ، ولا تُؤْمَن فَجْعَتُها ، غَرَّارَةٌ ضَرَّارة ، خوَّانة غَدَّارة ، وحائلة (٩) زائلة ، ونافدةٌ بائدة ، أكَّالةٌ غوَّالةٌ .

---

(١) مات حتف أنفه : على فراشه .

(٢) قعصه بالرمح : قتله فى مكانه .

(٣) أى شىء مستعار .

(٤) بطر بالنعمة : طغى بها . والأشر : المرح .

(٥) الخرف : فاسد العقل . والمهين : الذليل الوضيع .

(٦) قطرى بن الفجاءة المازنى خطيب شاعر من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغائهم . خرج زمن بنى أمية ، ودعا لنفسه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ . وقد ترجمنا له فى قسم شعراء السياسة .

(٧) راقت الأعين بقلة متاعها ، وتحببت الى النفوس بكونها عاجلة ليست آجلة كالأخرى .

(٨) حبرتها : نعمتها . (٩) حائلة : متغيرة .

لا تَعْدُو إذا هى تناهتْ إلى أُمنيَّةِ أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكونَ كما قال الله تعالى (١) ﴿ كماءٍ أنزلناهُ من السماءِ فاختلَطَ به نباتُ الأرضِ فأَصْبحَ هَشِيما تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ (٢) وكان اللهُ على كُلِّ شَيءٍ مقتدرا ﴾ مع أنَّ آمرأ لم يكن منها فى حَبْرةٍ إلَّا أَعْقَبَته بعدها عَبْرة (٣)، ولم يلق من سَرَّائها بَطْنًا إلَّا مَنَحَتْهُ من ضَرَّائها ظَهرًا (٤)، ولم تَطُلَّه فيها غَيْثَةُ رخاء إلا هَطَلت عليه مُزْنَةُ بلاء (٥) . وحرِيٌّ إذا أصبحتْ له مُنْتَصِرَةً أن تُمْسِيَ له خاذِلة متنكِّرةً، وإنْ جانبٌ منها آعْذَوْذَبَ (٦) وآحْلَولى . أَمَرَّ عليه جانب وأَوْبا (٧) . وإن آتَتْ آمرأً من غَضَارَتِها (٨) ورفاهَتها نِعمًا أرهقته من نَوائبها نِقمًا . ولم يُمْسِ امرؤٌ منها فى جناح أمن إلا أصبح منها على قَوادِمِ خَوْفٍ (٩) . غَرَّارةٌ، غَرُورٌ ما فيها، فانٍ ما عليها، لا خير فى شيء من زادها إلا التقوى . من أقلَّ منها استكثر مما يُؤْمِنُه، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبِقُهُ (١٠) ويُطيل حُزنه، ويبكى عينيه . كم واثقٍ بها قد فَجَعَتْهُ، وذى طُمَأْنِينةٍ إليها قد صَرَعتْهُ، وذى احتيالٍ فيها قد خدعتْهُ، وكم مِنْ ذِى أُبَّهَةٍ بها، قد صيرَّته حقيراً وذِى نَخْوةٍ قد رَدَّتْهُ ذليلا .

---

(١) أى أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانيهم فلا تجاوز وصف الله تعالى لها بهذه الآية .

(٢) الهشيم : النبت اليابس المكسر .

(٣) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض أى أحزنته .

(٤) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والإدبار .

(٥) طلت السماء : أمطرت . والطل : المطر الضعيف . والمزنة : السحابة الممطرة .

(٦) أى عذب .

(٧) أوبا : أصله أوبأ أى صار ذا وباء .

(٨) الغضارة : النعمة والسعة والخصب .

(٩) القوادم : الريش الكبير فى مقدم الجناح، و يقابلها الخوافى .

(١٠) يوبقه : يهلكه .

(١١) خطبة للحجاج حين ولى العراق[1]

أنا ابن جَلَا وطلَّاعُ الثَّنَايا ... مَتَى أضَعِ الْعِمامَةَ تَعرِفُونِى [2]

يأهل الكوفة ! إنى لأرى رُءُوسا قد أَيْنَعَتْ[3] وحَانَ قِطَافُها ، وإنِّى لَصَاحِبُها. وكأنى أنظُر إلى الدماء بيْن العمائم واللِّحَى .

ثم قال :

هذا أوان الشَّدّ فاشْتَدّى زِيَمْ ... قد لَفَّها اللَّيْــلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ [4]

ليس براعِى إبلٍ ولا غَـــنَمْ ... ولا بجَــزَّارٍ على ظَهْــرِ وَضَمْ [5]

ثم قال :

قد لَفَّهَا الليل بِعَصْلَبِىّ ... أرْوَعَ خَرَّاجٍ مِن الدَّوِّىِّ [6]

مُهاجِرٍ ليسَ بأعرابِىّ

(١) يعدّ الحجاج بن يوسف الثقفى ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا فى عهدها الأول ، أوّلهم على بن أبى طالب ، وثانيهم زياد . وقد شب الحجاج شجاعا داهية عنيفا . وحا كما مستبدا . خدم بنى أمية ولا سيما عبد الملك فى توطيد الملك و إسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥ هـ . وتدل خطبه على خواصه النفسية ومذهبه فى السياسة والحكم ، وأسلوبه الفنى الذى يعتمد على الإرهاب وعلى التفخيم اللفظى وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد كما يمتاز بنفس جاهلية عنيفة .

(٢) ابن جلا : أى ابن رجل جلا الأمور وكشف الصعاب . الثنايا جمع ثنية : وهى الطريق فى الجبل أو الجبل نفسه ، والمراد : القادر الشجاع .

(٣) أينعت : أدركت ونضجت .

(٤) زيم : اسم فرس أو ناقة . ولفها : جمعها . والحطم الذى لا يبقى من السير شيئا .

(٥) الوضم : ما يقطع عليه اللحم .

(٦) العصلبى : الشديد . والأروع : الذكى . والدوى : الصحراء المتسعة . والمراد الخرّاج من كل غماء شديدة .

وقال :

قد شمّرتْ عن ساقِها فشُدُّوا ‏ ‏ ‏ وجدّتْ الحربُ بكم فجِدُّوا [١]

والقوسُ فيها وترٌ عُرُدٌّ ‏ ‏ ‏ مثلُ ذراعِ البَكْرِ أو أشدُّ [٢]

لا بُدَّ مما ليسَ منه بُدٌّ [٣]

إنّي واللهِ يأهلَ العراقِ ما يُقعقَعُ لي بالشِّنان [٤] ، ولا يُغمَزُ جانبي كتغمازِ التِّين . ولقد فُرِرتُ عن ذكاءٍ [٥] ، وفُتِّشْتُ عن تجربة . وإن أميرَ المؤمنين — أطال الله بقاءه — نثرَ كنانتَه بين يديه [٦] ، فعجَمَ عيدانَها ، فوجدني أمرَّها عُودًا ، وأصلبَها مَكْسِرًا [٧] ، فرماكم بي ؛ لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة [٨] ، واضطجعتم في مراقدِ الضلال . والله لأحزمنّكم حزمَ السَّلَمة [٩] ، ولأضربنّكم ضربَ غرائبِ الإبلِ [١٠] ؛ فإنكم لكأهلِ قريةٍ كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقُها رغدًا من كلِّ مكانٍ فكفرتْ بأنعُمِ الله فأذاقها الله لباسَ

---

(١) شمر عن ساقه : اهتم وجد ؛ كناية عن قيامها .

(٢) عرد : شديد . البكر : الفتى من الإبل .

(٣) أى لا بد من وقوع المحتم .

(٤) الشنان جمع شن : وهو الجلد اليابس إذا قعقع أى ضرب نفرت الابل منه ، يضرب ذلك مثلا لنفسه أى أنه لا يرهبه وعيد أو تخويف .

(٥) فرّ الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها . وفرّ عن الأمر : بحث عنه . والمراد أن الخليفة اختاره حاكما لحدة ذكائه وصحة تجاربه .

(٦) الكنانة : جعبة السهام . وعجم عيدانها : عضها لينظر أيها أصلب . وهذا وما بعده كناية عن أنه اختبر أعوانه فوجدني أصلح لحكمكم .

(٧) أى أقواها .

(٨) أى أسرعتم فى الشر .

(٩) السلمة : نوع من الشجر تعصب أغصانه وتخبط بالعصى لسقوط الورق وهشم العيدان .

(١٠) وهي تضرب عند الهرب أو الحوض .

الجُوع والخوفِ بما كانوا يصنَعونَ . وإنى والله ما أقول إلا وفَيْتُ، ولا أهُمّ إلا أَمضيتُ، ولا أخلُق[1] إلا فَرَيْتُ[2] . وإن أميرَ المؤمنين أمرنى بإعطائكم أَعْطياتِكُمْ، وأن أوجِهَكُم لمحاربة عَدُوِّكم مع المُهَلَّب بن أبى صُفْرة[3] . وإنى أقسمُ بالله لا أَجِدُ رجلا تخَلَّف بعد أخذِ عطائه بثلاثة أيام إلّا ضربتُ عنقه .

(١٢) من رسالة عبد الحميد بن يحيى[4] التى أوصى فيها الكتّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ — حَفِظكم اللهُ يأهلَ صِناعَةِ الكِتَابةِ وحَاطَكُم ووفَّقكم وأرشدكم — فإن اللهَ عزّ وجلّ جعلَ الناسَ بعد الأنبياء والمرسَلين صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين، ومِنْ بَعْدِ الملوكِ المكرَّمين أصنافا، وإن كانوا فى الحقيقة سواءً، وصَرَّفهم فى صُنُوف الصناعاتِ وضُرُوبِ المحاولات، الى أسبابِ مَعاشِهم، وأبوابِ أرزاقهم، فجعلكم معشرَ الكُتَّاب فى أشرفِ الجهاتِ أهلَ الأدب والمُرُوءات والعِلم والرَّزانة، بكم تَنْتَظِم للخلافة مَحَاسِنُها، وتستقيم أمورُها، وبنصائحكم يُصْلِحُ الله للخَلْقِ سُلْطَانَهُم، وتَعْمُر

---

(١) أقدر .   (٢) فريته : قطعته .

(٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة الأزدى البصرى قائد أموى ولد بالبصرة ونشأ فيها وظهر أمره بمقاتلة الخوارج . وقد ولاه الحجاج خراسان وبها مات سنة ٨٢ هـ .

(٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامرى نشأ بالأنبار من أرض العراق وشب معلم صبيان ثم صحب مروان بن محمد مدة ولايته أرمينية ثم مدة خلافته واستمر وفيا له فى محنته حتى قتلا سنة ١٣٢ هـ . ويعد عبد الحميد شيخ كتاب الرسائل فله الفضل فى تسليس أسلوبها وحسن تقسيمها، وجعلها واضحة طبعية لا يجاريه فى ذلك أحد وله رسائل طوال، منها رسالته إلى الكتاب التى نورد هنا قسما منها .

بُلْدَانُهم . لايَسْتَغنِي الملكُ عنكم، ولا يُوجَدُ كافٍ إلّا منكم؛ فموقعكم من الملوك موقعُ أسْمَاعِهم التى بها يَسْمعون، وأبصارِهم التى بها يُبصِرُون، وألسنتِهم التى بها ينطقون، وأيديهم التى بها يَبطِشُون[1] . فَأَمْتَعَكُمْ الله بما خصَّكُمْ من فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ، ولا نَزَعَ عنكم، ما أَضْفَاهُ[2] من النِّعْمَةِ عليكم . وليس أحد من أهل الصناعات كُلِّها أحْوَجَ الى اجتماع خِلالِ الخيرِ المحمودة وخِصالِ الفَضْلِ المذكورةِ المعدودة منكم، أيها الكُتّابُ : إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صِفَتِكُمْ، فإن الكاتبَ يحتاجُ فى نفسه ويحتاجُ منه صاحبُه الذى يثقُ به فى مُهِمّاتِ أموره أن يكونَ حليماً فى موضع الحِلم، فَهِيماً فى موضِع الحُكْم، مِقْداماً فى موضِع الإقدام، مِحْجَاماً فى مَوْضِع الإِحجام، مُؤْثِراً للعَفَافِ والعدلِ والإنْصاف، كَتُوماً للأسرار، وَفِيّاً عندَ الشدائد عالماً بما يأتِى من النَّوازِل، يَضَعُ الأمور فى مَوَاضِعِها والطَّوَارِقَ فى أماكِنِها، قد نظر فى كُلِّ فنٍّ من فُنون العِلْم فأحكَمَهُ، و إن لم يُحْكِمه أخَذَ منه بمِقدار ما يُكتَفَى به، يعرِفُ بغَرِيزَةِ عَقلِه وحُسْنِ أدبِه وفضلِ تجربتِه ما يَرِدُ عليه قبل وُرُودِه، وعاقبة ما يَصْدُرُ عنه قَبْلَ صُدُوره، فَيُعِدُّ لكلِّ أمرٍ عُدَّته وعَتَادَه، ويُهَيِّئُ لكل وجه هيئَتَهُ وعادَتَه .

فَتَنافَسوا يا معشرَ الكُتّاب فى صُنُوفِ الآداب، وتَفَهَّموا فى الدِّين وابدءُوا بعلم كتاب الله عزّ وجل والفرائض، ثم العربيّة؛ فإنها ثِقَافُ ألسنتِكم، ثم أجيدوا الخطَّ فإنه حِليةُ كُتُبِكُم، وارْوُوا الأشعار، واعرفوا غَرِيبَها ومَعَانِيها وأيَّامَ العَرَبِ والعجم وأحاديثَها وسِيَرَها؛ فإن ذلك مُعِينٌ لكم على ما تسمو اليه هِمَمُكُمْ . ولا تُضَيِّعوا النَّظر

---

(١) يبطش : يفتك و يعمل .

(٢) أضفاه : أسبغه .

فى الحِسَاب ، فإنه قِوَام كُتَّاب الخَرَاج . وارغَبُوا بأنفُسِكم عن المطامع سَنِيِّها ودَنِيِّها وسَفْسَافِ الأمور ومَحَاقِرِها ، فإنها مَذَلَّةٌ للرقاب مَفْسَدَةٌ للكُتَّاب . ونَزِّهُوا صناعَتَكم عن الدناءة وآرْبَئُوا بأنفسِكم عن السِّعَاية والنميمة وما فيه أهلُ الجَهَالَاتِ . وإياكم والكِبْرَ والسُّخْفَ والعَظَمة ، فإنها عداوة مُجْتَلَبَةٌ من غير إِحْنَة . وتحابُّوا فى الله عز وجل فى صناعتِكم وتواصَوْا عليها بالذى هو أليقُ لأهلِ الفضلِ والعدلِ والنُّبْلِ من سَلَفكم .

(د) طائفة من أمثال العرب [١]

فى جاهليتها و إسلامها

إنَّ العَصَا من العُصيَّة [٢] — إن العَوانَ لاتُعَلَّمُ الخِمْرَة [٣] — إنك لتُكْثِرُ الحَزَّ وتُخطِئُ المَفصِلَ [٤] — أولُ الشَّجَرةِ النَّواةُ [٥] — إنَّك ريَّانُ فلاتَعْجَلْ بِشُرْبِكَ [٦] أَبَرَمًا قَرُونًا [٧] — أحَشَفًا وسُوءَ كِيلة [٨] — الحقُّ أبلجُ والباطِلُ لجْلَج [٩] —

(١) الأمثال : جمع مثل وهو قول مأثور يمتاز بحسن التعبير و إصابة المعنى و إتقان التشبيه وحسن الإيجاز . وللمثل مورد أى أصل قيل فيه ، ومضرِب ، أى موضع استعمال ، فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى .

(٢) يضرب للشىء يشبه أصله .

(٣) العوان : التى سبق لها زوج ، والخمرة كيفية لبس الخمار (الطرحة) . يضرب للرجل العالم بالأمر المجرب له .

(٤) يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد . الحز : القطع ، والمفصل : ملتقى كل عظمين فى الجسد حيث يكون القطع .

(٥) يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

(٦) يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

(٧) البرم : الرجل الذى لايدخل مع القوم فى الميسر لبخله . والقرون : الذى يقرن بين الشيئين يأخذهما معا . يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

(٨) الحشف : أردأ التمر : والكيلة : طريقة الكيل . مضربه لمن يظلم من وجهين .

(٩) معناه أن الحق واضح بين ليس فيه حيرة .

أَمَكْرًا وأَنْتَ فِى الحَدِيدِ (١) — إنَّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قَطَعَ ولا ظَهْراً أبقَى (٢) — إنَّ البَلاَءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِق (٣) — أن تَرِدَ المَاءَ بِمَاءٍ أَكْيَسُ (٤) — إن غداً لِناظره قَرِيبٌ (٥) — إنَّ أخاكَ مَن آسَاكَ (٦) — يَدَاكَ أَوْكَتَا وفُوكَ نَفَخَ (٧) يُصبِحُ ظَمْآنَ وفى البَحْرِ فَمُه (٨) .

بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى (٩) — بَيْنَهُمْ عِطْرُ مَنْشِمْ (١٠) ، تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأكُلُ بثَدْيَيْها (١١) — تُغنِيكَ عَنْ مَجْهولِهِ مَرآته (١٢) — تَرَى الفِتْيانَ كالنَّخْلِ ، وَمَا يُدْرِيكَ ما الدَّخْلُ (١٣) — ثَارَ حَابِلُهُم على

---

(١) يضرب لمن أراد المكر وهو مقهور .

(٢) المنبت : المنقطع عن أصحابه فى السفر بسبب جهاده دابته ، الظهر : الدابة . يضرب لمن يبالغ فى طلب الشىء بافراط حتى يعجز عنه فيضيعه .

(٣) يضرب للكلمة تجلب الشر .

(٤) يضرب فى عدم التفريط فيما تملك اتكالا على الموهوم .

(٥) يضرب فى قرب المأمول .

(٦) يضرب للصديق المخلص .

(٧) أراد رجل عبور النهر على زق فنفخ فيه فلم يحكمه ، فلما توسط النهر خرج منه الهواء فغرق ، فاستغاث برجل ؛ فقال له هذا المثل ، يضرب لمن يجنى على نفسه الحين .

(٨) يضرب لمن يعاشر بخيلا مثريا .

(٩) الزبى : جمع زبية ، وهى مصيدة الأسد تكون فى قلل الجبال اذا بلغها السيل كان مجحفا — يضرب لبلوغ الأمر أشده .

(١٠) يضرب فى الشر العظيم ، ومنشم : عطّارة كانت تطيب المحار بين من طيبها فيفنون فى الحرب . فكان يقال أشأم من عطر منشم .

(١١) أى لا تكون ظئرا ، وان آذاها الجوع : يضرب لمن يصون نفسه عن خسيس المكاسب .

(١٢) أى منظره يخبر عن مخبره (حقيقته) .

(١٣) يضرب لروعة المظهر مع سوء المخبر .

نابلهم (١) — جعجعة ولا أرى طِحْنًا (٢) — جَرْىُ المُذْكِيَاتِ غِلاب (٣) — جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ (٤) — حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ (٥) — حَذْوَ القُذَّة بالقذة (٦) — حَرِّكْ لها حُوارَهَا تَحِنّ (٧) — صار الزُّجُّ قُدَّام السِّنان (٨) — عند الصَّباح يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى (٩) — عند النِّطاح يُغْلَبُ الكَبْشُ الأَجَم (١٠) — عنـد جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقين (١١) — فى بيته يؤتى الحَكَمُ (١٢) — قبلَ الرِّماءِ تُمْلأُ الكَنَائِنُ (١٣) — كان كُرَاعًا فصارَ ذِراعًا (١٤) — كَلامٌ كالعَسَل وفِعْلٌ كالأَسَل (١٥) — كُلُّ الصَّيْد في جَوْفِ الفَرا (١٦) — كُلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبَةٌ (١٧) .

---

(١) الحابل : صاحب الحبالة . والنابل : صاحب النبل ، أى اختلط أمرهم . يضرب فى فساد ذات البين وتأريث الشر فى القوم .

(٢) يضرب لمن يعد ولا يفى ، أو للظهر الخلاب ليس وراءه نفع . والجعجعة : صوت الطحن .

(٣) المذكية من الخيل : التى مضت سنة أو سنتان على قروحها . والغلاب : المغالبة . يضرب لمن يفوز على أقرانه فى الفضل .

(٤) مثل يضرب فى اللئام وكيف يعاملون .

(٥) معناه : أنه اختبر الدهر شطرى خيره وشره ، فعرف ما فيه .

(٦) أى مثلا بمثل ، يضرب فى التسوية بين الشيئين .

(٧) الحوار : ولد الناقة . والمعنى ذكره بعض أشجانه يهج له . قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستفز أهل الشام ، أى أرهم دم عثمان على قيمصه ليفزعوا إلى الحرب .

(٨) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح ، و يقابله السنان . يضرب فى سبق المتأخر المتقدم من غير أهلية لذلك .

(٩) يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة . والسرى : السير ليلا .

(١٠) الأجم : الذى لاقرن له . يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

(١١) يضرب للرجل يعرف الشيء على حقيقته .

(١٢) يضرب للرجل تذهب اليه لحاجتك .

(١٣) أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه : والكنائن . جمع كنانة : خريطة السهام .

(١٤) يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا قويا . والكراع : مستدق الساق .

(١٥) يضرب فى اختلاف القول والعمل . والأسل : الرماح .

(١٦) الفرا : الحمار الوحشى . يضرب لمن يفضل أقرانه .

(١٧) يضرب فى إعجاب الرجل بما يخصه من عمل أو عشيرة .

أَبيات تَجْرى مَجْرى الأمثال

فإنَّك لم يَفْخَر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مِثلُ مغلَّب (١)

*
* *

وهل يُنبِتُ الخطِّىَّ إلا وشيجُهُ وتُغرَسُ إلَّا فى مَنابِتها النَّخلُ (٢)

*
* *

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ على شعثٍ أىُّ الرجال المهذب (٣)

*
* *

حَنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (٤)

*
* *

إذا أنتَ لم تُعْرِض عَنِ الجهْلِ والخَنَا أَصَبْتَ حَكيمًا أو أَصابَك جاهلُ (٥)

---

(١) المغلب : الضعيف الذى يغلب دائما ، فاذا قدر عليك لا يتركك (لامرئ القيس) .

(٢) الخطى : الرمح نسبة الى الخط فى البحرين . الوشيج : شجر الرماح ، المفرد وشيجة أى لاينبت القناة الا شجرها ولا تغرس النخل الا بحيث تنبت وتصلح ، والمراد أنه لا يلد الكرام الا الكرام (لزهير) .

(٣) تلمه : تصلحه . والشعث : الفساد ، والمهذب : المنقى من العيوب . (المعنى) ليس رجل مبرءا من العيب ، فاذا قطعت إخوانك بذنب لم يبق لك أخ (للنابغة الذبيانى) .

(٤) لطرفة ، وصدره : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا . الحنان : الرحمة ، والتثنية هنا لقصد الدوام مثل لبيك وسعديك أى رحمة بعد رحمة . والأكثر اضافتها الى ضمير المخاطب .

(٥) الجهل : السفه والشراسة ، والخنا : الفحش ، ومعنى الشطر الآخر أنك تؤذى كريما أو يؤذيك جاهل مثلك ، وكلاهما شر .

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ٢١ من شعبان
سنة ١٣٦٣ (١٠ من أغسطس سنة ١٩٤٤) م٦
مدير المطبعة الأميرية
محمد بكرى

المطبعة الأميرية ٤٠١٠/١٩٤٤ — ٦٠٣٠